٣ قروش

المختار

من ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

ديسمبر ١٩٤٤

يوزع من مجلة ريدرز دايجست اثنا عشر مليون نسخة تطبع في خمس لغات . إن الطبعات الانجليزية تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا ومصر والصين واستراليا . والطبعة الأسبانية تباع في ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغة الأسبانية في أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع في البرازيل والبرتغال . والسويدية في السويد . وهذا هو العدد السادس عشر (الرابع من السنة الثانية) من الطبعة العربية . وقد وُزّعت نسخه في مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . ويرجو المحررون أن تنال هذه المجلة رضاك . ويَسرُّهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد أو اقتراح بتحسينها و إتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off Marca Registrata)

تصدر شهرياً في بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربية — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكي طبعتين للعميان إحداهما طبعة « برايل » وأخرى على « أقراص مسجلة »

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : ألفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المدير العام — ا . ل . كول

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١٦ — شارع شامبليون بالقاهرة . تليفون : ٥٧٨٩٣

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٥ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية

المدير العام : باركلي أتشيسون — مدير الإدارة : فرد د . طمسون



كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر

ديسمبر ١٩٤٤

أمن الممكن مراقبة ألمانيا لتظل مسالمة؟

عرض لكتاب مهم بعنوان

"مراقبة ألمانيا واليابان"

هارولد ج. مولتون و لويس مارليو

أضيف كتاب، على أعظم جانب من خطر الشأن، إلى البحث العالمى فيما يصنع بألمانيا عند ما يدخل الحلفاء برلين — وتلك أهم وأصعب مسألة دولية بمفردها — واسم هذا الكتاب «مراقبة ألمانيا واليابان»، ألفه هارولد ج. مولتون ولويس مارليو. والأول رئيس معهد بروكينز وهو هيئة اشتهرت بالأبحاث الاقتصادية والسياسية، والثانى اقتصادى فرنسى، ومهندس، ورجل صناعة تولى إدارة عدة أعمال صناعية فى أوربا.

والرجلان معاً ينطقان بقوة مجتمعة عظيمة، وأجوبتهما عن المسائل الألمانية أعظم ما ظهر إلى الآن إحاطة وشمولا وتفصيلا، تؤيدها دراسة دقيقة، وشىء آخر يعد خيراً من الدراسة: القدرة النادرة على التمييز بين ما لعلنا نحب أن نصنعه بألمانيا، وبين ما قد نجد أن الحكمة تقضى به، وأنه يدخل فى الوسع. وقد يكون لهذا الكتاب أثر قوى فى مصير ألمانيا، وليست الدراسات والمقترحات الخاصة باليابان أقل شأناً، ولكننا لا نحتاج إلى الآن لسوء الحظ أن نبحث فى مسألة تجريد اليابان من السلاح.

والدكتور مولتون والمستر مارليو يحللان بعناية، ثم يرفضان، طائفة من التدابير المقترحة

ضد ألمانيا ، وهما يرفضان كل الرفض تقسيم ألمانيا إلى دولتين ، وحجتهما كما يأتى :

بعد الحرب العالمية الأولى قسمنا النمسا والمجر إلى دول صغيرة ، فسرعان ما ظهر أن هذه الدول الصغيرة لا تستطيع أن تنجح وتوسر كوحدات اقتصادية منفصلة . وخليق بتقسيم ألمانيا إلى وحدات منفصلة أن تكون له نفس النتائج ، فتبيت ألمانيا المقسمة فى ضنك مستمر . ولكن لماذا نعبأ بذلك أو نباليه ؟ إن هناك سبباً أنانيا قوياً يدعونا إلى المبالاة ، فقد أثبتت التجربة منذ الحرب العالمية الأولى أن البلاد المحيطة بألمانيا تصير إلى الضنك أيضاً ، وإذا قسمت ألمانيا كان مؤدى ذلك إفقارها ، وألمانيا الفقيرة معناها أوربا الفقيرة ، وأوربا الفقيرة لابد أن تردنا مباشرة إلى الاضطراب والاصطدام .

فإذا نحن شاورنا مصلحتنا الذاتيـة الخاصة ، فإنه يحسن بنا أن لا نمس كيان ألمانيا الأرضى أو المادى .

ويرفض الدكتور مولتون والمستر مارليو ، أيضاً فكرة القضاء الدائم على جميع الصناعات الألمانية الثقيلة وتحويل ألمانيا إلى أمة من الزراع ، وهما يقولان إنه لاشك فى أن ألمانيا لاتستطيع أن تثير حرباً من غير أن تكون عندها صناعات ثقيلة — مثل الحديد والصلب والمواد الكيميائيـة — ولكنهما يقولان بعد ذلك :

« إذا هبطت ألمانيا إلى مرتبـة دولة زراعيـة فإن الأرجح أن لا تستطيع أن تعول إلا أقل من نصف سكانها الحاليين ، فماذا يكون مآل الباقين ؟ إن مثل هذا الخنق الواسع النطاق للحياة الاقتصادية فى رقعـة ألمانيا ، لايمكن أن يعدم أن يكون له رد فعل مشئوم فى الأحوال الاقتصادية فى البلدان التى لألمانيا بها علاقات استيراد وإصدار طبيعية . وإذا رُدَّت دولة صناعية كبرى إلى منزلة زراعية ، كان من أثر ذلك أن تتفكك وتتقبض التجارة الدولية فى وقت يكون فيه اتساع نطاق الاقتصاد العالمى على أعظم جانب من الأهمية للأمم جميعاً ، وأخلق بذلك أن يسىء مباشرة إلى المصلحة الذاتية الاقتصادية للبلدان المهيمنة على ألمانيا » .

وبعبارة أخرى ، يكون من خطل الرأى أن نضر الألمان على نحو يلحق بنا نفس الضرر.

وقد كان مما اقترح أن تُعطى ألمانيـا المعادن اللازمة للحرب بمقادير كافية للسلم ، ولكنها دون الكفاية للحرب ، والجدول الذى يشتمل على هذه المعادن طويل — الأنتيمون ، والبكسيت ، والكروم ، والنحاس ، والحديد الخام ، والرصاص ، والمنجنيس ، والزئبق ، والميكا ، والمولبدينوم ، والنيكل ، والبترول ،

والبلاتين ، والكبريت ، والقصدير ، والتنجستن ، والفناديوم ، والزنك . وقد يبدو أن قصر واردات ألمانيا من هذه المواد على مطالب أيام السلم يحل المسألة ، غير أن الدكتور مولتون والمستر مارليو يريان أن هنالك أربع عقبات :

١ — يكاد يكون من المستحيل وضع تقدير مضبوط لما تحتاج إليه أية دولة من المعادن فى وقت السلم ، فإن الحاجة إلى كل معدن تتفاوت تبعاً لأحوال اقتصادية وفنية لا تفتأ تتغير ، ومن الممكن أن نقدر حاجات ألمانيا بما هو دون الكفاية ، وفى هذه الحالة نسىء إلى حياة ألمانيا الاقتصادية — وإلى أوربا . وقد نبالغ فى تقدير حاجاتها ، وفى هذه الحالة نكون قد أتحنا لها فرصة لتكديس أكوام من المعادن لأغراض حربية .

٢ — إن فن الاهتداء إلى بديل من المعدن الطبيعى يتقدم بسرعة يوماً فيوماً ، فإذا أعوز البكسيت الألمان لإنتاج الألومنيوم بتكاليف هينة ، فإن فى وسعهم أن ينتجوه ، بتكاليف أكبر ، من الصلصال أو اللابرادوريت أو اللوسيت ، أو الألينيت ، أو يستطيعون أن يهملوا الألومنيوم كل الإهمال لبعض الأغراض ، ويستعملوا الخشب أو المواد العجينية ، وقد تؤدى قلة المعادن فى ألمانيا إلى جعلها تسبق العالم فى إحلال المركبات الصناعية محل الطبيعية من كل نوع .

٣ — إن حدود ألمانيا كأنما رسمت لتكون صالحة للتهريب ، والطرق والخطوط الحديدية تخترقها فى مئات ومئات من المواضع ، ومراقبة جميع هذه المواضع ليلا ونهاراً تتطلب جيشاً كاملا من الحراس والعيون والمفتشين .

٤ — إن المعادن الحربية الأساسية تجىء من كل أنحاء العالم ، ومن المستحيل إقناع الدول جميعاً بأن تعمل متفقة ضد ألمانيا سنة بعد سنة ، وعقداً بعد عقد . وأخلق بمن ينتج أى معدن ، ويواجه الإفلاس ، أن لا يستطيع أن يقاوم ما يغريه بالبيع لألمانيا . ولن يكفى أن نراقب الصادرات إلى ألمانيا من البلاد المنتجة ، بل يكون علينا أيضاً أن نراقب المنشآت والمصانع الخاصة فى البلاد الأخرى ، لنمنع أن تبيع ألمانيا شيئاً . وسيكون من الواجب أيضا مراقبة سوق «الخردة» من الفلزات فى جميع أنحاء العالم.

وإذا كان المنتجون سيفقدون سوقهم كلها أو بعضها فى ألمانيا ، فأين يجدون أسواقا أخرى فى غيرها ؟ وأى البلدان ستتقدم لاستهلاك قصدير بوليفيا ، ونحاس شيلى ، ومطاط الهولنديين ، وحديد السويد ، وكروم تركيا ، ورصاص يوغوسلافيا ، والميكا البرازيلية ، ونيكل كندا إذا حرمته ألمانيا ؟

ويقول المؤلفان : « يبدو أنه لا مفر من أن ننتهى إلى أن الخطط التى يراد بها منع ألمانيا من العود إلى التسلح بمراقبة الواردات من المعادن الأساسية ، لا يمكن التعويل عليها » .

والآن فلننتقل إلى النتائج الإيجابية .

يذهب الدكتور مولتون والمستر مارليو إلى أن من الممكن إلغاء بضع صناعات ألمانية إلغاء تاما ، فيستفيد العالم فائدة كبيرة ، ولا تصاب ألمانيا بخسارة تورثها هبوطا اقتصاديا ، ولا تخسر أوربا أيضا ، مثال ذلك :

يحظر على ألمانيا صنع سبائك من الألومنيوم ، وكذلك البترول الصناعى ، وهاتان الصناعتان لا يشتغل فيهما إلا عدد قليل نسبيا ، ولكن إنتاجهما نافع جداً للحرب ، فإذا حظرتا عليها ضعفت قدرتها على إثارة الحرب . يضاف إلى ذلك أن الحظر ميسور عمليا ، لأن الأفران اللازمة لصهر الألومنيوم ومنشآت الزيت الصناعى لا يمكن أن تكون إلا ضخمة هائلة ، فلا يسهل إخفاؤها أو بعثرة أقسام صغيرة منها وتمويهها ، وادعاء أنها لصنع أشياء أخرى .

ويرى الدكتور مولتون والمستر مارليو أن يلغى إلغاء تاما الطيران الألمانى كله ، لا الحربى وحده بل المدنى أيضا .

ويقولان : « وسيكون من الضرورى أن يحظر على ألمانيا صنع الطائرات وإنشاء شركات النقل الجوى ، والسبب الذى يوجب أن يمنع إنشاء شركات النقل الجوى هو أن من الوجوه الجوهرية للرقابة أن يحال دون تدريب طيارين ألمانيين . فإذا أعوزها الطيارون المدربون فى الحياة المدنية تعذر عليها الاستعداد السريع للحرب . ومن الممكن أن تُزَوَّد ألمانيا بكل التسهيلات الجوية التجارية الضرورية بإنشاء شركة أوربية تجارية على مثال شركة مركبات النوم الدولية التى تزود أوربا كلها بمركبات النوم . والشرط الجوهرى للأمن هو أن لا تكون الطائرات ألمانية ولا الطيارون من الألمان » .

ويقترح الدكتور مولتون والمستر مارليو أيضا محو جانب كبير من صناعة توليد الكهرباء الألمانية ، ويريان أن تمنع ألمانيا من تجديد محطات القوى الكهربائية التى دمرتها الحرب أو إنشاء أية محطة جديدة من هذا النوع . وعندهما أن ألمانيا يمكن أن تُمد بالقوة الكهربائية بواسطة شركة دولية تبتاع القوة الكهربائية فى فرنسا وبلجيكا والنرويج وإيطاليا والنمسا ، وتبيعها لألمانيا بواسطة شركات للتوزيع .

وللسيطرة على القوى الكهربائية هذه المزايا :

١ — تحول بين ألمانيا وبين إلغاء أحكام نزع السلاح التي تحظر عليها صناعة الألومنيوم والزيت الصناعي .

٢ — تقيد في زمن السلم المنتجات المعدنية الكهربائية، والكيميائية الكهربائية مثل الإيدروجين والنتروجين ، وهما يستخدمان في نطاق واسع لأغراض الحرب.

٣ — تؤدى إلى الاهتداء إلى أماكن كل منشأة صناعية كبيرة في ألمانيا .

٤ — ولما كانت هذه السيطرة غير ظاهرة للعيان ، فإنها لا تؤدى إلى استفزاز الشعب الألماني كل يوم .

٥ — وفي حالة التهديد بالعدوان يكون من الميسور قطع القوة الكهربائية الأجنبية، وبهذا يصبح برنامج الإنتاج الحربي كله محدوداً .

ويتضح من هذا أن التدابير الاقتصادية التي يقترحها هذان الاقتصاديان الكبيران ضد ألمانيا قليلة، وأنها — بالقياس إلى جملة قوة ألمانيا الاقتصادية — تافهة . والواقع أن أكبر درس يعلمنا إياه هذا الكتاب ، هو أن من الخطأ أن نظن أن استعدادات ألمانيا للحرب يمكن أن تكبح على وجه مرض بالوسائل الاقتصادية وحدها . وهما يريان فضلا عن ذلك أننا إذا حاولنا إيقاع الضغط الاقتصادي على ألمانيا في نطاق واسع شامل ، فإننا نهدم نظامنا الاقتصادي القائم على حرية السعي . وكلامهما في هذه النقطة جدير بالذكر :

« إن وضع نظام عام للرقابة الاقتصادية (على ألمانيا) يؤدى إلى العمل ضد المساعي الفردية . وإدارة تدابير هذه الرقابة تتطلب حتما إنشاء وكالات إدارية تتجاوز النطاق القومي ، . . . وقد يحدث في بعض الميادين أن يتطلب الأمر إنشاء هيئات للتبادل الدولي تسيطر عليها الحكومات ، فلا تدع سوى مجال ضيق للمساعي الخاصة .

« وعلى كل حال فإنه إذا أريد تنفيذ التعهدات الدولية التي ترتبط بها أمة ما ، فيما يتعلق ببرنامج الرقابة ، فإنه لا بد من الحصول على تراخيص حكومية لإصدار المواد الأساسية ولمد الاعتمادات الدولية . . ولا بد كذلك ، في كل أمة من الأمم ، من تقييد المساعي الخاصة ، لأن كل حكومة ، في نطاق حصتها من الصادرات المسموح بها ، تضطر إلى توزيع الجملة على المنتجين المختلفين في بلادها .

« وهكذا تؤدى تعقيدات نظام الرقابة الاقتصادية الدولية ، لا محالة ، إلى تقوية السيطرة الحكومية على الأعمال التجارية في الميدانين الداخلي والدولي جميعاً » .

وهكذا يتنسخ ، فيما يرى الدكتور

مولتون والمستر ماريو ، حلم منع الحرب بالتدابير الاقتصادية السلمية وحدها . وهما يقرران بلهجة الجزم : « إن تدابير الرقابة الاقتصادية مشكوك فى إمكان الاعتماد عليها ، وهى فضلا عن ذلك تحول دون الاستقرار الاقتصادى فى العالم ، ثم إنها على أية حال لا يمكن تنفيذها إلا إذا ظاهرتها قوة حربية كافية . فنحن مضطران إلى القول بأن القوة الحربية وحدها هى التى يعوّل عليها للتوقى من الأمم المصرة على العدوان » .

وهكذا ينزل الاقتصاديون عن عرشهم للجنود ، ولكنهم كمواطنين يعرضون اقتراحات معينة على الجنود . ولابد من القول بأن هذه الاقتراحات دقيقة محكمة ، وأنها فى النهاية غاية فى الجرأة .

ويرى الدكتور مولتون والمستر ماريو أولا : أن ينزع سلاح ألمانيا نزعاً دقيقاً ، وأن تدمر كل السفن الحربية الألمانية وكل الطائرات الحربية والبحرية ، وكل سلاح برى ألمانى ، من الدبابات والمدافع إلى البنادق والمسدسات ، وكل مصانع الذخيرة الألمانية ، وأن تسرح كل القوات المسلحة الألمانية وكل الهيئات الألمانية القائمة على تنظيم القوات المسلحة .

ويريان بعد ذلك الامتناع بتاتاً عن أى احتلال عسكرى دائم لألمانيا .

وفى هذا يقولان : « إن مثل هذه الرقابة العسكرية تتطلب عدداً كبيراً من الجند ، وتكون باهظة التكاليف . يضاف إلى هذا أنها تكون مبعث احتكاك مستمر يؤدى إلى اضطراب سياسى واجتماعى لا ينقطع » .

ومن هنا ينتهيان إلى اقتراحهما الأخير وهو : إنشاء « مجلس لكشف العود إلى التسلح ومنعه » قوامه خمسة أشخاص لا أكثر ، يساعدهم عدد صغير نسبيا من الأعوان . وفى وسع هذا المكتب أن يهتدى بسهولة إلى أية حركة ألمانية فى سبيل التسلح ، مثل إنتاج الذخائر ، أو استيراد ما يزيد على الحاجة من المواد الأساسية ، أو إعادة بناء مصانع الألومنيوم أو الزيت الصناعى أو الطائرات ، أو تدريب رجال الطيران فى الداخل أو فى الخارج أو إعادة نظام التدريب العسكرى تحت ستار التدريب الرياضى .

ومتى وقف المجلس على حركة من هذه الحركات ، فإنه ينذر الحكومة الألمانية ويطلب منها الكف عنها .

فإذا لم تكف الحكومة الألمانية فإن المجلس يكرهها على ذلك بالمبادرة إلى استخدام « القوة العسكرية اللازمة » . وتكون هذه « القوة العسكرية اللازمة » فى كل وقت رهن أمر المجلس وتصرفه .

ولا ينبغى أن يحتاج المجلس إلى طلبها من الحكومات التى عينت أعضاءه ، بل يجب أن تكون هذه « القوة العسكرية اللازمة » هى جيش المجلس .

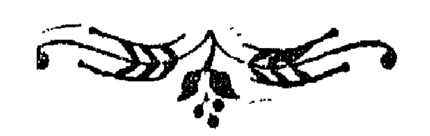
ويقول الدكتور مولتون والمستر مارليو : « ويجب أن يخول المجلس سلطة العمل المستقل . وبهذه الوسيلة وحدها ــ وهى أن تكل الحكومات الأمر إلى مجلس تنفيذى له قوات عسكرية تحت تصرفه المباشر ــ نستطيع أن نتفادى الموانع السياسية ، والتصادم والنزاع والتلكؤ ، وما إلى ذلك مما لا بد منه ، إذا وجب الحصول على الموافقة من هيئات برلمانية . وقد يكون من الويل أن يحتاج الأمر إلى انتظار المداولات البطيئة لعدة حكومات » .

ومؤدى هذا هو أن المجلس عبارة عن حكومة دولية لها قوة بوليس دولى خاصة ، لغرض واحد ليس إلا ، هو منع عود ألمانيا إلى التسلح .

وقد ينتهى القارىء من هذا الكتاب فيقول لنفسه : إن معظم الناس لا يريدون أية حكومة دولية تسيطر على العالم كله على نحو غامض . ولكن هل يمكن أن تكون هناك عدة حكومات دولية ، لكل منها مهمة محدودة جلية المعالم ، يستطيع معظم الناس أن يفهموها وأن يقروها سلفاً ؟

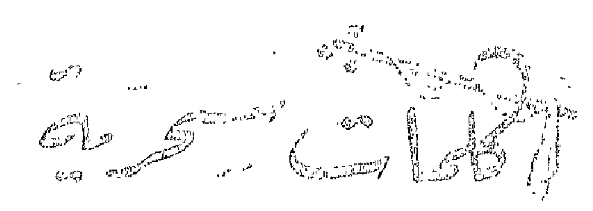
إن الدكتور مولتون والمستر مارليو ، على كل حال ، وبعد كل أبحاثهما الاقتصادية ، يقولان فى النهاية :

« فلنطرح جانباً كل مراوغة وكل تملص ضعيف ، فإن الرد الأخير المجدى على القوة هو القوة » .



أحسبنى هزمت ، وأعترف بالهزيمة ، حين ألقى من الناس مَنْ لا يسعنى أن أتعلم منه شيئاً ما .
[جورج هربرت بالمر]

الجميلات الجميلات ، والقبيحات القبيحات يجب أن تطرى فيهن مزايا الفهم والعطف ــ أما المتوسطات فأطرِ جمالهن .
[لورد تشستر فيلد]



تشارلز بولوك

مختصرة عن مجلة « ذس ويك »

منذ عهد قريب كان صديق القديم ، الشاعر والمحرّر تشارلز هانسون تاون ، يمشى فى « الشارع الخامس » بنيويورك ، فوقع نظره على امرأة رائعة الحسن فى منعطف الطريق . ولقد حدثنى عنها فقال : « هى امرأة نَصَف ، ولا شك فى أنها غريبة ، ولكنى — بعد أن ترددتُ قليلا — قلت لها : لا تؤاخذينى ، إنى رجل كهل ، ولا مراء فى حسن نيتى ، فلعلك لا تجدين بأساً فى أن أقول لك إنك من أجمل من رأت عيناى من النساء » .

فضحكتُ وقلت : « ما من شك فى أنها حسبتك مجنوناً ! »

فقال شارلى : « بل أنا نفسى حسبتُنى كذلك ، ولكننى لم ألبث أن قرّ رأيى على أنى ما فعلت فى حياتى شيئاً أحكم من هذا . لقد أشرق وجهها سروراً ، فهى قد بلغت تلك المرحلة من الحياة التى نحتاج فيها جميعاً إلى بعض ما يشدّ أزرنا . فنحن يومئذ نبدأ نرتاب فى استطابة الناس لعشرتنا وميلهم إلينا ، ومن الخير أن نجد من يقوّى ثقتنا بأنفسنا . غير أن الأكثرين من الناس يضنون بهذه الفيتامينات التى تنعش النفس » .

ولا جدال فى أن شارلى كان مصيباً ، فإن أشدنا تواضعاً ليحسّ بالغبطة حين يسمع كلمة تقدير ، وأكبر الظن أنه يضاعف جهده ليكون لها أهلا . وليس يخلو أحد منا من تلك الفترات الأليمة التى يسائل فيها نفسه : « أترانى حقا قد أجدت العمل ؟ » « أوَ قد استطابت الجماعة هذه الليلة مجلسى ؟ » وفى مثل هذه اللحظات يكون وضع يد على كتفك تشجيعاً أى تشجيع .

وليس فيمن يؤبه له من الرجال من يطلب مدحاً لم يكسبه بعمله ، أو ملقاً لا يخفى كذبه . وليس من هذا الباب التفاتنا إلى أحسن ما فى صديقنا ، وتنويهنا بمواضع الإحسان فيه دون مواضع الإساءة .

فإذا ما قلت لزوجتى إن لها وجه الزُّهرة ربة الجمال وقوامها ، فإنى أكون كذاباً وتعلم هى أنى أكذب ، وأما إذا قلت لها إنها جميلة فى عينى ، فإنها تعلم صدق هذا القول . ولعلها تقول كالمعترضة : « عجباً ، ما أنا إلا عجوز كرشاء مكتنزة » . ولكنها مع هذا عليمة كل العلم بأن الحب — وليس هو بالأعمى كما يقولون — يرى من المحاسن ما قد يخفى على غير المحب .

وإنى لأفهم وأعطف على زوجة الفلاح التى يحكى أنها قضت سنوات قائمة على الطهى والخدمة فى البيت فلم تسمع كلمة ثناء واحدة ،

غداة يوم قدمت إليهم الغـداء من علف الماشية ، فلما احتج القوم كان جوابها لهم : « ما سمعت منكم قط كلمة أفهم منها أنكم تعلمون فرق ما بين هذا وذاك » .

وليس المرء كما يتصور نفســه فحسب ، بل هو كما يتصوره الناس أيضاً . وقد جاء فى لوحة معلقة على بعض المخازن فى بوسطن : « موظفونا جميعاً مؤدبون ومقتدرون » . فمن ذا تراه من هؤلاء الموظفين يرضى لنفسه أن يخرج على هـذه الـكلمة الطيبة ويثبت على نفسه كذبها ؟

ويوم كنت فى وشـنطن ناقداً مسرحياً ناشئاً ، بلغنى أنه يحتمل أن تشهد مدينتنا بعـــد أشهر قلائل أول عرض فى أمريكا لمسرحيــة روستان الشهيرة « سـيرانو دى برجراك » ، وذاك خبر مسرحى على أعظم جانب من الخطر ، فعمـدت إلى ما كنت ادخرته من كسبي فأنفقتــه جميعاً فى رحلة إلى باريس لأشهد الممثل العظيم كوكلان فى دور « سيرانو » ، ثم قضيت معظم فراغى بعد ذلك فى التحضير والاستعداد . وفى ليلة التمثيـل الأولى فى وشنطن — وكانت من أروع الليالى — أكببت على تدبيج مقالتى .

كنت على يقين بأنى أديت عملى أحسن الأداء ، فلما لم ينوه به أحد من رؤسائى انفثأت كبريائى وتبددت سعادتى ، لولا أن جاءنى بعد الظهر كتاب حار اللهجة ظاهر الحماسة من رئيس التحرير ، وهو معلق على الحائط أمامى وأنا أكتب هذه الـكلمة . ولا يستطيع أحد أن يتصور ما أفادنيه هذا الـكتاب من عزيمة وإيمان بالجهد المبذول ، مدى خمسة وأربعين عاماً .

كلنا محتاج أن يشعر بحاجة الناس إليه ، وكلنا يحب أن يحبّ ويودّ . وأكثرنا لا يألو جهداً فى إتقان عمله ، ولـكن كيف نوقن بأننا مفتقدون ، محبوبون ، وأننا من خيرة العاملين ، إذا لم يقل ذلك لنا أحد ؟

إنه لينذر بين الناس من لا يأسف على كلمة جارحة قالها ، ولـكننى لا أعرف أحداً لم يرض عن تصريحه بالحب أو الإعجاب . ولعـل أصدق ما يقال فى هـذا المقام كلمة صديق لى صينى حييته بكلمة طيبة ، فعقب عليهـا بقوله : « إن الأزهار تترك بعض شذاها فى اليد التى تهديها » .

لا يهرم المرء حتى يحل الأسف على ما مضى محل الأحلام .

[جون باريمور]

ماتبغيه روسيا

لإنشاء قاعدة للصداقة بين شعبى روسيا والولايات المتحدة يجب أن يفهم الأمريكيون ..

ملخصة عن كتاب "وقت الحسم"

لمؤلفه سمنر ولز

وكيل خارجية الولايات المتحدة سابقاً

في السنوات الأولى التى تلى الحرب ، ستكون كبرى الدول العظمى من الوجهتين المادية والعسكرية ، هما الولايات المتحدة واتحاد جمهوريات السوفيت الاشتراكية . وسيتوقف الاحتفاظ بالسلام العالمى وتقدم الإنسانية على رغبة هاتين الأمتين فى العمل معاً ، وقدرتهما على ذلك.

وقد كانت العلاقة بين الولايات المتحدة وروسيا فى ربع القرن الماضى مطبوعة بطابع الاسترابة المتعصبة والعداء العميق الجذور من الجانبين ، وكان الرأى العام فى أمريكا مفرغاً فى قالب من المقت الإجماعى تقريباً للشيوعية بجميع وجوهها ، وخاصة مبدأها الذى يرمى إلى الثورة العالمية ، وأعمال الحكومة السوفيتية المتطرفة الدموية ، ومحاولتها عبثاً القضاء على الدين . وقد رأى الشعب الروسى ، من جانبه ، أن الولايات المتحدة والدول الأخرى الرأسمالية ، كما تسمى ، قد أقامت ضده سوراً من العداء السياسى ، ورأى الدول الغربية توفق على نقل أرض ظلت سنين عديدة جزءاً لا يتجزأ من روسيا الكبرى ، إلى شعوب أخرى . وكان عنده من الأسباب ما يحمله على الاعتقاد منذ عهد غير بعيد ، أن الدول الغربية ، رغبة منها فى صرف الدول المتلصصة عن حوزتها ، مستعدة للموافقة على الخطة الخبيثة التى وضعتها هيئة أركان الحرب العامة الألمانية لتقسيم أسلاب أخرى تنتزع من روسيا ، بين ألمانيا واليابان .

ويمكن أن نقول بإيجاز إن السجل ليس بذى جانب واحد ، فإذا لم تقم الحكومتان والأمتان بمحاولة صادقة لإيجاد قاعدة جديدة للعلاقات بين الدولتين ، فإن حجر الزاوية فى أى نظام دولى فى المستقبل سيكون معدوما .

وخليق بهذا الجهد أن يكون أسهل على الأمريكيين إذا هم تذكروا دائماً عوامل معينة بارزة فى تاريخ الشعب الروسى . ففى خلال الخمسة عشر عاماً الماضية كانت الأهداف العالية التى تنشدها روسيا تماثل إلى حد مدهش ، الأهداف التى كانت تنشدها الحكومات الروسية فى القرنين الماضيين .

وقد أحدث بطرس الأكبر أول تغيير مهم فى تاريخ روسيا ، وذلك أنه بانتزاع الولايات البلطيقية من السويد ، حصل لروسيا على « نوافذ إلى الغرب » أى المنفذ الحيوى إلى بحر البلطيق ، ولولاه لما استطاعت أن تصبح دولة أوربية ، وانتزعت كاترين وبوتمكين من تركيا سيادة البحر الأسود ، وبذلك بدءا ذلك النضال الطويل مع بريطانيا العظمى للسيطرة على الدردنيل . ولو كان فى أيدى الروسيين ، لصارت روسيا من دول البحر الأبيض المتوسط . وكانت كاترين أيضاً هى التى تواطأت مع بروسيا والنمسا على اقتسام أرض بولندة فى ثلاثة اعتداءات متتابعة حتى كانت سنة ١٧٩٥ فامحت بولندة من الوجود .

ومن سنة ١٦٨٩ إلى سنة ١٨٦٩ كان كل قيصر يعمل على التوسع المطرد لرقعة روسيا مجتازاً سباسب سيبيريا إلى المحيط الهادى . وقد انتهى هذا بأن توطدت قدم روسيا ، كدولة من دول المحيط الهادى تمتد سيطرتها التامة جنوباً إلى نهر أمور .

وقد دار كثير من تاريخ أوربا على هذه السياسات الروسية فى الماضى ، ومن رأيى أن مثل هذه السياسات سيكون لها قريباً دور مهم آخر .

ولما كانت سنة ١٩١٧ وأسقط الشعب الروسى القياصرة عن عرشهم ، كانت روسيا قد تمثلت ما استولت عليه من الأرض ، وكانت فضلا عن ذلك قد تلقت عهداً من الحكومات المتحالفة بأنها ستمنح ، فى نهاية الحرب ، السيطرة على الدردنيل . ولكن بعد أن أرغمت الحكومة البلشفية على عقد معاهدة برست - ليتوفسك مع ألمانيا التى كانت تبدو منتصرة فى سنة ١٩١٨ ، نزعت منها فى أوربا الوسطى والشرقية كل الأراضى التى كانت قد ربحتها منذ أيام بطرس الأكبر . وبعد ذلك مباشرة كسبت فنلندة بقوة السلاح استقلالها عن روسيا ، ونالت لاتفيا وأستونيا أيضاً على البلطيق حريتهما ، ومنحت لتوانيا استقلالها بمقتضى معاهدة فرساى . وهكذا أغلق مدخل روسيا إلى البلطيق .

وفى سنة ١٩٢١ بعد أن هزمت الجيوش البولندية بمساعدة الفرنسيين الجنود الروسيين عند أبواب وارسو ، حرمت روسيا رقعاً واسعة أخرى ، فيها جانب كبير من أوكرانيا . وكانت ولاية بسارابيا ، بمقتضى معاهدة فرساى قد ضمت إلى رومانيا الجديدة . وهكذا بدأت روسيا العهد التالى للحرب وهى مجردة من أقاليم واسعة مترامية فى أوربا الشرقية ، تعدها حيوية لأمنها وسلامتها .

وفى الوقت نفسه كانت أقاليم سيبريا الروسية تغزوها اليابان والدول المتحالفة الأخرى المصممة على مساعدة العناصر الرجعية فى داخل روسيا على قلب الحكومة الثورية ، وإبدالها بحكومة محافظة مسخرة لأهواء العالم الغربى . فليس مما يدهش أن يكون الشعب الروسى تربة خصيبة للدعاية ضد « الأمم الرأسمالية النهابة » وفى جملتها الولايات المتحدة . ولم يكن من شأن الزهد الطويل من جانب الولايات المتحدة فى الدخول فى علاقات رسمية مع حكومة السوفييت ، أن يبدد الشكوك والريب العميقة الجذور من الجانبين .

على أن الواقع أنه ليس ثم أسباب تقليدية أو مادية للعداء بين الولايات المتحدة وروسيا ، فما اصطدمت بها المصالح الأمريكية إلا نادراً . والولايات المتحدة هى الدولة العظمى الوحيدة التى ينبغى ، من وجهة النظر الروسية ، أن يتيسر بسهولة كبرى إنشاء صداقة دائمة معها . غير أنه لم يحصل إلا تقدم حقيقى يسير فى هذه الناحية ، فيما عدا المساعدة الحربية العظيمة القيمة التى قدمتها أمريكا .

وينبغى أن تكون الخطوة الأولى هى التفكير النزيه فى هذا السؤال : ماذا تبغى روسيا ؟ وعلى الجواب تتوقف قدرة الأمم المتحدة على إقامة نظام دولى يستطيع المحافظة على السلام فى العالم . ويبدو ، على قدر ما يستطيع المرء أن يتبين ، أن حكومة السوفييت عادت إلى اعتناق الفكرة التاريخية عن مصالح روسيا العالمية .

ويبدو لى أنه فى الشمال الشرقى من آسيا ، ستحاول حكومة السوفيت عند



انتهاء الحرب مع ألمانيا أن ترد اليابان ، إلى مركز يتركها عاجزة عن تهديد السيادة الروسية . وقد ينضم اتحاد جمهوريات السوفيت فعلا إلى الحرب ضد اليابان ، أو يساعد الحلفاء على إنزال الهزيمة بها . ومتى أقصيت اليابان عن أرض القارة الأسيوية فإنه يكون من المعقول أن يطلب الاتحاد السوفيتي الرجوع بروسيا إلى المركز الذى كانت فيه قبل سنة ١٩٠٦ — أى السيادة على كل جزيرة سخالين ، وتثبيت مركزها الحالى فى سنكيانج ومنغوليا الخارجية ، وحماية مصالحها المالية والتجارية حماية تامة فى منغوليا الداخلية .

وفى الشرق الأدنى ، يبدو أن تصريح طهران الذى يؤيد استقلال إيران ، دليل مقنع على أن اتحاد السوفيت لا يبغى إلا الحماية ، على قدم المساواة مع الدول الأخرى ، لتجارته المشروعة فى المناطق الواقعة شمال الخليج الفارسى . على أن التكهن بالسياسة الروسية فى أوربا الشرقية والبلقان ، أصعب. ففى آخر سنة ١٩١٦ طلبت الحكومة القيصرية الروسية جزءاً من بروسيا الشرقية ، وأن تكون حدودها الغربية فى الكربات ، وأن تكون لها السيطرة على الدردنيل . وكانت الفرص التى كان يبدو أنها تنشدها يومئذ فى البلقان ، خليقة أن تكفل لها « منطقة نفوذ » سياسية من غير استيلاء على أرض ما ، داخل تلك المنطقة .

ويستفاد من الدلائل الحاضرة أن أطماع حكومة السوفييت ليست مختلفة عن تلك فى أية حال ، فهى تأبى البحث فى موضوع إعادة جمهوريات البلطيق الثلاث إلى الاتحاد السوفيتى. أما فيما يتعلق ببولندة فقد أظهرت حكومة السوفييت بجلاء أنها تصر على أن تجرى حدود بولندة الشرقية على ما يسمى خط كيرزون الذى رسم سنة ١٩١٩ ، تقريباً .

وهذا الخط الذى رسمه مؤتمر فرساى كان فى بداية الأمر موضوع احتجاج بولندة بحجة أن الحدود البولندية سنة ١٧٧٢ ، وهى التى خطتها أمواج الفتح غير الثابتة ، يجب أن تعاد . فلما أبت حكومات الحلفاء أن تغير قرارها الذى يقضى بأن لا تضم إلى جمهورية بولندة الجديدة إلا الأرض التى لا نزاع فى أن أهلها بولنديون ، حاول المارشال بلسودسكى أن يرضى آمال البولنديين بالقوة المسلحة ، وبعد أن انهزمت روسيا دخل فى الحدود البولندية أقوام من الروسيين ، والروسيين البيض ، والأكرانيين يبلغ عددهم عدة أضعاف البولنديين الأصليين فى تلك المناطق .

ليس ثم شىء قدسى فيما يتعلق بالحدود البولندية الشرقية كما خطت حينئذ ، وحرى

بخط كرزون الذى لا يدخل فى بولندة إلا المناطق التى فيها كثرة بولندية ، أن يقيم حدوداً أكثر انطباقاً على مبدأ تقرير المصير، وأن يكون من أجل ذلك أكفل للاستقرار فى هذه الناحية المرزوءة من شرقى أوربا .

وقد أعلنت حكومة السوفيت مراراً أن روسيا تريد استقلال فنلندا والنمسا والمجر ورومانيا وبقية ولايات البلقان ، وستسترد حكومة السوفيت — وينبغى أن تسترد — إقليم بسارابيا الذى انتزعته منها رومانيا فى سنة ١٩١٩ .

أما الدردنيل الذى ظل عدة أجيال عاملا مسيطراً على السياسة الخارجية الروسية، فإن تقدم الطيران قلل كثيرا من قيمته الاستراتيجية لروسيا وأمنها وسلامتها ، وليس ثم ما يجعل مسألة المضايق التاريخية مثاراً لمتاعب إلا إذا لم تكن هناك هيئة عالمية يشترك فيها اتحاد السوفيت ، وكانت السياسة التركية تهدد مصالح روسيا الحيوية.

ولحكومة السوفيت حق مشروع يخولها أن تشجع قيام نظام إقليمى فى أوربا الشرقية قوامه حكومات مستقلة متعاونة حسنة النية، فى البلاد المجاورة لروسيا كحق الولايات المتحدة ، الذى يسوغ تشجيعها نظاماً أمريكيا مؤلفاً من إحدى وعشرين جمهورية أمريكية ذات سيادة ، فى النصف الغربى من الكرة الأرضية . ولا شك أنه إذا حاول اتحاد السوفييت أن يستخدم مثل هذا النظام الإقليمى للسيطرة على الشئون الداخلية لدول مستقلة تمهيداً لضمها فيما بعد إلى الاتحاد السوفيتى نفسه ، فإن أمم العالم الأخرى لا يسعها حينئذ أن تعد ذلك دليلا على أن روسيا قد شرعت فى اتباع سياسة ترمى إلى التوسع . ولكن ، من جهة أخرى ، إذا كان مثل هذا النظام قائماً على مثل القواعد العامة التى يقوم عليها النظام الأمريكى الذى يكفل لكل دولة استقلالها وسيادتها ، فإنه خليق أن يصبح أحد الأركان فى نظام عالمى وطيد .

وينبغى أن تؤيد السياسة الخارجية للولايات المتحدة هذه المبادئ :

١ — من حق حكومة السوفيت أن تعين حدودها بحيث تكفل لها الأمن والسلامة ، مع مراعاة حق الشعوب التى تقطن الأقاليم التى يعنيها الأمر ، فى تقرير مصيرها ، على أنه يجب الاعتراف بأن الطريقة التى جرى عليها اتحاد السوفيت فى الاستفتاءات التى حدثت فى عام ١٩٣٩ ، جعلت هذه الاستفتاءات لا أكثر ولا أقل من وسيلة لستر الاحتلال العسكرى . فإذا أريد الاستيثاق من أن حدود روسيا فى المستقبل لا تلحق بها إلا مواطنين راغبين لا زاهدين ،

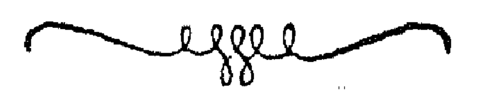
فإنه يحسن بحكومة السوفيت أن تجرى استفتاءاً علنيا فى كل حالة تدعو إلى الشك فى إرادة الأكثرية ، وأن تسمح لكل الأفراد الذين لا يرغبون أن يكونوا مواطنين فى الاتحاد السوفيتى أن يرحلوا بما يملكون، وأن تعوضهم تعويضاً كافياً عما يضطرون إلى تركه والتخلى عنه من أملاكهم .

٢ — ولحكومة السوفيت الحق فى أن تتخذ من الخطوات ما تراه واجباً لإنشاء نظام إقليمى فى أوربا الشرقيـة . وليس للولايات المتحدة ما يخولها فى رأى أن تعترض إلا إذا تدخلت حكومة السوفيت فى الشئون الداخلية للأمم الأخرى ، لأن هذا التدخل يقضى على قاعدة أى نظام دولى صالح ، فتصبح الدول الأخرى مضطرة أن تتخذ التدابير التى تكفل لها سلامتها وأمنها .

على أنى أعتقد أن روسيا ستعمل وفق المبدأ القائل بأن رخاءها وأمنها لا يكفلهما إلا نظام دولى قادر على الاحتفاظ بالسلام فى العالم ، فإذا انتهجت هذه السبيل فإن ثم عدة طرق تستطيع بها الولايات المتحدة أن تساعد الشعب الروسى فى مهمة التجديد والتحول الصناعى .

وستكون حاجة روسيا عظيمة فيما بعد الحرب مباشرة، إلى الاعتمادات المالية، وإلى خبرة الاخصائيين، وإلى الآلات والمعدات من كل نوع . وتكاد الفرص التى يتيحها هذا الوقت للنشاط الأمريكى ولتجارة الصادرات الأمريكية ، تكون بغير حصر . والتجارة المتبادلة وسيلة فعالة لإيجاد علاقة وثيقة محمودة بين الدولتين ، ومن شأن ذلك أن يفيدهما معاً سياسيا ومادياً إلى مدى بعيد .

وثم من الاحتمالات ما يجعل روسيا أعظم دولة فى العالم ، وفى وسعها أن تصبح أعظم خطر هدد العالم إلى الآن ، وفى مقدورها كذلك أن تكون أكبر قوة تعمل للسلام والتطور والتقدم فى العالم . وليس من المبالغة فيما أرى أن أقول إن منهج روسيا فى المستقبل يتوقف إلى حد كبير على إمكان إقناع الشعب الروسى وحكومتـه بأن مصلحتهما الحقيقية الدائمة هى فى التعاون مع الولايات المتحدة على إنشاء نظام عالمى ديمقراطى فعال والاحتفاظ به .



ليس فى الحياة ما هو حقيق بأن يُرهب ، بل إنه لحقيق بأن يُفهم .

[مارى كورى]

الطبيب الفنان

جوزيف أوسلاندر

لما تبين تونى ، بائع الثلج ، فى وجهى دلائل السقم ، يومئذ عرفت طبيبى هذا .

ومن كان مثلى شاعراً ناشئاً قليل المال فإنه يتناول طعامه حيثما استطاع ، فلا غرو إذا كان أكثر ذهابى فى تلك الأيام إلى مطعم رخيص كان تونى أيضاً من مرتاديه .

وفى إحدى هـذه المرات قال لى تونى بلهجة أهل نابولى ، وقد شابت رائحة الثوم أنفاسه : « إنه رجل ذو مروءة ، وهو بسيط مثلنا . ثم هو ردّ السقيم سليما . ستلقى من يديه العون » .

فمضيت إلى ذلك الشارع الرثّ من شوارع نيويورك الجانبية حيث يقيم الطبيب ، فراعتنى منه لأول وهلة عيناه ، لقد كانتا عجيبتين فى لطفهما وصراحتهما كأنهما عينا طفل ، فإذا ضحك — وكثيراً ما كان يضحك — تحدّدت أساريره حتى صدغيه .

ولقد كنت خائفاً على مصير العشرين ريالا التى كانت معى وعليها معوّلى بقية الشهر . فما أتم الطبيب كشفه علىّ ، حتى سألته عن الأجر . « أجر ؟ » وضحك كأنها نكتة سمعها : « أنت غير مريض — إنما هو الكد والعمل المرهق . أتأجُرنى لأنى أخبرتك بذلك ؟ ثم ، أنت شاعر ، وأنا أحب الشعر . أنشدنى قصيدةً تكن قد أدّيت إلى حسابى كله » .

وهبطت درج السلم المتهدم وبى خفة ونشاط عجيب . ولم أكن أدرى أن طبيبى كان يستطيع ، لو شاء ، أن يكون مستشاراً ضخم المرتب فى أى مستشفى فى المدينة من المستشفيات الراقية الزاهرة الأنيقة ، فقد كان الرجل مشهوراً بحذقه العجيب المنفرد ، ولكنه ردّ كل عرض من هذا القبيل . إن رثاثة الحال والفقر اللذين كابدهما حتى نال شهادة الطب ، قد أورثاه هذه الرحمة المشرقة النادرة المثال ، فأيقن من نفسه أنه باق على الدوام طبيباً للحىّ الذى هو فيه ، يخدم الناس الذين أحبهم وفهمهم فى هذا الجانب المتهدم الذى يستدبر البحر من نيويورك . ولقد كان الرجل سعيداً بهذا الذى أيقنه من نفسه .

وأصبحنا فى الأعوام التالية أصدقاء تربط بيننا صداقة وثيقة ، وجعلت شيئاً فشيئاً

جوزيف أوسلاندر شاعر من أعلام الشعراء الأمريكيين ، وكان محاضراً فى جامعتى هارفرد وكولومبيا سنوات عدة ، وكان إلى عهد قريب مستشاراً فيما يتعلق بالشعر فى مكتبة الكونجرس فى وشنطن . وهو الآن فى إجازة طويلة يقف ...ه كله على الكتابة والتأليف .

أضم شتات هذه المعلومات التى جعلت منه عندى شخصية لا تنسى .

كان أبواه من المهاجرين ، وكان طبيبى رضيعاً حين مات أبوه . وقد حدثنى كيف كانت توقظه فى الساعة الرابعة صباحاً ، وهو غلام صغير ، جلبةُ آلة الخياطة التى تشتغل عليها أمه . وكأنما كانت فى جلبتها تردد : « كركر ! كركر ! كركر ! سبعة أفواه لا بد من إطعامها . كركر ! كركر ! كركر ! سبعة أفواه لا بد من إطعامها » ، فقد كانت أمه إحدى أولئك النسوة المساكين اللواتى استغلهن نظام فاسد انمحى اليوم وعفا أثره : كانت تصنع الجوارب فى البيت تلقاء أجر زهيد على آلة خياطة وبخيط تمدّها الشركة به .

وظلت آلة الخياطة دائرة صاخبة ، حتى كبر الأطفال الستة وبلغوا سن العمل . وذهب طبيبى وهو حَدَث يعمل فى مصنع للعلب ، وكان يقوم من فراشه فى الساعة الخامسة ، ويمشى على قدميه أربعة أميال ليقتصد أجرة الركوب ، ويظل واقفاً اثنتى عشرة ساعة يكوّم العلب بعضها فوق بعض ، ولا تدفئة فى الشتاء ، ولا نوافذ للتهوية فى الصيف ، طعامه كسرة خبز أو شريحة صغيرة من اللحم المجفف فى الغداء ، ولكنه كان بعد هذا الكد المتصل المضنى يذهب إلى مدرسة ليلية ، فإذا رجع إلى الدار كانت كلها حالكة الظلمة — إذ كان صاحب الدار يطفىء نور الغاز فى الساعة العاشرة ، فكان يأخذ شمعة إلى غرفة دورة المياه فى السطح (حتى لا يوقظ النور سائر أهله) وينكبّ على الدرس هناك فى البرد .

وفى ذات يوم تقدم إلى رئيس العمل ، فحدد بصره إليه وصاح فى وجهه : « لا زيادة فى الأجر » .

فأجاب الفتى فى هدوء : « هذا أمر لا شأن له بالزيادة ، بل أنا ذاهب إلى الكلية » .

وذهب الفتى إلى الكلية ، وظل سنوات يكافح من ألوان الصد والخيبة مالا حاجة هنا إلى ذكره .

وأصبح طبيباً ، فكان مرضاه كأنهم أولاده . كان أباً رفيقاً وإن يكن غير مصقول الحواشى ، فلم يكن يعرف المناغاة ولا المداهنة الناعمة ، وإنما هو فيض متدفق يغمرك . وإذا هو فحصك ، مرت أنامله على بدنك كأنما يمر بها على معزف يختبر كل وتر فيه فلا يخطىء اللمس . إنه لحاذق بارع ، له يد فنان وقلب طفل . وهذا الحب الذى فى قلبه هو الذى يشفى المرضى بقدر ما تشفيهم أدويته على السواء . وكان يعد كل حالة يعالجها لغزاً إنسانياً يرتاد مجاهله .

وإنى لأذكر المعجزة التى أتى بها حين

وقعت أمه فانكسر عظم وركها وهى فى الثمانين من عمرها ، فقد كان مما لا يتصوره الوهم أن تستطيع المشى ثانية — بل لم يكن يتصور أحد أنها تعيش بعد هذه الصدمة ، ولكن طبيبى أنقذها وجبر كسرها على رغم ذلك كله . ولما كان جسمها أضعف بنياناً من أن يحتمل القوالب ويطيق الشدّ ، فقد جعل من أصابع كفيه الحساسة القوية مهداً تستقر عليه هذه العظام المهيضة طوال الخمسة الأيام والليالى الأولى ، حتى بدأت العظام تلتئم . ولم يتخلل هذا السهر المتصل إلا فترات للراحة قصيرة قليلة . وحين رأيتها آخر مرة كانت تذهب وتجىء منهمكة فى أعمال البيت .

فإذا ما عرضت حالة لا تسير كما يشتهى رجع على نفسه باللائمة ، فيقول لى : « يا جوزيف ، لا شك أن هنالك شيئاً كان يجب أن أفعله ، أو أن هنالك شيئاً فعلته وكان يجب أن لا أفعله . لعلى لم أتوجه إلى الله كما ينبغى ، أو لعلى غضبت لشىء من الأشياء فأخرجنى غضبى عن رعاية مريضى هذا حق الرعاية » .

ولقد علمت أنه كثيراً ما يجود بالمال على الفقراء من مرضاه . وكان يقول لى : « أتدرى ، كان فى جيبى هذا الصباح أربعون ريالا ، وأنا الآن مفلس ! » . ثم يخبط على جيوبه بشدة : « ماذا عساك فعلت بهذا المال ؟ مهلا إن مسز مارجوليز العجوز أخذت خمسة ريالات ، وأما الباقى... حسناً ، لقد كان فى عيادتى اليوم عدد كبير من الفقراء ! » .

وفى الكثير من الأحيان كان من يعجز من النساء عن دفع أجره الطفيف يحمل إليه كعكة أو رغيفاً طازجاً ، وكانت لديه خزانة مشحونة بالهدايا من المرضى الشاكرين له فضله وحسن صنيعه رجالا ونساء — كدُرّاعات من الصوف ، وشيلان ، وقفازات من الصوف ، وأكداس من الجوارب (معظمها من قياس لا يناسبه) وكلها مما حاكته له نساء الحى ، أو مساند الكتب من صنع التلاميذ فى تمرينهم على الأعمال اليدوية ، أو مطارح الجلد التى توضع على المائدة تحت الصحون ، أو مظلات للمصابيح من الودع والخرز . وفى الحين بعد الحين كان يرسل هذه الأشياء المتجمعة إلى حيث يستفاد منها .

وكان يستصرخ بى فى بعض الأيام بالتلفون « لقد هدنى التعب . وإذا كنت لا تستطيع الحضور من فورك فأنشدنى الآن بعض الشعر فى التلفون ، فإنه يزيل هذا الذى يأخذ بخناقى » . وأظن أن الشعر كان أحب شىء فى الدنيا إليه خلا صناعته وأسرته .

وقد أطلعنى على استحياء مرة أو مرتين ، على بعض أبيات نظمها ، وهى على سوء نظمها موفورة القوة والجمال .

ولطبيبى شغف بالغ بالأزهار والمروج الخضر واختلاف ألوان الفصول ، ولكنه مع ذلك قلما ابتعد عن أرصفة نيويورك إلا فى نزهة فى الزورق على نهر الهدسون . وأبعد مرة فذهب إلى فلوريدا ليقضى شهراً مع زوجته وأولاده ، فلم يمض أسبوع حتى رجع ، لانشغال باله بما عساه يحدث لو عاود ورم الثدى فلانة ، أو لو جاء فلانةَ المخاضُ بالولد الخامس قبل الموعد بأسبوع .

بل كأنما تحالفت الأيام على أن لا تسمح له بالراحة . فقد اتفق ، بعد أكثر من سنتين لم يسترح فيهما يوماً واحداً ، أن ذهب مع أسرته ليقضى أسبوعين فى أحد المصايف ولكنه لم يكد يستقر حتى تفشى وباء فى بعض المصايف المجاورة بين غير ذوى المناعة من الصغار . فلما تبين أنه شلل الأطفال ، انتقل إلى ذلك المصيف وجعل يعمل ليل نهار من غير ملل ، يعزل ذوى الحالات المشتبه فيها ، ويتخذ التدابير الصحية ، ويتعهد المرضى ، فبرىء برءاً كاملا ستة أطفال من سبعة أصيبوا إصابة بالغة ، وخرج السابع الباقى يظلع ظلعاً خفيفاً ، ولكن لم يستبد بساقيه العجز .

وذات مرة ظل مشتاقاً أسابيع يرقب ليلة عرس . وهو عرس اثنين من أعز زبائنه عنده : فتاة إرلندية حسناء ، وشاب إيطالى جميل . وكان مولدهما على يديه ، وقد وعد أن يخلو من العمل اليوم كله ، وأن يرتدى أحسن ملابسه ، وأن يأتى مبكراً وينصرف متأخراً . فهو فى هذه المرة قد عقد عزمه على أن يأكل ، ويشرب ، ويغنى ، ويرقص .

فلما وصل متأخراً لحالة مستعجلة عاقته أجلسوه فى الصدر وأمامه قدح من النبيذ الأحمر وصحفة من الفراريج المشوية . فإذا عظمة قد نشبت فى حلق أم العروس ، وما كاد يفرغ من إخراجها حتى سنحت منه التفاتة إلى أخيه الأصغر وقد حشا جوفه بالكعك والحلوى ، فإذا به قد انتشرت على إهابه — انتشار النغم فى سنفونية صاخبة — نقط حمراء قرمزية ، هى الحصبة ! ثم بعد أن أرقدوه فى فراشه ، إذا بإحدى العمات يأخذها المخاض ، ووافى المولود قبل أن يتسع الوقت لحمل المرأة فى سيارة إلى عيادة الطبيب . على أنها لم تكن المرة الأولى التى تولى التوليد فيها على مائدة مطبخ ، ولكنها كانت أول مرة قام فيها بالتوليد فى ليلة عرس .

وفى ساعة متأخرة من هذه الليلة ، كلمنى بالتلفون ، وقال فى لهجة المهموم :

« يا جوزيف ، أرى أن فى الأمر قدراً معاً كساً . لقد أردت مرة بعد حين من الدهر أن أقضى يوماً فى لهو وطرب ، وصرفت عن ذهنى كل شىء سوى ذلك ، فإذا بهذه الأشياء تحدث . لقد عملت فى هذه الحفلة أكثر من عمل يوم كامل فى عيادتى ! » ثم تنهد وقال : « لعل هــذه هى أوقات السعادة التى خصصت بها وخلقت لها ! »

كان هــذا منذ عشر سنوات مضت ، وبالأمس فقط بلغنى أن طبيبى قد وافاه الأجل . لقد مات فقيراً ، وكانت جنازته بسيطة ، نبيلة ، قصيرة التشييع ، ولكن ماخلفه من الذكريات الغالية التى لا تقدر ، ومن عبرات أبناء الحى ودعواتهم من كل جنس وكل ملة — هى أثره الدائم وتمثاله القائم .

أيها الطبيب والصديق تحية ووداعاً !

نفسية الصغير

عرضت والدتى أن تعنى بابنــة صديقة لها ، حين اضطرت للسفر ، وكانت الفتاة فى العاشرة .

دخلت دوروثى فى الصباح الأول حجرة الطعام ولكنها لم تأكل شيئاً ، فسألتها والدتى : ما بالك يا دوروثى ألا تحبين شيئاً مما نقدمه للفطور ؟

فقالت دوروثى : لا

فقالت والدتى : ماذا تقدم والدتك للفطور ؟

فأجابت دوروثى تقدم دائماً « فطيراً » ساخناً . وظنت والدتى أن بالفتاة حنيناً إلى بيتها ، فرغبت فى الترويح عنها ، فهرعت إلى المطبخ وعادت بعــد غياب طويل ، بصحن ملىء بالفطير الأسمر الساخن وقدمته لضيفتها الصغيرة ، فقالت دوروثى : « شكراً . لا » .

فدهشت والدتى وقالت متعجبة : ولــكننى ظننت يا دوروثى أنك قلت إن والدتك تقدم فطيراً ساخناً للفطور .

فقالت دوروثى فى هدوء : « أى نعم إنها تقدمه ، ولــكننى لا آكله » .

[ماى آن ريام]

أربعون دقيقة غيرت وجه الحرب

هذا حين إماطة اللثام عن غارة حاسمة شنها سلاح الطيران البريطانى فأرجأت إنتاج القنابل الطائرة الألمانية .

ألان ميكى
ملخصة عن مجلة "ستردای نایت"

في أصيل اليوم السابع عشر من أغسطس سنة ١٩٤٣ اجتازت البحر الشمالى أسراب هادرة مؤلفة من ٦٠٠ قاذفة ليلية ضخمة ، وفى اليوم التالى ورد فى بلاغ وزارة الطيران البريطانية أن غارة شنت على مركز البحث والتحسين فى بيناموندى .

وهذه الكلمات الغامضة قصداً فى البلاغ تنطوى على قصة من أروع قصص الحرب . وقلّ من علم حينئذ أن قيادة القاذفات البريطانية ، كسبت معركة جوية كانت نقطة تحول فى الحرب . وقد ظل ذلك سراً مكتوماً مدى سنة تقريباً ، إلى أن بدأت القنابل الطائرة الأولى تسقط على لندن .

كان الهجوم الجوى البريطانى ، قد أحدث حتى ربيع سنة ١٩٤٣ جراحاً بالغة فى وجه ألمانيا ، فلم يكن للنازيين بدّ من أن يحصروا إنتاجهم فى الطائرات المقاتلة ، ليصدّوا قاذفات الحلفاء .

ولم يلبث سلاح الطيران الألمانى ، بعد هبوط قوته القاذفة إلى بضع مئات من الطائرات العتيقة ، أن غدا عاجزاً عن اختراق الدفاع البريطانى ، إذا استثنينا غارات صغيرة تأثيرها كوخز الإبر . ولكن لم تزل هناك القنابل الطائرة والصواريخ بعيدة المدى ، لإرضاء ما يطالب به الشعب الألمانى من الردّ على قذائف الحلفاء بمثلها . فإذا كان فى الوسع صنع هذين السلاحين صنعاً واسع النطاق ، فإنهما يمكنان الألمان من الانقلاب إلى الهجوم الجوى بدون أن يستعملوا قاذفاتهم العزيزة وطياريهم .

واتخذ القرار ، وأصدر هتلر أمره بإنجاز تجارب القنابل الطائرة والصواريخ ، واستعجال صنع مقادير وافرة منها .

وكان المركز الأول لتحسين صناعة هذه الأسلحة ، معهد البحث التابع لسلاح الطيران الألمانى فى بيناموندى ، الذى أخفى بدهاء فى غابة تلى ساحل بحر بلطيق ، على ٦٠ ميلا إلى الشمال الشرقى من مدينة شتتين ، وعلى ٧٠٠ ميل من إنجلترا ، وكان قد أقيم له حاجز من الأسلاك المكهربة لرد كل فضولى مستطلع .

حشـد الألمـان في بينامونـدى أبرع الفنيين وأعلى الباحثين مقاماً في علوم الهندسة والطيران ، وعهد برئاسته إلى العالم المرس الميجر جنرال ولفغانغ فون شاميه جليز تسنسكي ، البالغ من العمر تسعا وأربعين سنة . وانضوى إليه بضع آلاف من الأساتذة والمهندسين والخبراء في المحركات النفاثة والقذائف الصاروخية ، وأمروا أن يصلوا في بحثهم ، أثناء الليل بأطراف النهار ، لأن هتلر عقـد رجاءه على أن يطلق أسلحته السرية في شتاء ١٩٤٣ — ١٩٤٤

كان المتحمسون يعتقدون أن الأسلحة السرية تسـتطيع أن تحسم الحرب في ٢٤ ساعة . أما الألمان الذين كانوا أدنى إلى تقدير الحقائق ، فكانوا يرجون أن تمزق الإنتاج الحربي البريطاني وترجىء الغزو ، أو أن تحمل الحلفاء على التعجيل بغزو ساحل كاليه المحصن أحكم تحصين ، حيث ينوى الألمان أن ينشئوا القواعد لإطلاق الأسلحة الجديدة . وحتى إذا ثبت أن هذه الأسلحة غير حاسمـة ، فالرد على القذف البريطاني بمثله يعزز الروح المعنوية الألمانية ، ويصلح فيما بعد للمساومة في عقد الصلح .

في يوليو سنة ١٩٤٣ كانت تقارير قسم المخابرات البريطانية قد حددت أن بينامونـدى هي المحضن الأول للقنابل الطائرة والصواريخ وأعد ملف يحتوى على تقارير وصـور صورتها المستكشفات الجوية ، وأعطى للجنة خاصة من لجان الوزارة البريطانية فاقترحت أن يجعل سـلاح الطيران البريطـاني ، بينامونـدى في طليعة الأهداف التي يعالجها . وقرر الإرتشيف مارشال هارس أن يشن غارة مفاجئة ، في الليالي المقمرة التالية .

كان الألمان قد أهملوا الاحتياط الدقيق في بينامونـدى ، فكانت القاذفات البريطانية تمر فوقها ليلة بعد أخرى في طريقها إلى شتتين أو برلين ، وكان الألمان الذين في بينامونـدى يراقبونها عابرة فوقهم ، آمنين مؤمنين أن البريطانيين لم يتبينوا قيمة بينامونـدى .

وأخذت صور استكشاف خاصة لهذه الغارة ، وكان لابد من دقة الاحتياط في أخذها لكى لا ينـذر الألمان بأن سلاح الطيران البريطاني مهتم بهذا المكان . وقد اخذت خـلال غارة استكشاف عادية فوق موانىء بحر بلطيق ، وهو عمل ألفه الألمان ولم يبالوه ، ولكنها مكنت منظمى الغارة من أن يتبينوا ويختاروا الأهداف الثلاثة ، حيث يبلغ الأذى أعظمه ، إن دمرت .

كان الهدف الأول مسكن العلماء والفنيين والثاني حظائر القنابل والصواريخ التجريبية ومصانعهـا ، والثالث مباني الإدارة وهي تحتوى على رسوم التصميم والتفاصيل الفنية .

واختير ليل ١٧ أغسطس إذ يكاد القمر يومئذ يكون بدراً .

لم تقل القيادة لرجال القاذفات أكثر من أن بينامو ندى مركز تجربة لجهاز «رادار» وأنهم سيجدون فيها طائفة من العلماء الألمان ، وأن مهمتهم أن يقتلوا منهم أكبر عدد مستطاع . وبعد ذلك قرئت جهراً مذكرة خاصة أعدها أركان حرب قيادة القاذفات :

« يجب أن يدرك رجال جميع الطائرات ما يعلق بهذا الهدف من شأن عظيم وضرورة تدميره في هجوم واحد . فإذا أخفق الهجوم في تحقيق الغرض ، وجب أن يكرر في الليالي التالية بصرف النظر عن الخسارة — في حدود الطاقة » .

فأقلع نحو ست مئة قاذفة ضخمة من ذوات المحركات الأربعة ، وانطلقت مدمدمة نحو بينامو ندى من طريق غير مباشر . ويلوح أن حماة بينامو ندى اعتقدوا أن القاذفات متجهة إما إلى شتتين وإما إلى برلين ، فأخذوا على غرة . وأقدمت الطائرات كاشفة الطريق أولا ، وانقضت دانية من نطاق الهدف وألقت مشاعلها الملونة حول الأهداف المختارة . وتلتها القاذفات ، وفيها مناظير جديدة محكمة لتسديد القنابل ، ولم تحفل بدفاع المدافع المضادة ، وكان ضئيلا ، فأقبلت موجة بعد موجة تلقى قنابلها الشديدة التفجر والمحرقة ، من ارتفاع بضع آلاف من الأقدام ، على الأهداف الثلاثة البينة . فلم تنقض أربعون دقيقة حتى كانت المنطقة كلها شعلة متوهجة .

وحين استدبرت الموجة الأخيرة من القاذفات بينامو ندى واتجهت إلى قواعدها لحقت بها المقاتلات الليلية الألمانية التي ظلت تنتظرها عبثاً حول برلين ، ففقدت ٤١ قاذفة بريطانية ، وهو ثمن يسير لانتصار من أعظم الانتصارات الجوية في هذه الحرب .

وذهبت طائرة مستكشفة من طراز سبتفاير ، في الصباح التالي لتصوير ما لحق المركز من الدمار ، فإذا نصف مساكن العلماء وعددها ٥٤ قد محيت ، وأصيبت البقية بضرر فادح ، وإذا أربعون مبنى بينها مبانى تجميع الآلات ومعامل البحث قد دمرت تدميراً تاماً وخمسون مبنى قد أعطبت .

وبعد أيام بدأت تتسرب أخبار عن عواقب أخرى أبعث على الرضى . فمن سبعة آلاف عالم ألماني ، كانوا مقيمين في بينامو ندى قتل أو فقد خمسة آلاف . ذلك بأن القنابل البريطانية من « ناسفات الربوع » اقترنت في ذيول الغارة بالمواد المتفجرة الألمانية المخزونة هناك ، فأحدثت انفجاراً عظيما قتل أناساً كانوا يسكنون على بعد ثلاثة أميال .

وقد مات العالم الألماني الأول فون شاميه جليزنسكي في أثناء الغارة ، وتسربت

روايات من ألمانيا ، بأن رجال الجستابو قتلوه رمياً بالرصاص . وبعد انقضاء يومين على الغارة ، أعلن الألمان وفاة الجنرال جشو ناك الشاب رئيس هيئة أركان الحرب فى سلاح الطيران الألمانى ، وأحد المقربين إلى هتلر ، وكان فى تلك الليلة زائراً فى بينامونىى . ثم اعترف الألمان بأن الجنرال أرنست أوديت الطيار القديم فى الحرب العالمية الأولى ، والمنظم الأول لسلاح الطيران النازى ، لقى حتفه فى أحوال غامضة . ويحتمل أن يكون أوديت ، وهو رئيس الإدارة الفنية فى وزارة الطيران الألمانية ، كان حينئذ فى بينامونىى .

ووقعت الغارة فى نفوس النازى وقعاً عظما . فبدأ رجال الجستابو يستجوبون الأحياء ويبحثون فى البلاد المجاورة بحثاً دقيقاً عن خونة نقلوا إلى سلاح الطيران البريطانى طرفاً من أخبار بينامونىى . وقلد الجنرال والتر شريكنباك ، أحد رجال المخابرات السرية فى كتائب القمصان السود قيادة المنطقة وصدر إليه الأمر بأن يستأنف العمل فى القنابل الطائرة والصواريخ .

ولكن لم يكن بدّ من إفراغ الخطة الألمانية فى قالب جديد . فتدمير نصف بينامونىى وتعرضها للهجوم فيما بعد ، أوحيا أن تبنى المختبرات فى جوف الأرض

(روت مصادر الأنباء السويدية أنها بنيت على جزائر فى بحر بلطيق) . وقتل خيرة العلماء والخبراء المتخصصين اقتضى بحثاً عن آخرين لمواصلة العمل .

وكان من عواقب هذا التأخير أن عجز النازيون عن الشروع فى استعمال سلاحهم السرى فى الشتاء الماضى ، وقد عانوا مشقة عظيمة فى مداراة الحالة المعنوية الألمانية . خلال غارات الحلفاء المستمرّة .

ثم إن استعمال الأسلحة السرية الألمانية تأخر كذلك من جراء الغارات الجوية على قواعد إطلاق القنابل الطائرة والصواريخ فى منطقة با دى كاليه ، وعلى المصانع ، التى تصنع أجزاء هذه الأسلحة . وكذلك قيل للشعب الألمانى ، إن الأسلحة السرية إنما صنعت لمقاومة الغزو ، وانها تدخر لنسف الحلفاء فى الموانىء وعلى السواحل . ومع ذلك فقد أخذ الألمان على غرة بيوم الغزو فلم تسقط القنبلة الطائرة الأولى على لندن ، إلا بعد انقضاء سبعة أيام .

ولو لم تنسف بينامونىى يوم نسفت ، لبدأت غارات القنابل الطائرة على لندن قبل ذلك بستة أشهر ، ولكانت أمرّ وأشد ، ولأصيبت مواصلات لندن ، وهى جماع الحركة فى تنظيم الغزو والتأهب له ، إصابة شديدة ، ولربما أرجأت الغزو نفسه .

اب يتذكر

فيما بعد

قصة قصيرة

ميخائيل فوستر

ملخصة من مجلة "كوزموبوليتان".

يالعجب لهذه الأشياء التي أنت ذاكرها إذا ما انهارت الحياة فجأة من حواليك وخلفتك قائماً ثمة وحيداً . وليست هي المطالب العظيمة المهمة ، ولا هي الخطط التي رسمتها للمستقبل ، ولا الآمال التي كدحت من أجلها كدحاً طويلا ، بل هي أشياء هينة لم تلق بالاً إليها وقت حدوثها : كلمسة يد وأنت في أمر يشغلك عنها ، أو صوت ترف فيه بارقة خفية من الأمل ، وأنت لا تحفل بالإصغاء إليه .

هذا ما فطن إليه جون كارموني وهو واقف ينظر من نافذة غرفة الجلوس إلى الطريق يعج تحته بحياة مرحة . لقد ظل يحاول تذكر المطالب العظيمة المهمة ولكنه عجز عن أن يتمثلها واضحة في ذهنه . وكل ما يذكره الآن هو شيء قالته له ابنته الصغيرة ذات مساء ، منذ ثلاثة أسابيع تقريباً .

ففي ذلك المساء ، حمل معه من المكتب إلى الدار النص النهائي للتقرير السنوى المقدم لجمعية أصحاب الأسهم ، ولم يكن يجهل أن لهذا التقرير — والأحوال كما يعهدها — أثر كبير في مستقبله ، بل في مستقبل زوجه وابنته الصغيرة ، فجلس ليعيد قراءته قبل العشاء إذ ينبغي له أن يستوثق من دقة هذا التقرير ، فقد يكون مصيره معلقاً به .

لم يكد يقلب الصفحة حتى جاءته مارج ابنته الصغيرة وقالت : « انظر يا أبتاه ! » .

فرفع رأسه ونظر إليه وقال :

« كتاب جديد ؟ هذا جميل » .

« نعم يا أبتاه . فهل لك أن تقرأ لى قصة منه ؟ » .

فقال : « لا يا عزيزتى ، فيما بعد » .

كل ما فعلته مارج أن ظلت واقفة بجانبه ، وأخذ هو يقرأ فقرة تنبئ حملة الأسهم عن ضرورة استهلاك آلات المصنع ، وإذا بمارج تقول بصوت رقيق كله حياء وأمل : « ولكن ماما قالت إنك ستفعل الآن يا أبتا » .

فرفع بصره إلى أعلى الصفحة وقال : « آسف يا مارج ، ولعل ماما تقرأها لك . فإننى مشغول الآن يا عزيزتى » .

فقالت مارج بأدب : « إن ماما منهمكة الآن فى عملها . فهلا قرأت لى أنت هذه

القصة الصغيرة وحسب ، انظر أليس فيها صورة جميلة يا أبتاه ! » .

فقال : « نعم نعم ، إنها صورة جميلة ، ولكن على عمل ينبغى أن أعمله هذه الليلة ، فلنؤجل القراءة إلى وقت آخر » .

ظلت مارج واقفة والكتاب مفتوح عند الصورة ، ومر وقت طويل قبل أن تقول شيئاً آخر . أما هو فقد قطع فى قراءة التقرير صفحتين تبينان بالتفصيل تقلب أسعار السوق فى السنة الماضية والخطة التى ارتآها قسم المبيعات لمعالجة هذه المشكلات ، والبرنامج الذى وضعه قسم الإعلانات لترويج منتجات الشركة .

وقالت مارج : « ولكنها صورة جميلة يا أبتاه ، ويبدو أن القصة رائعة جداً » .

قال : « أعلم ذلك ، ولكن لتقرأها فى وقت آخر ، أما الآن فانصرفى عنى » .

« ولكن هل تقرؤها لى حقاً فى وقت آخر يا أبتاه » .

« كونى واثقة » .

وضعت الكتاب على المسند عند قدميه وقالت : « ها هى فاقرأها لنفسك متى فرغت لها ، ولكن إذا فعلت فارفع صوتك حتى أسمعها أنا أيضاً » .

« فليكن . . ولكن فيما بعد . . » .

هذا ما كان يذكره ساعتئذ جون كارمونى: كيف لمست يده باستحياء صبية صغيرة مؤدبة وقالت : « ارفع صوتك حتى أسمعها أنا أيضاً » . ومن أجل هذا يضع الآن يده على الكتاب ويتناوله من على المائدة ، حيث كوموا عليها لعب مارج ، وقد التقطوها واحدة واحدة من على الأرض حيث تركتها . وفتح الكتاب عند الصورة الجميلة ، فلما أخذ يقرأ تلك القصة ، كان الأسى يكاد يقبض شفتيه أن تنطقا . لم يحاول أن يستمر فى الذكرى ، ولقد مرت عليه برهة نسى فيها ما يملأ قلبه من حقد بغيض مرير على هذا السائق الثمل الذى قطع الشارع نهباً بسيارة قديمة تتعرج ذات اليمين وذات الشمال ، وهو يثوى الآن فى السجن بتهمة قتل إنسان خطأ ، بل إنه لم ير زوجه شاحبة صامتة ، وهى فى ثياب الحداد متأهبة لتشيع جنازة مارج ، فإنها واقفة بالباب تحاول أن تقول بهدوء : « لقد تهيأت يا عزيزى ، ويجب أن نخرج الآن » .

ذلك أن جون كارمونى كان يقرأ : « ذات مرة كانت فتاة صغيرة تعيش فى كوخ حطاب بالغابة السوداء ، وبلغ من جمالها أن الطيور كانت تنسى غناءها من فوق الغصون وتتطلع إليها . ثم جاء يوم حدث فيه . . . » .

كان يقرأ القصة لنفسه ، وقد رفع صوته حتى تسمعها هى أيضاً . . ولعلها تسمع .

أرى بعيني كلب

هكتور شفينى • ملخصة عن مجلة " سيرفى مد منثلى "
(مع إضافات من المؤلف)

لقيت «عينيّ» منذ بضعة أسابيع حيث تعارفنا فى مؤسسة العين المبصرة فى موريستون بنيوجرسى ، حيث قدمت لأتدرب شهراً على استخدام كلب يكون دليلى فى حلى وترحالى . وأجاب الكلب على هذا التعريف بنفخة من فمه ولمسة من أنفه العريض البارد ، ولما قيل لى أن اسمه « ويزارد » أى « ساحر » قلت : « أرجو أن يكون له من اسمه نصيب » .

كان نظرى من أربعةشهور أصح نظر ، ثم أخذت الشبكيتان على حين فجأة تنفصلان عن موضعيهما ، وبذل الجراحون ما فى وسعهم بيد أنى خرجت بعد ثلاثة أشهر ضريراً لا أرى شيئاً .

كنت مريضاً صعب المراس . يقول لك أصدقاؤك وهم يحاولون الترفيه عنك إن كل شئ سيكون على ما يرام ، ولكنك تعلم أن كل شئ لن يكون على ما يرام ، إذا أنت لم تفعل شيئاً لتحقق ذلك .

كنت أسعد من غيرى حظاً فى محنتى ، فقد كانت الكتابة عملى منذ خمس عشرة سنة ، وهو عمل لا يعتمد كل الاعتماد على البصر ، ومن أجل ذلك لم أفقد مهارتى أو علمى ، ويستطيع سكرتير مدرب أن يكون صلة بينى وبين الورق . يبقى بعد ذلك مشكلة التنقل ، ولعل أثقل عبء على الضرير هو اعتماده كل الاعتمادفى التنقل على معونةغيره .

لذلك لم أحتج إلى من يغرينى بالتفكير فى الحصول على كلب يكون دليلى ، وأرسلت قبل مغادرتى المستشفى طلباً إلى مؤسسة العين المبصرة ، فجاء مندوبهم يزورنى . بيد أن ذلك لا يعنى أنى كنت مرتاحاً كل الارتياح إلى كفاية الكلب فى حل مشكلتى ، فقد كان مما لا يصدق أن يجرؤ إنسان على أن يعبر شارع لكسنجتن المزدحم بمدينة نيويورك وقت الظهيرة لا يصحبه سوى حيوان صغير يدله على الطريق .

وكنت أعلم شيئاً عن قصة مؤسسة العين المبصرة التى بدأت منذ نحو عشرين سنة فى أملاك مسز دوروثى يوستس فى سويسرا وعن مجهودها فى الولايات المتحدة فى السنوات الست عشرة الأخيرة . وكنت على استعداد

أن أصـدق أن الكلب أقرب بديل من النظر ، ولكن المشكلة هي أني سمعت الشيء الكثير عن مقدرة الكلاب ، فإن كل ما يتصل بها يثير المبالغة والتهويل ، ولذلك احتفظت بحكمي إلى يوم أحاول أنا وكلبي عبور شارع لكسنجتن لأول مرة . ولقد اقتنيت كلاباً في الماضي وأحببتها ، ولكني أعجز حتى عن أن أدرك كيف تقصر الكلب عن مطاردة السيارات أو عن أن ندربه على إحضار شيء غير الصحيفة اليومية من بائع الصحف .

على أنني لم أكن على حق في هـذا التشكك ، فمع أن « ساحراً » له أيامه التي يؤثر فيها أن يركب الأوتوبيس على أن يسير في المطر ، ويشعرني بذلك بطريقة واضحة ، فهو يقودني في الغالب إلى حيث أريد ، فأسير آمناً من منزلي إلى ففث أفنيو مجتازاً شوارع مزدحمة كما لو كنت مبصراً . وقد أكثرت من الخروج لأن « ويزارد » يريد الرياضة . وثمة تشريع خاص في ولاية نيويورك يسمح لأمثالنا بالركوب معاً في جميع وسائل النقل . ويعتقد الناس اعتقاداً راسخاً أنه لابد من أن أقع يوماً في مكروه أثناء خروجي أو دخولي من أبواب المركبات ، ولطالما رأيتني أبين للكثيرين أن شيئاً من ذلك لن يحدث لي وفي صحبتي كلبي « ويزارد » .

ولقد كنا نغشى معاً المطاعم للغداء أو العشاء ، فإذا جلست أقعى « ويزارد » خاشعاً خاضعاً عند قدمي . وبعض رؤساء الخدم في المطاعم يضيق صدراً إذا رأوا كلباً ، ولكننا لا نحفل بأن نشرح لهم أن مؤسسة العين المبصرة قد علمتنا كيف يكون سلوكنا على المائدة ، ولن نناقش أحداً في هـذا فإن مطاعم أخرى يسرها أن نكون من بين روادها .

ويسترعي منظرنا الكثير من انتباه الناس ، على أن ذلك يروق « ويزارد » ويروقني . وتبلغ زنة « ويزارد » نيفاً وستين رطلا ، وله جلد أرقط — على ما سمعت — ووجه أسود مجعد ، ومن عادته أن يدلي بلسانه ويكشر عن أنيابه بشكل يضمن سرعة إخلاء الطريق لنا .

على أن مظهره الشرس لا يدل بحال على حقيقة مخبره ، فلم أسمعه مرة ينبح على أحد . وهو مخلوق مرهف الحس يحس حالات النفس من فرح وحزن . وأجد لزاماً عليّ أن أكون معه مرحاً منشرح الصدر ، وإلا انقلب مهموما كئيبا من أجلي . ولعلنا في ذلك صنوان ، فإنه إذا غشيته الكآبة همني من أمره ما يهمه . ولهم في مؤسسة العين المبصرة كلمة جميلة في ذلك وهي : « ليس الكلب ملك يديك بل أنت ملك يده » .

ولا يكفي أن تدرب الكلاب على أن

تخدم العميان ، بل يجب أن تُغرَى بذلك وأن تظل تجد هذا الإغراء .

كان الثلج يكسو الأرض فى ذلك اليوم من شهر فبراير يوم التحقت أنا وخمسة عشر ضريراً من جميع أنحاء الولايات المتحدة بمؤسسة العين المبصرة : أربعة من الزنوج ، وواحد من أمريكا الجنوبية ، واثنان من قدامى المحاربين ، وأربع نسوة ، وثلاثة ماتت كلابهم فعادوا بعد سنين للحصول على كلب ثان أو ثالث . وقد شطرونا إلى جماعتين لكلٍّ منها مدربها الخاص .

وقادونى إلى غرفة مريحة فى الطابق الثانى يشاركنى فيها زميل من العميان ، وأخبرونى أين أعلق ملابسى ، ودلونى على دورة المياه ، وعلى غرفة الألعاب ، وعلى الطريق إلى حجرة الطعام . وكان علىَّ بعد ذلك أن أجد حاجاتى بنفسى ، فإذا فقدت جوربا أو حذاء فلك أن تسأل من يساعدك على العثور عليه ، ولكن عليك أن تبحث أنت عنه أولا . وعليك أنت تدهن عيشك بالزبد ، وتقطع اللحم الذى يقدم إليك ، فإذا شكوت وقلت إنك لم تعتد ذلك من قبل ، قيل لك : إن الوقت قد آن لتفعل ذلك بنفسك .

لن يستطيع أحد أن يمنح الاستقلال والاعتماد على النفس لإنسان آخر، بل عليه أن يناله بنفسه ، وهذا شطر من فلسفة مؤسسة العين المبصرة ، فإن كل موظف من موظفى هذه المؤسسة قضى شهراً على الأقل يعيش عيشة الضرير ، وقد حُجب بصره بقناع أسود محكم لايسمح له بالرؤية ، حتى يحس هو أيضا إحساس من لايبصر . فالعطف إذن مطلوب ، ولكن إظهار الشفقة غير مرغوب فيه .

وألفينا هذا الجو الجديد جوًّا ينعش النفس ، فقد كان الموظفون يعاملوننا على قدم المساواة ، وكنا نرحب بهذه المعاملة كل الترحيب ، بعد الذى كنا نلقاه من مواساة الأقارب والأصدقاء . وكنت أظن أن أمر المؤسسة بأن تقتصر زيارة الزوار على ساعتين فقط كل يوم سبت وأحد ، أمر خطأ ، فلم يكن يجول لى بخاطر أن أعتزل العالم ، بيد أنه رؤى أن يجنب المرضى حماقة الجماهير التى كثيراً ما تقضى على ثقة الضرير بنفسه ، ولذلك صارت مؤسسة العين المبصرة لا تقتصر على تدريب الكلاب فحسب ، بل تدرب الناس أيضاً .

وتعالج المؤسسة مجموعة كبيرة من العادات الجسمانية السيئة فيمن يفدون عليها ، فلا يعلمون كيف يمشون على ثقة مع الكلب فحسب ، بل كيف يمشون بحرية وسرعة وقوة . ويحتاج صوت الطالب أحياناً إلى

التدريب ، فهو واسطة الاتصال بين الكلب وصاحبه . وكذلك الخشونة الطبيعية وتغير حالات النفس كما تبدو فى الصوت ، يجب أن تعالج وتصلح .

وقضيت اليوم الأول فى سماع محاضرة لكبير المدربين وليام ديبيتاز ، وهو آخر من بقى من الذين قاموا على إنشاء المشروع فى سويسرا . وفى اليوم التالى قابلت « ويزارد » ، أما زملائى السبعة فقد كان لكل منهم كلبه ، أربعة منها كلاب رعاة ألمانية ، وكلبان من كلاب الصيد ، وكلبان من كلاب البوكسر ، أحدهما كلبى « ويزارد » .

وقضينا يومين فى التعرف إلى كلابنا ، واختلف أثرها فينا باختلاف أخلاقنا وتجاربنا السابقة ، ولم يكن لأربعة من الطلبة عهد بالكلاب ، ولذلك لم يكونوا على ثقة بأنفسهم ، ولكن الباقين كانوا يبالغون فى تدليل كلابهم والثناء عليها ، واعتقد كل منا أن كلبه هو خير كلاب الفصل .

كان « ويزارد » والكلاب الأخرى قد قضت فى تدريبها ثلاثة أشهر تحت إشراف مدربنا ، فتعلم كيف يسير فى السرج الخفيف ذى المقبض المعقوف ، وكيف يتمهل عند المنعطفات ، وكيف يقف حتى تمضى السيارات المارة ، وكيف لا يعبأ بأعمدة المصابيح ، ولكنه تعلم أيضا أن يحمل لمدربه حبا جما .

وفى اليوم الرابع حين قمنا بأول تجربة للسير مع كلابنا فى شوارع موريستون ، سار « ويزارد » إلى جانبى يستجيب طائعا إلى كلمات الأوامر العشر التى ألقيها عليه ، ولكن سرعان ما تبينت أنه يلبى ما أقول لأن المدرب أمره بذلك . وتبين لى أن علىّ — إلى ما علىّ من أعباء — أن أعلم هذا الكلب أنى أنا سيده ، وأنى أولى بحبه وطاعته من المدرب ، ولكن لم يكف فى صرفه عن مدربه الأول ، أنى أنا الذى أطعمه وأسقيه .

وأكد لى المدرب أنه سيأتى يوم موعود يظهر فيه « ويزارد » أنه أصبح كلبى ، وسيعرف المدرب تلك اللحظة التى يهب الكلب فيها كل نفسه ، حين لا يأتى من الأعمال ما حفظه بالتدريب عن ظهر قلب ، وحين لا يفتر يحافظ فى اهتمام على سلامتى ، ويجنبنى العثرات وبرك المطر ، ويقينى الاصطدام بأعمدة المصابيح وصناديق البريد . وتستغرق هذه المواءمة بين الطالب والكلب نحو ثلاثة أسابيع عادة ، وقد يحدث أحيانا أن تتعذر هذه المواءمة ، وعندئذ يكون الطالب قد أخفق .

والحياة فى مؤسسة العين المبصرة شاقة مجهدة ، فنحن نقوم فى الساعة ٥:٤٥ صباحاً لنخرج الكلاب للرياضة ، ثم نقبل بقلوبنا

على القطور الذى يقدم فى الساعة السابعة ، وفى الساعة الثامنة ننتشر فى شوارع المدينة للتمرين ، ويصحبنا المدرب أزواجا مع كلابنا إلى أن يحين موعد الغـداء . وكنا دائما نصحب كلابنا معنا إلى مائدة الطعام للتدريب . والمفروض طبعا أن تظل ساكنة لا تتحرك ، ولكن كان لابد من وقوع بعض ثورات مفاجئة فى غرفة طعام بها ١٦ كلبا . وفى الساعة الواحدة نعـود إلى الشوارع ، وينتهى اليوم فى الساعة الثامنـة بعد أن نخرج بالكلاب مرة أخرى للرياضة .

ولما كانت هـذه الكلاب تظل مربوطة إلى أسرّتنا ، كان لابد من أن تقع حوادث أثناء الليل ، فقد اعتقد اثنان منها أنهما يقومان بواجب الديدبان ، فكانا ينبحان فى سكون الليـل كلما تحرك منا أحـد . وكان المدرب أقلنا نوماً ، إذ كان الطلبة لا يفترون عن إيقاظه ، إما لأن السلسلة المقيد بها الكلب إلى السرير قد فصمت وليس للكلب أثر ، وإما لأن الكلب قد اعتلى السرير ولا يسمح لأحد بمشاركته ، وإما أن يكون لأحـدهم حاجة من الحاجات .

ولن يسعنى أن أقول ، بعـد أن قضيت شهراً كاملا فى مؤسسة العين المبصرة ، أن الكلاب لا تفكر ، إذا كان معنى التفكير أن تحكم على الأشـياء ، وأن تحتفظ بالذكريات ، بل إن الكلاب تشـعر بالتبعة وتجعل هذا الشعور أساساً لتفكيرها .

على أن ثمة أنواعاً خاصـة من الكلاب — مع استثناء أفراد قلائل منها — لا يمكن أن تدرب على أعمـال المؤسسة ، والنوع المسمى «پودل» هو أحد هذه الأنواع ، فمن المستطاع تعليمه كل شىء يستطيع الكلب الدليل أن يتعلمه ، إلا شـيئاً واحداً هو العناية بصاحبه . فإذا ما قاد صاحبه الضرير مثلا إلى حافة مصعد جانبى مفتوح فإنه لا يعصى أمر السير إلى الأمام ، ولا يحاول أن يدور بصاحبه متجنباً مكان الخطر ، ولكنه يطيع الأمر كما أمر ، ويهوى وإياه فى الهاوية .

ولا تشـترط مؤسسة العين المبصرة أن تكون الكلاب الأدلاء خالصة الدم ، فإن كثيراً من الكلاب التى ليس لها جد معروف تصلح لهذا العمل ، إلا أن للذكاء المقام الأول بين المؤهلات المطلوبة . ومن العجيب أن بعض الكلاب على درجة فائقة من الذكاء ، فإنك تجد بعد أسبوع أو أسبوعين من التدريب أن أحدها قد قرر فى نفسه فيما يبدو أن مهمته أشبه بأن تكون عملا وواجباً ، فيقضى الكثير من وقته فى اختراع الأساليب التى تعفيه من عمله لا فى القيام به . أما الكلاب التى تبلغ أعلى مراتب الكفاية ،

فهى التى تمتاز بذكاء يشوبه ما نسميه بالشعور الاجتماعى .

وكثيراً ما يتساءل الناس عما إذا كانت كلاب مؤسسة العين المبصرة تدرك فعلا أن أصحابها لا يبصرون؟ ويعرف موظفو المؤسسة تمام المعرفة أن الكلاب تميز الأعمى من البصير ، فإنها لا تغير مكانها وهى راقدة فى غرفة الألعاب إذا مر بها شخص مبصر ، ولكن إذا اقترب منها شخص أعمى فإنها تتنحى عن طريقه ، أو تبتغى فى سكون مكاناً آخر فى الغرفة .

ولما اكتشف «ويزارد» أنى لا أبصر ، كان طبيعيًّا أن يتلاعب بى كل ضروب الألاعيب ، فقد لاحظ أنى لا أعرف أنى بلغت نهاية الشارع حتى ألمس المنحنى بقدمى ، فيحولنى برشاقة عند زاوية قبل المنحنى ، ويوجهنى بذلك إلى محطة الأوتوبيس الدافئة أو نحو السيارة التى نقلتنا من المدرسة ، ويوفر على نفسه بذلك المزيد من التدريب .

ولقد كان لألاعيب « ويزارد » أثر كبير فى تدريبى ، فقد كان موقفه حيالى حتى تلك اللحظة موقف قلة الاكتراث . وبدأ زملائى فى الفصل يلقون نفس المتاعب من كلابهم ، فسرى بيننا شعور بالحزن وخيبة الرجاء . وكان المدرب يعلم بما نلاقيه ، فلقد حان الوقت الذى يجب فيه أخذ هذه الكلاب بحزم وشدة . لم يكن يسمح لنا حتى هـذا الوقت إلا بتعنيف خفيف شفوى للكلاب ، على حين ينتظر منا أن نثنى عليها ثناءً عالياً إذا قامت بما تؤمر به على الوجه الصحيح . فعلمونا الآن الكلمة المستعملة فى تدريب الكلاب فى جميع أنحاء العالم للتعبير عن عدم الرضا وهى كلمة « فيو » الألمانية تنطق بقوة ، وتدعم قوتها بجذب المقود جذبة خاصة ، وليس هذا عقابا فإن الكلاب لا تعاقب بل تصلح أخطاؤها . ويجب أن يأتى الإصلاح ساعة يشعر صاحب الكلب بأن كلبه قد أخطأ ، فإذا فعل الكلب ما يؤمر به على الوجه الصحيح فينبغى أن يبذل له الثناء على شكل واضح لا لبس فيه .

أما ما يجعل الكلب يأخذ على عاتقه حمل التبعة بتمامها ، فهو شىء لا يستطيع العقل البشرى أن يحيط به ، فقد يرقد الكلب ليلة تحت سرير صاحبه فى مؤسسة العين المبصرة وهو لا يشعر بهذه التبعة ، ويصحو فى صباح اليوم التالى وهو شديد الشعور بها . وفى هذه اللحظة يضمن صاحب الكلب سلامته ، ويستطيع أن يجتاز أى شارع أو يسير على أشدّ الأرصفة زحاماً وهو واثق من نفسه . وتنتهى بذلك مدة تدريبه إلا فيما يتعلق ببعض إرشاد فنى قليل ،

فإذا ما أحاط به علماً غادر المؤسسة إلى بيته .

والتخرج من مؤسسة العين المبصرة لا كلفة فيه ، فليس ثمة شهادات تمنح ، وما علينا إلا أن نذهب إلى مكتب المؤسسة لتسديد ما علينا ، وعندئذ نرى مظهراً أخيراً من مظاهر فلسفة المؤسسة التى قامت عليها من « عطف دون شفقة » ، فإن كلابنا تكاد تعطى لنا دون مقابل . والفرق عظيم بين ثمن هذه الكلاب وما سندفعه ، فإن الثمن الحقيقى ستة أضعاف ما يدفع أو سبعة أضعافه ، ولكنهم لايطلبون إلا ١٥٠ ريالا . أما من يأتون للحصول على كلبهم الثانى أو الثالث فيدفعون خمسين ريالا فقط ، وأما ثمنه لقدامى المحاربين فريال واحد لاغير .

و « ويزارد » الآن كلبى ، أو بالأحرى أنا رجل «ويزارد» ، على أنه لا يسعنى أن أقول إنه يهابنى ويوقرنى ، فهو يصر على أوقات منتظمة للأكل ، وإذا أطلت المكث فى زيارة من الزيارات فإنه لا يتردد فى أن يعرفنى أن علينا أن نعود . فإذا تملكتنى سورة من الغضب لم يرد عليها بأكثر من أن يقعد على مقعدتيه العريضتين حتى تهدأ . وهو لسبب لا يدرك كنهه جد مغرم بالحانات ، ولا أراه يعمل على المحافظة على سمعتى بدخوله أحياناً إحدى هذه الحانات من غير ما أمر منى .

كنت فى أحد الأيام فى مكتب الإعلانات أبحث مسألة إعلان خاص للإذاعة ، وكان المشروع كالمتعارف عليه فى التجارة مشروعاً تجارياً رابحاً . ورقد « ويزارد » إلى جوارى هادئاً على الأرض ، كما عُلّم أن يفعل ، أطول مدة استطاعها ، ثم قام وتمطى ومشى إلى أحد أركان الغرفة ونفض عن نفسه الغبار . وكان منظره يدل على أنه بالرغم من أنه مسؤول عني ، فليس لزاماً عليه أن يستطيب ما أجنيه من ربح من تلك الصفقة .

ولا يزال الناس يقبلون علينا ليساعدونا على اجتياز الشارع فلا يسعنا إلا أن نشكرهم ، على أننى لم أعد فى حاجة إلى مساعدتهم ، فقد أعاد لى « ويزارد » أعظم ما كنت أقدر فى هذه الحياة وهو استقلالى بأمر نفسى .

ولعل أثقل عبء نلقاه أنا و « ويزارد » هو أن الناس ينتظرون منا أن نقوم ببعض الألاعيب ، فالمفروض أنى تعلمت الكثير عن ترويض الكلاب ، فلمَ لا أدرب « ويزارد » على أن يمشى معتدلا على قدميه ويصافح الناس بيده ؟ وهى فيما قيل لى فكرة بسيطة ترتكز على تفوق العقل البشرى على الحيوان . وقد جهدت أن أطبق هذه الفكرة ، بيد أنى لم أوفق فى تدريب « ويزارد » على القيام بأى ضرب من الألاعيب !



يتطلع هارى فرجسون إلى ان يريح المزارع من الكدح المرهق وقد خطا بتضامنه مع هنرى فورد الخطوة الاولى التى حركت عناية المهتمين بالآلات الزراعية.

أتستطيع المزارع أن تلحق بعصر الآلة ؟

هارى فرجسون

لويس برومفيلد

لقد مضت عشرون سنة وهارى فرجسون ، أحد مواليد إرلندة الشمالية ، مكب على التدبير والاختراع والعمل ليحدث فى عالم الآلات الزراعية ما أحدثه هنرى فورد شريكه اليوم فى عالم السيارات . ولقد ظل فرجسون يتوق إلى صنع آلات زراعية قليلة الثمن تتاح لجميع المزارع تقريباً مهما صغرت ، فتمكن المزارعين من إنتاج محاصيل أوفر فى أراض مساحتها أصغر ، بمجهود أقل ، وتكاليف أخف .

فهو يود أن يزيل من المزارع ذلك الكدح الذى يلجىء عدداً كبيراً من أذكى الشبان والشابات أن يفارقوا الحقول إلى المدن ، ويأمل فى أن يهيىء للمزارعين وقت الفراغ الذى يحظى به رجل المدينة فينفقه فى التثقيف والترويح عن النفس . والاهتمام بما ينفع المزارعين فى حياتهم ويجلب لهم مغانم اقتصادية بعيدة المدى ، هو من صميم مشروع فرجسون كالآلات الزراعية نفسها.

أما مشروعه فلم يعد خيالا ، إذ لا ينقطع تدفق جرارات « فورد — فرجسون » من المصانع فى مدينة ديترويت بولاية مشيجن . وهناك مصانع أخرى تخرج المحاريث، وآلات اقتلاع الحشائش، والمسالف الأسطوانية ومجموعة كبيرة من العدد التى وضع فرجسون تصميمها . وقد أخذت مئات آلاف المزارع فى استخدامها فعلا ، ولولا قيود مجلس الإنتاج الحربى الأمريكى لما كان لبيعها حدود .

يراعى فى تصميم آلات « مشروع فرجسون » سهولة استعمالها وسهولة الانتقال بها من عمل إلى آخر ، وأن تصلح للقيام بكل عمل يضطلع به المزارعون الآن بجرارة ثقيلة باهظة الثمن ، يبلغ وزنها ضعف وزن جرارة فورد أو ثلاثة أضعافه. وفى مزارعى أنا نفسى أنواع مختلفة من الأدوات الزراعية، إلا أننا نخصص آلات فرجسون لمكافأة المحسنين من العمال ، والجميع يميلون إلى

استخدامها . وتدور تصميمات فرجسون على تطبيق مبدأين هندسيين ، لا أقول إن استعمالها فى الجرارات الزراعية كان تجديداً تاما ، ولكن على الأقل ، لم ينتفع بهما من قبل إلى أقصى حدود الانتفاع .

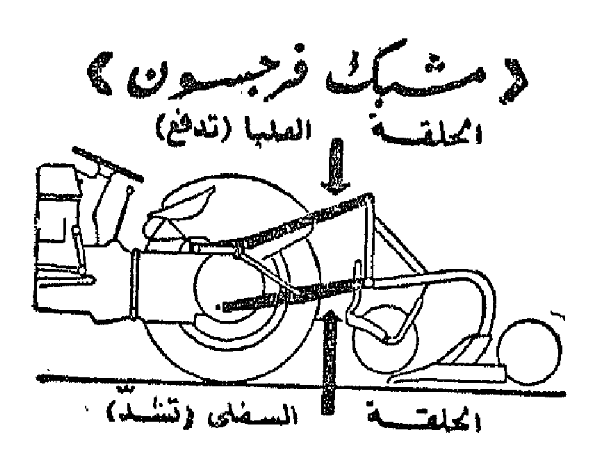
كان وزن الجرارة فى الماضى يطرد وفقاً لضخامة العمل ، وكلما زاد وزنها زاد ثمنها. أما إذا استعملت جرارة خفيفة لجر حمل يزيد عن طاقتها ، أو إذا اصطدم المحراث الذى تجره بصخرة خفية ، فإن عجلها الأمامى يرتفع عن الأرض ، وكثيراً ما تنقلب فيقتل السائق .

وبعد تجارب دامت سنوات اخترع فرجسون ومعاونوه « مشبك فرجسون » فيه تتحول قوة الجذب أو الجر إلى العجلتين الأماميتين فتدفعهما وتثبتهما فى الأرض . فإذا اصطدمت الجرارة بجسم ثابت ، ارتفعت عن الأرض العجلتان الخلفيتان الكبيرتان اللتان تؤثر فيهما قوة المحرك الدافعة ، ودارتا فى الهواء ، فلا يصاب المحرك بضرر من هذا الوقوف المفاجئ .

أما المبدأ الهندسى الآخر الذى انتفع فرجسون بمزاياه انتفاعاً كاملا ، فهو تثبيت الأدوات فى الجرارة تثبيتاً محكما ، فتصبح الأداة والجرارة آلة واحدة بدلا من جزئين مختلفين ، كما هى الحال فى عربة يجرها حصان ، بل تصبح الجرارة والأداة التابعة بمثابة عربة نقل ذات عجلات ست قد وزع عليها الثقل توزيعاً متساوياً . وهناك وصلات خاصة تهيئ لها مرونة لا تستمتع بها سيارة النقل العادية ، فتسير الآلة فى الأرض الوعرة أو تجوز الحفر هابطة صاعدة وهى تحمل ما زنته ستة أطنان .

وتدار الآلات فترفع أو تخفض بضغط مادة سائلة ، فتحركها ذراع صغيرة يمكن تحريكها بإصبع واحدة .

ولقد رأيت صغاراً فى العاشرة يربطون بالجرارة ، أو يفصلون عنها ، آلات اقتلاع الحشائش والسالف والمحاريث وأدوات أخرى ، فى أقل من ٣٠ ثانية . وتيسر هذه المزية للمزارعين أن يضطلعوا بضروب عديدة من أعمال صغيرة فى نفس اليوم ، وكان لا يتأتى لهم بدونها القيام بها ، لما يقتضيه ربط الأدوات وفكها من وقت .



وتبـاع جرارة فورد — فرجسون بمبلغ ٨٣٨ر٢١ ريال تضاف إليها نفقات الشحن . وأسعار المعدات المختلفة الملحقة بها توافق هذا السعر العام. وتزن هذه الجرارة الصغيرة القوية المقتـدرة ٢٢٩٠ رطل . وحين تنتهى الحرب وتتوفر أصناف المواد الأولية ، يرجو فرجسون أن يخفض ثمنها إلى الثلثين بالالتجاء إلى الإنتاج الواسـع النطاق ، ويرجو أن يخفض من وزنهـا حوالى ٥٠٠ رطل ، باستخدام مقادير وافرة من الألمنيوم فى صنعها .

ويعترف أغلب المزارعين بأن ارتقـاء الآلات الزراعية قد تخلف عن ارتقاء الآلات الصناعية . وقد كانت الآلات الزراعية غالباً ثقيلة ومصنوعة من مواد بخسة الثمن رديئـة — من الحديد المصبوب وحسب أحيـاناً . ولم يكن المزارع المشترى ينتفع برخص أسعار المواد الأولية عند دفع الثمن ، فلقد اتفق لى أن رأيت آلة حاصدة تكلفت ٢٠٠ ريال فبيعت بـ ٦٠٠ ريال . وكان على المزارعين أن يتقبلوا ما يعرض عليهم راضين به .

حقا إن الآلات الزراعية اقتصدت من الأيدى العاملة ، ولـكنها لم تقتصد ما كان يجب ، ثم إنهـا كانت دائمة التعطل . وكل مزارع يعـلم أن ثمن القطعة الجديدة هو أتفه ما يتكلفه عنـد التعطل ، أما الـكلفة الباهظة حقا فهى خسارة الوقت — الوقت الذى ينفق فى الانتقال إلى المدينـة أو فى انتظار إرسال قطعة من المصنع ، وقد يعنى كل هذا تلف المحصول .

أراد هارى فرجسون أن يظفر بآلات لا تضطر المزارع إلى مغادرة مقعـده فى الجرارة أثنـاء تأديتها العمـل ، أى أراد معدات يستطيع الطفل أو الشيخ فى الثمانين أن يستخدمها .

وقد أراد فرجسون أن يصـنع آلة تكون أجدى من الدواب فى الزراعة ، فوفق إلى صنع آلات تستطيع أن تحرث حديقة صـغيرة أو أن تدخل بيوت الخضر أو الزهور . وفى وسـع آلات فرجسون الآن أن تحفر الحفر لتثبيت العمد ، أو قطع الأخشاب ، أو نقل منشآت المزارع ، أو إدارة أدوات قشر الذرة أو المطاحن أو معبئات الصوامع . وفى وسعها أيضاً إدارة مجرفة أو رفش صغير ، قابلين للخلع أو التركيب خلال ثوان قليلة .

ولقد وضع فرجسون ومعاونوه نصب أعينهم ضرورة المحافظة على التربة ، وتلبية مطالب الزراعة الأمريكية الحديثة ، فصنعوا عدداً من المعدات تصلح خاصة للأساليب الحديثة المتبعة فى الزراعة الأمريكية . وإن

الجرارة الخفيفة نفسها لتفي تماماً بمقتضيات العمل في الأراضي الوعرة أو الجبلية حيث تكون المحافظة على التربة ذات قيمة حيوية.

أما فرجسون، وهو الآن في العقد السادس من عمره، فهو رجل صغير الجسم ذو عينين براقتين ونشاط لا ينضب معينه، ويتلهب إيماناً بما يحاول أن يحققه.

كان في صباه في إرلندة يصنع الموتوسيكلات والسيارات، ثم صنع طائرات ونافس بها غيره من الطيارين، فسقط مرة وأصيب إصابة بالغة، ثم عهدت إليه حكومته، إبان الحرب الماضية، بأن يبذل وسعه في العناية بآلات إرلندة الزراعية القليلة، وأن يحفظها أقدر ما تكون في كفاحها في سبيل الحصول على الطعام. وقد راعه وهو ميكانيكي مطبوع، ما رآه من سوء صنع هذه الآلات، وضعف كفايتها، وغلاء ثمنها الأصلي، وتكاليف صيانتها. فلما أنجز مهمته الحربية وجه اهتمامه كله إلى مشكلة الآلات الزراعية، وإلى إتقان المشروع الذي عرف باسمه. ومن يومئذ، أي منذ أكثر من عشرين عاما، لم يحد فرجسون قيد شعرة عن هذا الطريق.

وقد أدرك فرجسون منذ اليوم الأول أنه يجب أن يعمل مع هنري فورد، فذهب إلى أمريكا أولا في العقد الثالث من هذا القرن ليبحث آراءه مع فورد. فاهتم فورد بها، ولكنه أشار عليه بأن يعود إليه حين يقطع مرحلة أخرى في تصميماته. وعاد فرجسون ثانية سنة ١٩٣٨ وعرض مشروعه على فورد، فلم ينتظر فورد حتى يتم العرض بل قال: «لقد فهمت، وإني معك إلى نهاية المطاف».

ولا يعرف سواهما ما بينهما من اتفاق مكتوب أو شفوي، ولكن مصنعاً من أكبر مصانع فورد مخصص الآن لصنع جرارات فرجسون. وبين الرجلين صفات مشتركة كثيرة، ويكادان يسلكان طريقاً واحداً في التفكير، وقد كان اهتمامهما منصرفاً دائماً إلى آفاق أوسع، وإلى معرفة ما لمخترعاتهما ومنتجاتهما من أثر اجتماعي واقتصادي في الأمة والعالم.

ويشارك فرجسون فورد فيما يراه من ضرورة توزيع الصناعة، لأسباب اجتماعية واقتصادية. وهو يؤمن إيماناً بقيمة ملازمة العامل للأرض، فكان من أكبر الحوافز إلى مشروعه أن يكون صالحاً للمزارع أو العقارات الصغيرة التي يملكها رجال يعملون في المصانع ويقطنون الريف.

وفرجسون كفورد، لا يقصر ما يرتجى من مشروعه على الولايات المتحدة وحدها، فهو يقول إن الآلات تستخدم في أراض

لاتبلغ مساحتها ٢ فى المئة من مزارع العالم ، وأن نصف سكان العالم ، على الأقل ، يقاسون نقص الغذاء من جراء نقص الإنتاج الغذائى ، أو لأن الغــذاء فى بعض المناطق الواسعة لا يوزع توزيعاً صحيحاً وافياً . وهو يتوقع عواقب عظيمة يوم يعم اســتعمال الآلات الزراعية فى الهند والصين .

ويعتقد فرجسون أن أسعار الأغذية قد تستقر إذا أمدت المزارع بالوسائل الآلية ، فلا يطرد ارتفاع الأســعار للمستهلك هذا الارتفــاع الذى يستتبع ارتفاع تــكاليف الإنتاج والصناعة .

وسواء أصحت نظريات فرجسون المتعلقة بآفاق الاقتصـــاد والاجتماع أم لم تصح ، فإن مشروعه قد نجح نجاحاً كبيراً ينفى الـكدح عن الزراعة ، وبذلك يغرى الناس بالإقبال عليها . ولا شك فى أن رجال صناعة آخرين سينافسون فرجسون فيصلوا إلى نتائج تضارع ما أنجزه أو تفوقه ، وهذا التحدى وهذه المنافسة ليعودان بالنفع على المزارع . ومهما يكن ، فقد كان مشروع فرجسون دافعاً كبيراً رفع الآلات الزراعية إلى المستوى الذى يليق بالتقدم الذى أحرزه عصرنا الآلى ، وهذا وحده عمل عظيم .

● كان تفكيرها فى سواها هو الذى يحملك على التفكير فيها .

[إليزابث باريت براننج]

☆☆☆☆☆☆

الدليل المادى

فى كل ساحة من ساحات القتال فى المحيط الهادى ، حيث اشتبكت القوات الأمريكية مع اليابانيين ، رويت روايات عن أن الجنود اليابانيين كانوا يصطحبون يابانيات إلى معسكراتهم ، ولـكن لم يقم دليل على صحة معظم هــذه الروايات . على أن الـكوماندر جرايبل روى أن أحد شـيوخ جزائر سليمان قال له فى لهجة الواثق : إن اليابانيين اصطحبوا امرأة واحدة على الأقل إلى المعسكر المجاور لقريته .

قال جرايبل : ولـكن كيف تستطيع أن تثق بصحــة ما تقوله ؟ فقــال الشيخ : « لقد أكلتها » .

[مجلة «تايم»]

منذ عهد بعيد ، حين كان طبيب يدعى الدكتور بانكروفت يمارس صناعة الطب فى بلدة إفرجرين بولاية كولورادو ، كان المرضى يجيئون إليه أحياناً من قرى بعيدة ويتجشمون مشاق عظيمة ، وكان أحدهم من الرعاة ، وقد وصل يوماً وهو فاقد الرشد محمولا على جواد .

فقال صاحبه : إنه وقع عن صهوة جواده فانكسرت ساقه .

فنظر إليـه الطبيب وبدأ يتأهب لبتر الساق ، على حين جلس صاحبه والعرق يتصبب منه ، ثم قال وصوته يتهدج : « إذا مات هذا الرجل فستلحق به » .

والتفت بانكروفت فرآه قد وضع مسدساً على المائدة .

ونظر الطبيب إلى المسدس ثم خرج من الحجرة ، وحين عاد كان يحمل طبقاً عليه أدوات الجراحة ، وبينها مسدّس كبير . ثم قال :

« يا صاحبي ، إنْ قدّر لهذا الرجل أن يموت ، فسأعرف ذلك قبل أن تعرفه أنت بخمس ثوان » .

ثم مضى فى جراحته الموفقة .

[والترب . بتكين]

كانت الأم وليامز تدير نُزُلا صغيراً للسائحين فى جبال كولورادو ، وكانت متزوجة برجل قليل الكلام قليل الفعال ، يجلس اليوم بعد اليوم يقرأ صحيفته ، ولا يهتم بالحديث مع أحد من النازلين ، على حين كانت زوجه لا تنى عن العمل والعناية بغرفهم .

وقابلتها ذات يوم فى حانوت البدال فقالت : « إن زوجى لم يتناول حبوبه المطهية هذا الصباح ، وإنى لأحاول أن أغير له أصناف الطعام قبل أن يملها » . ثم أضافت : « إن فى ذلك شيئاً من الصعوبة ، فليس زوجى ممن يفصحون عما يريدون » . فقلت لها : « حقاً إنه قليل الكلام ، أليس كذلك ؟ » فأجابت : « بلى » وأردفت فى عطف : « ولكنه شيء حى فى أرجاء المنزل » .

[إيفلن مولينا كس]

بينما كنا نتناول جبناً وبسكوتاً فى حانوت للأغذية فى إحدى قرى فرمونت ، شاهدنا جماعة من الناس قد جلسوا حول موقد كبير فى وسط الغرفة . وكان يحدث بين الفينة والفينة أن يقرب أحدهم كرسيه من الموقد ، أو يعيد إشعال غليونه ، بيد أن أحداً منهم لم ينبس ببنت شفة .

وأخيراً وقف عجوز وخطه الشيب ، ومد

يده إلى معطفه ، وخرج أحد الجماعة عن الصمت بقوله : « أذاهب أنت يا جف ؟ »

فأجاب جف : « نعم ، أنا ذاهب إلى البيت » .

« ولكنك مبكر فى العودة هذا المساء ؟ »

فأجاب: « نعم ، إنى مبكر عن عمد ، فإذا لم يكن العشاء مُعداً فسأثير صخباً يرتفع إلى عنان السماء ! وإذا وجدته مُعداً فسأمتنع عن تناوله » . وتسلل خارجاً من الحانوت .

[دون وين]

حدثنى صديق عن والديه ، وهما فلاحان نحيلان قليلا الكلام ، لهما مزرعة فى أعالى ولاية نيويورك فقال : « كنت فى صغرى أرى أن والدىّ يختلفان اختلافاً عظيما عن الأزواج الذين نقرأ أخبارهم فى القصص . فما كان أحدهما يداعب الآخر ولا يلاطفه ، ولم أر أحدهما يقبّل الآخر مرة واحدة . وكان ذلك يكربنى ، إلى أن كان يوم من أيام الربيع ، فتحطم السدّ وغمر السيل وادينا .

« كانت ليلة منكرة ، فقد وضعونى تحت سقف الدار لأكون بمنجى من السيل ، فاستلقيت فى الظلام وأنا أرتعد برداً ، على حين كان المطر يهطل على السقف ، والسيل المتلاطم يصخب حول الدار . وأخيراً اشتد على الشعور بالوحدة واستبدّ بى الخوف ، فكان لابد لى من أن أطل من النافذة على البحيرة الضحلة التى كانت فناء زريبتنا ، فلم أتمكن من أن أرى شيئاً إلى أن شق البرق الظلام .

« رأيت والدى ووالدتى يخوضان فى الماء الصاخب إلى ما فوق الركب ، ويسيران كتفاً إلى كتف ، وكانت والدتى تحمل جماعة من الأفراخ المذعورة وقد أنقذتها من بيت الدجاج ، وكان والدى يضم بين ذراعيه حملا وليداً . تلك هى الصورة التى لمحتها فى عشر ثانية — ولكنها كانت كافية .

« فلم يقلقنى بعد ذلك أن لا يكون هذا الرجل وهــذه المرأة يتصرفان كما يتصرف الزوجان فى شىء ، إذ أدركت أن ما بينهما أقوى وأعمق من كل هذا » .

[دنيس پليمر]

أشار فلاح من نيويورك إلى سفح الأكمة وأثنى ثناء طيباً على زراعــة ذرة فى حقل فلاح من نيو إنجلند .

قال الأول : كيف تحرث هذا الحقل ؟ إنه يبدو شــديد الإنحدار . فقال الثانى : لا أحرثه ، فحين يذوب الثلج فى الربيع ، تتدحرج الصخور فتشق الأرض . فقال الأول : هو هذا ! وكيف تزرعه ؟ فقال الثانى : لا أزرعه حقيقة ، بل أكتفى بالوقوف فى بابى الخلفى وأقذف البذر ببندقية الرش . فقال الأول أهى الحقيقــة ؟ فقال الثانى : لا ، إنما هو الحديث !!

الموت الأحمر في هنكلي

ستيوارت هولبروك
مؤلف كتاب "لا أجد أشجع منهم"

ملخصة عن كتاب "احتراق امبراطورية"

كانت السماء غائمة في صباح أول سبتمبر سنة ١٨٩٤ في غابات مينسوتا الشرقية ، وقد انطلقت الصفارة من مصنع الخشب الكبير في هنكلي — أكبر بلدة في هذه المنطقة — إيذاناً بأن الساعة بلغت السابعة ، ولكنه ما من شيء آخر كان يدل على أن النهار قد طلع ، فقد انبسطت سحب من الدخان الأسود ، وغلظت في الهواء الرقيق الجاف ، وحجبت الشمس .

ولم ينزعج أهل هنكلي الألف والمئتان فما كان هذا عندهم سوى يوم أدْخَن آخر . وكان شهرا يوليه وأغسطس قد جاوز الجفاف فيهما المألوف ، وبقيت آلاف من أجذال شجر الصنوبر ملقاة تحترق ولا يعنى بها في حيث قطعت في الأرض المحيطة بالبلدة . ثم بدأت حركة المناشير كالعادة .

ولكن سحب الدخان في خلال ذلك الصباح جعلت تسفُّ وتتدانى من الأرض ، فقلق بعض الأهالي . ولما أشارت ساعة المصنع إلى الظهر احتاج كاتب الحسابات إلى ضوء يشعله ليرى أرقامه ، وجفف الرمادُ المتساقط الحبرَ على صفحات دفتره .

وفي المزارع زحفت النار قريباً من حقول اللفت ، واستطارت حول الحواجز . ولم يطمئن جوستاف ونز إلى الحالة ، فوضع أسرته في مركبته ومضى بها إلى هنكلي ، وأغراه ما رأى في الطريق من الأجذال المضطرمة ، بالعود ليجيء بأسرة جار له إلى البلدة .

وبعد الساعة الأولى بقليل هبت ريح شديدة من الجنوب الغربي ، فدعى رجال الإطفاء المتطوعون من أهل هنكلي إلى طرف المدينة حيث شبت عدة نيران وشرعت تمتد إلى القرية ، ولكنهم سرعان ما تبينوا أنه لا الماء يجدي ولا التراب ، وحملت الريح معها جمرات من الفحم جعلت تتلظى وتخبو في حيث سقطت من الشوارع التي كان فيها من النشارة فوق ما فيها من التراب ،

وتعرضت فى الأفق إلى الجنـوب سحابة كالليل كثافة وضخامة وسواداً ، وتأدّى من بعيد زئير كأنه صوت شلال عظيم .

وأقبل الأب لولو يعـدو فى الشارع الأكبر ، وهو قسيس كاثوليكى كان يعمل مع رجال الإطفاء ، وجعل يصيح: « التمسوا النجاة ! اهربوا ! اهربوا إلى حفر الحصى ! اهربوا إلى النهر ! أنقذوا أنفسكم ! » .

ثم اندفعت الجحيم نفسها إلى هنكلى ، تزأر أمواج نيرانهـا المتسعرة بعضها فوق بعض ، على متن عاصفة هوجاء متداركة .

وضاق الوقت عن إنقاذ شىء ما ، وصارت الأمهات يخطفن أطفالهن ويهربن ، وأصبح الشارع الأكبر فجأة صفين من منازل ملتهبة ، وخف كثيرون إلى مخزن السكة الحـديدية فى مينسوتا الشرقية حيث شدت ثلاث مركبات شحن وخمس مركبات ركاب وقاطرتان بعضها إلى بعض، بسرعة ، ودقت النواقيس لاستعجال الفارين . وما لبث المخزن نفسه أن اشتعلت فيه النار ، ولـكن الأهـالى ظلوا يفدون — رجالا ونساء وأطفالا — ويجرون إلى القطـار وهم يصرخون .

وصار دهان المركبات يغلى ويترك سلوعاً على هيا كلها ، ورأى المهندسان أنه سيكون عليهما أن يجتازا جسراً خشبيا على النهر ليخرجا من البلدة إلى الشمال ، فأطلقا صفاراتهما ، وبدأ يخرجان بالقطار . وبينما كانا خارجين هبت عاصفة شديدة اختلطت فيها الريح بالنار ، ورأيا رجالا ونساء وخيلا وأبقاراً تتطرح فى الشـارع وتسقط ولا تقوم . أما البيوت فـكانت تبـدو « كأنها تذوب » .

وصار القطار يجرى فى ظلام الدخان الحالك ، وكانت القـاطرة التى فى المقدمة تسير القهقرى ، ولم يكن لها ضوء خلفى على صهريجها ، فصب اثنان من عمالها المـاء على بدنيهما وتعلقا بالصهريج من جانبيه و . يد كل منهما مصباح. وبعد أن اجتازا جسر « جرايند ستون ريفر » سمعا صياحاً وصراخاً فى الدخان ، فأشارا إلى القطـار فوقف ، فصعد إليه نحو أربعين آخرين فبلغ بهم عدد الركاب جميعاً نحو خمسمئة .

ولما اقترب القطار من نهر « كيتل » على مسافة عشرة أميال من هنكلى شمالا كان الجسر قد شبت فيه النـار ، فترجل العاملان ليستطلعا ، فألفيا جثة حارس الجسر فحمة إلى جانب الخط ، وكانت النار مشتعلة فى الجسر من أوله إلى آخره تقريباً ، ولـكنهما رأيا أنه يستطيع مع ذلك احتمال العبء ، فبدأ القطـار يسير ببطء وحذر فوق النهر على جسر من النـار ، على حين

كانت النساء فيه يصرخن كلما وثبت ألسنة النيران إلى النوافذ المحطمة ، وبعد دقيقتين اثنتين من بلوغ الشاطىء الآخر والوصول إلى بر السلامة تداعى الجسر .

وأما فى هنكلى المضطرمة فقد كان الموت يطارد معظم الأهالى ، وقد لجأ مئة وعشرون منهم إلى أرض سَبِخة على خط مينسوتا الشرقية فاحترقوا جميعاً واستحالوا هشيما أو رماداً . وكان ألن فريزر بحيث يسمعهم وهم يموتون ، فقال : « لما أقبلت موجه النار على هذه الأرض ارتفعت صرخة ألم واحدة ، ثم ساد السكون فيما عدا عواء الرياح » .

وقد نجا فريزر وزوجته وإبناهما بأعجوبة ، ذلك أنهم حين كانوا يفرون فى الطريق ، أقبلت عليهم مركبة يجرها جوادان بغير سائق أو حوذى ، فركبوا ووجدوا أربعة براميل ملأى بالماء ، فخرجوا من الجحيم فى هذه البراميل .

وكانت البقعة المأمونة الوحيدة فى هنكلى فى ذلك اليوم غوراً مساحته نحو فدانين وفيه ماء راكد أنقذ أكثر من مئة نفس وأنعاماً كثيرة ، فقد كانت الخيل والأبقار والكلاب والقطط تدفعها الغريزة وتهديها فتعوذ بالمكان الوحيد الذى يستطاع فيه المحافظة على الحياة .

أما الذين لم يرحلوا على قطار مينسوتا الشرقية أو يلجأوا إلى الغور ، فقد ذهبوا طعمة للنار ، وقد خرج نحو مئتين فارّين شمالا على خط سنت بول ودلوث الحديدى ، فكانت عوارض الخشب يخرج منها الدخان وتشتعل تحت أقدامهم ، وكانت ألسنة النار كل بضع خطوات ، ترتفع وتدرك واحداً ثم اثنين ثم عشرة ، حتى سقط ٣٣ على القضبان وماتوا .

ومضى الناجون شمالا ، ثم ما لبثوا أن شعروا بالقضبان ترجف ، فنظروا فإذا ضوء يدنو منهم فى الظلام ، وكان هذا هو القطار السريع إلى سنت بول ، ولكنه لم يبلغ غايته ، فقد أبصر جيم روت الذى كان فى القاطرة ، هذا الجيش من اللاجئين يعدون نحوه ، ورأى وراءهم سحابة من الدخان تحجب كل شىء ، فوقف القطار فصعد إليه أطفال صفر الوجوه ونساء شاطت شعورهن ، ورجال لم تعد لهم حواجب .

وكان أقرب موضع فيه ماء هو المستنقع الذى يسمى بحيرة « سكنك » على مسافة ستة أميال إلى الوراء ، فعكس روت اتجاه القاطرة وفتح صمامها ، ومضى بها بأسرع ما تستطيع ، وفى هذه اللحظة اندلعت النار فى الأخشاب حول المكان ، وكان لاندلاعها

انفجار فظيع حطم زجاج القاطرة فتطايرت شظاياه ، وأصيب روت بجروح عميقة فى عنقه وجبينه ، حتى لقد اضطر أن يظل يمسح الدم من عينيه .

وكانت النار كأنها فى سباق مع القطار ، فكانت على جانبيه وقدامه ، وكانت أربطة القضبان متقدة ، وكذلك أجزاء من المركبات ، وكان الدهان يسيل من جدران المركبات داخلها ، وكانت المصابيح قد أضيئت ولكن الانفجارات حطمتها وأطفأتها وهشمت كل نافذة فى القطار كذلك ، فبلغ ذعر الركاب منتهاه .

وكان الحر فى القاطرة قل من يستطيع احتماله ويعيش ، وكانت ألسنة من النار تنتشر على الجوانب الخشبية كأنما تتحسسها وتجسها ثم تستعر وتتوهج ، وذاب القصدير من مصباح القاطرة وتساقط قطرات ، واشتعلت النار فى المقابض الخشبية للآلات ، وأغمى على روت أكثر من مرة ، غير أن ماك جوان الوقاد أنعشه ورد إليه نفسه بصب الماء عليه ، فبقى يعمل .

حتى الفحم المعد لتغذية القاطرة اتقد كأنه فى موقد حين وصل القطار إلى بحيرة سكنك وحبس روت البخار ، وما كاد القطار يقف حتى صارت شعلة ساطعة ذات معمعة وفرقعة ، وتناول ماك جوان وعاء وراح يصب الماء منه على سلاليم المركبات ومقاعدها ليتسنى للركاب أن يخرجوا ، خرجوا يتعثرون إلى الماء الضحل ودخلوا فيه إلى آباطهم وغطوا رءوسهم بثياب مبلولة ، وأدركتهم فى هذه البركة موجات من النار وقد نجا المهندس روت ونحو ٣٠٠ ممن لاذوا ببحيرة سكنك .

ولما خمدت النار ، كانت أرض الصنوبر قد صارت رماداً ، وامحت قرى الحطابين وبيوتهم ، وكان الموتى على الطريق إلى مسافة عشرين ميلا إلى الشمال والجنوب من هنكلى ، وبلغت جملة ما أحصى رسمياً من الموتى ٤١٨ من بينهم كثيرون لم يستطع أحد معرفتهم .

أمنية

فى ردهة المسرح المصرى فى هوليوود « بئر للتمنى » يلقى الناس فيها دريهماتهم ويتمنون أمنية ما . ومنذ عهد قريب خرج رجل من المسرح وألقى درهمه فى البئر وقال : « يا ليتنى لم أجىء لمشاهدة هذا الفلم » .

[سدنى سكولسكى]

رســـول الرحمـــة



أوحت إحدى المعارك الدامية إلى هنري دونان بأن يؤسس أعظم جمعيـــة عالمية لخدمة البشر .

كان يومئذ قدراً مقدوراً فى تاريخ البشر ، حين نزل رجل أنيق فى بزة بيضاء من مركبته فى سنة ١٨٥٩ فألفى نفسه فى وسط معمعة سولفرينو . كان اسم الرجل هنرى دونان ، ولقد كابد فى تلك المذبحة التاريخية ساعات غيرت سيرة حياته ، فانقلب الشاب المالى الموفق رسولا من رسل الرحمة.

وقد أتى على إثر ذلك نصف قرن واسم دونان يردد فى جميع أنحاء أوربا ، ذلك بأنه قد كتب له أن ينشئ جمعية الصليب الأحمر الدوليـة ، ثم يهوى إلى حضيض الخزى والمسكنة ، ثم يستخفى سنوات حتى يظن أنه قد مات ، ثم يعثر عليه ويكرَّم بأن ينـال جائزة نوبل للسلام .

سافر دونان ذات يوم عجِلاً يريد مقابلة نابليون الثالث إمبراطور فرنسا ، الذى كان على رأس جيش فرنسى يحارب فى شمـال إيطاليا ، فلحق به فى سولفرينو .

وفى ذلك اليوم كانت الدماء تسيل مسفوحة على سبعين ميلا مربعاً من سهول لومبارديا فى مجزرة من أفظع مجازر التاريخ . وكان الملك فكتور عمانوئيل الثانى على رأس جيش مؤلف من خمسين ألف مقاتل من أهالى بيدمونت ، وقد أقسم أن يطرد النمسويين من إيطاليا ، وكان لويس نابليون قد خرج لنجدته بمئـة ألف مقاتل من الفرنسيين . أما النمسويون فكان عـددهم مئة وستين ألفاً بقيادة الإمبراطور الشاب فرنسوا جوزيف، وهو فى التاسعة والعشرين من عمره .

فلما حط دونان رحاله ببلدة كستليونى وراء الخطوط الفرنسية، ظل يراقب الجرحى يعودون صـفوفاً طويلة فى مركبات من الخشب ترتج ارتجاجاً مؤلمـاً على الطريق المرصوف بكتل الحجارة . وفى الموقعة التى استمرت ١٥ ساعة سقط ٤٥ ألف قتيل ، وظل معظمهم حيث سقط لا يعنى به أحد .

وعجز رجال الخدمة الطبيـة فى جيش الفريقين عن العمل ، لأنها لم تكن متأهبة لمثل هذا العدد الكبير من المصابين . فصار كل بيت فى بلدة كستيلونى مستشفى ، وحشر خمسمئة رجل بين جريح ومحتضر

فى كنيسة صغيرة . وتفشت الأكلة (الغرغرينة) والكزاز (التتانوس) بينهم تفشياً عظيما .

ولم يطق دونان أن يظل معتزلا جانباً ، فنسى المهمة التى قدم من أجلها . فأنشأ هذا المالى البالغ من العمر ٣١ سنة ، كتيبة قوامها ٣٠٠ رجل من الجنود والأهالى لإنقاذ الجرحى والعناية بهم وتولى هو قيادتها .

جعل العدو والصديق سواء فى رعايته . واتفق أن دخل دونان الكنيسة ورأى الجنود الإيطاليين يحاولون إخراج رجلين من جرحى النمسويين ، فحال دون ذلك ، وصاح بهم : « إنما نحن وهم إخوة ! » فسرت تلك الصيحة فى المدينة كلها ، وقدر لها أن تسرى فيما بعد فى العالم كله .

وظل دونان يرعى الجرحى شهراً كاملا ، حتى إذا ثارت فرنسا كلها وصارت الإعانات تتدفق عليه ، تسلل وتوارى عن العيان .

كان دونان سليل أسرة سويسرية ممتازة من أوساط الشعب ، اشتهرت منذ زمن بأعمال البر والإحسان ، وبعد أن تلقى العلم فى خير المدارس السويسرية ، دخل فى خدمة شركة من أكبر شركات المصارف المالية فى سويسرا .

ولما انقضت مدة تمرينه أسس شركة رأس مالها مليون فرنك لإنشاء أربعة مطاحن للدقيق فى بلاد الجزائر ، وأيده الكثيرون من أصدقائه باكتتابهم بمبالغ كبيرة . إلا أن دونان أهمل فلم يحصل على امتياز القوى المائية لتلك المطاحن ، فسعى لمقابلة الإمبراطور لويس نابليون فى سولفرينو ليحصل على ذلك الامتياز ، ولكنه لم يوفق .

فلما عاد إلى جنيف كتب يصف عاقبة موقعة سولفرينو الفاجعة ، واقترح خطة لإنشاء جمعيات من المتطوعين للإسعاف فى جميع الأمم . وقد نشرت هذه الرسالة المؤلفة من ثلاثين ألف كلمة فى سنة ١٨٦٢ فأثارت أوربا كلها . فعرض جوستاف موينيه ، رئيس جمعية النفع العام بجنيف ، أن يؤلف لجنة لتنفيذ ما دعا إليه دونان ، إلى أن تنشئ جميع الأمم المتمدنة جمعيات للإسعاف تعنى فى زمن الحرب بجرحى الجنود ، بصرف النظر عن جنسياتهم .

وقبل دونان ما عرضه موينيه ، ودعى ثلاثة رجال آخرين من كبار أهل سويسرا لينضموا إليهما ، وأنشئت لجنة سميت « لجنة الخمسة الدولية » ، وهى أصل لجنة الصليب الأحمر الدولية الحاضرة .

كان بسمارك إذ ذاك يرسم خطط سلسلة الحروب التى اجتاحت أوربا فى السنوات السبع التالية ، فلما شعر دونان بالخطر المقبل أقدم وعزم على توسيع نطاق مشروعه

ما دام لديه متسع من الوقت . فاستدعت « لجنة الخمسة » مندوبين عن جميع الدول للاجتماع بمدينة جنيف . كان ذلك جرأة بالغة ، إلا أن دونان لم يلبث أن انطلق فى سنة ١٨٦٣ ليطوف بجميع عواصم أوربا ، ولم تنقض ثلاثة أشهر حتى تمكن من إقناع ست عشرة أمة بإرسال مندوبين إلى جنيف ، واجتمعوا فى شهر أكتوبر من تلك السنة ، وتمت الموافقة على المبادئ التى تقوم عليها جمعية الصليب الأحمر اليوم .

وكان مما طلبه دونان أن الجندى إذا ما وقع جريحاً فى المعركة فينبغى أن يظل فى منعة لا يلحقه أذى ما لم يقاوم ، وأن يغيثه من لقيه من عدو أو صديق ، وأن يكون جميع أطباء الجيش والمتطوعين للخدمة الطبية بمنجاة من كل اعتداء . واقترح دونان ، فى مقابل ذلك ، أن لا يحمل سلاحاً أى طبيب أو أية ممرضة ، وأن يلبس جميع الذين يعنون بخدمة الجرحى شارات مميزة على أذرعهم . واتخذ العلم السويسرى ، بعد عكس ألوانه ، رمزاً دولياً اعترافاً بفضل سويسرا . ذلك هو أصل رسم الصليب الأحمر على رقعة بيضاء ، وذلك هو مولد أعظم عمل إنسانى منظم فى ساحات القتال .

وبعد عشرة أشهر تم توقيع ميثاق جنيف فى اجتماع رسمى عقدته الحكومة السويسرية ، وبلغ عدد الدول التى وقعت ذلك الميثاق اثنتى عشرة دولة . وكان جواب « أبراهام لنكن » رئيس الولايات المتحدة على رسالة دونان ، أن أوفد اثنين من الأمريكيين لحضور الاجتماع . ولما كان من دأب أمريكا أن تخشى التورط فى عقد المحالفات ، لم توقع ميثاق جنيف إلا بعد ذلك بثمانية عشر عاماً .

أما اليوم فإن ذلك الميثاق يحمل توقيع كل دولة متمدنة فى العالم ، ويفرض عليها أن تعامل الجرحى والأسرى معاملة إنسانية ، ويضع الأصول العامة التى تسير عليها جمعيات الصليب الأحمر المستقلة فى جميع أنحاء العالم . أما المهيمن على ميثاق جنيف فهو لجنة الصليب الأحمر الدولية ، ومقرها مدينة جنيف ، وجميع عمالها وموظفيها سويسريون محايدون . وعن يد هذه اللجنة الدولية يتلقى أسرى الحرب الهدايا والرسائل من أهلهم ، وهى التى تضمن لهم حسن المعاملة والرعاية .

وفى خلال ذلك كانت شؤون مطاحن دونان فى الجزائر تسير من سيء إلى أسوأ ، فقد قضى مديرها دونان زمناً طويلا وهو مشتت الجهد بين مشروعين كبيرين . أما الآن وقد تم مشروع جنيف ، فقد أصبح نجاحه متوقفاً على إنشاء جمعية قوية للصليب الأحمر فى كل قطر . وكان ميثاق جنيف لم يزل خاليا من نص على معاملة الأسرى معاملة

إنسانية،فأهمل دونان مطاحنه وانطلق يسعى فى تأسيس الصليب الأحمر الفرسى ، وفى إنشاء لجنة تعالج مشكلة أسرى الحرب .

ثم أخـذ دونان يكافح ثلاث سـنوات يتنازعه ما يجب عليه لشركائه ، وما يتوق إليه من نجاح العمل الذى أنشأه ووقف عليه حياته ، فجاهد ليرضيهما كليهما . فلما آلت المطاحن فى سنة ١٨٦٧ إلى الخراب ، حكم على هنرى دونان بالإفلاس ، وكان عمره يومئذ أربعين سنة .

ونكب أصدقاؤه ومعارفه فى جميع أنحاء أوربا بنكبته. وكان من مروءة لويس نابليون أن عرض عليه أن يحتمل نصف ديونه ، ولكن لم يتقدم أحد لدفع النصف الثانى .

فلما أصبح ضارعاً معدماً فرّ واستتر فى أحياء باريس القذرة المظلمة . وقد ظل برهة يتلقى مبالغ زهيدة من أصدقائه ، ولكنها انقطعت عنه بعد قليل . ولما بلى معطفه الأنيق الأسود أخذ يصبغه بالحبر . وكثيراً ما كان باب غرفته يوصد فى وجهه فينام على المقاعد فى الحدائق . فلما تمت عليه ثلاث سنوات وهو منفى شريد ، فقد أصدقاؤه ومعاصروه كل أثر له .

وفى سـنة ١٨٧٠ خمدت نار الحرب الفرنسية البروسـية ودخل البروسـيون المنتصرون باريس ، ثم حدثت أهوال «مجلس باريس» ، وأخذ الفرنسيون يقتل بعضهم بعضاً من وراء المتاريس على مرأى من الجنود الألمان الدهشين .

وإذ ذاك صحا دونان رسول الرحمة مما غشيه من سـبات الفقر والمسكنة ، وفعل ما فعله فى كستيلونى إذ تولى القيادة بنفسه فى وسط الآلام والفتن المهلكة ، بغير سلطان يخوله ذلك ، وعاد المتطوعون فاتبعوه ، وعادوا يجولون غير وجلين بين الخطوط ، يسعفون الجرحى ويطلبون العون الإنسانى باسم الصليب الأحمر ، لا يتعرض لهم أحد من رجال الجيش .

ولما استتب الهدوء فى فرنسا مرة أخرى عزم دونان على أن يبذل جهده ليكون أسرى الحرب — كالجرحى — تحت حماية ميثاق جنيف . فذهب فى سنة ١٨٧١ إلى إنجلترا ليقوم بحملته الجديدة .

وفى لنـدن ، قابلته فلورنس نايتنجيل بترحاب عظيم ، وهى السيدة الإنجليزية التى ذهبت على رأس فئـة من الممرضات إلى ميادين حرب القرم ، والتى أصبحت بعـد ذلك مؤسـسة الصليب الأحمر البريطانى . ورحبت إنجلترا كلها بدونان ، فثارت حماسته القديمة ، ووجه الدعوة إلى مؤتمر دولى آخر عقـد فى بروكسل سنة ١٨٧٤ تحت رعاية قيصر روسيا .

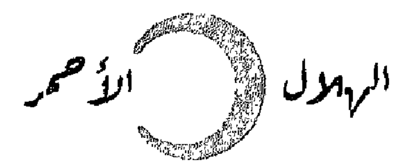
انفض هذا المؤتمر ولم يصنع شيئاً ، فإن الأمم لم تكن مستعدة بعد للاتفاق على مسئلة أسرى الحرب . والواقع أن هذه المسئلة لم يتفق عليها إلا بعد خمس وخمسين سنة أخرى ، حتى كانت سنة ١٩٢٩ فأبرمت النصوص النهائية لميثاق جنيف .

وانقلب دونان قانطاً حزيناً ، ولكن أخذت تختمر فى ذهنه فكرة أخرى ، ولربما استطاع أن يثير حماسة الناس فى سبيلها : وذلك أن لا يقتصر عمل الصليب الأحمر على زمن الحرب وحسب ، بل يشمل جميع المصائب والكوارث التى تحدث فى زمن السلم أيضا ، كالزلازل والفيضان والحرائق والمجاعات . وهذا المشروع الذى تمت الموافقة عليه فيما بعد أنقذ حياة الملايين من الناس فى جميع أنحاء العالم ، إلا أن لجنة جنيف رفضته يومئذ . وعاد دونان فى سنة ١٨٧٥ فتوارى مرة أخرى عن الأنظار .

ولم يعلم أحد أين ذهب أو كيف عاش فى هذه الفترة ، وكل ما يعرف عنه أنه اختفى خمس عشرة سنة ، ويظن أنه عاش يومئذ باسم مستعار . ولقد نشرت بعض صحف جنيف أن هنرى دونان قضى نحبه .

وذات يوم من سنة ١٨٩٠ روى بعض أبناء قرية هيدن (من قرى جبال الألب) لمعلم مدرسة القرية أنهم رأوا شيخاً هرماً على رأسه كمة سوداء وله لحية بيضاء إلى ركبتيه ، وأنه كان يراقبهم وهم يلعبون ويخاطبهم بكل حنان . فأخذ المعلم الشاب ، وليم سوندريجر ، يبحث عن سر الرجل ، ودعاه إلى منزله ، وما كان أشد ذهوله إذ اتضح له أن ضيفه هو هنرى دونان .

ولم يمض قليل حتى عقد مؤتمر دولى



أنشئت جمعية الهلال الأحمر فى سنة ١٩١٠ خلال الحرب الطرابلسية ، وكان رئيسها حضرة صاحب السمو الملكى الأمير محمد على توفيق . واشتركت فى الحرب البلقانية فى معاونة الجيش العثمانى فأرسلت بعثات مختلفة إلى ساحات هذه الحرب . وكان من رؤسائها الدكتور سليم الموصلى باشا والدكتور على ابراهيم بك (باشا) والدكتور محجوب ثابت . ومضت بعد ذلك تقوم بأعمال الإغاثة فى الحوادث الداخلية والخارجية . وقد اهتم بها المغفور له الملك فؤاد الأول فسجلت فى عهده فى عصبة الأمم بنفس النظام المتبع فى جمعيات الصليب الأحمر المستقلة .

لجمعية الصليب الأحمر فى روما ، فبعث وليم سوندريجر برســالة إلى المؤتمر لتقرأ على المندوبين : « مؤســس الصليب الأحمر لم يمت ، وهو فى عوز شديد » .

وعاد اسم دونان يسرى فى أوربا مرة أخرى ، وأخذت الهبات ترد على قرية هيدن من جميع أنحاء العالم ، وقرر مجلس النواب السويسرى منح الرجل مساعدة ، وضربت نقود باسمه، وقررت إمبراطورة روسيا الوالدة منحه معاشاً مدى الحيــاة ، ومنحته بروسيا نوط التاج ، ومنحته البرتغال نوط المسيح ، ومنحته فرنسا صليب اللجيون دونور . وفى سنة ١٩٠١ ، وعمره يومئذ ثلاث وسبعون سنة ، نال دونان جائزة نوبل للسلام .

وانتعش مرة أخرى ، إلا أن المال لم تعد له قيمة فى نظره حينئذ . فبعد أن وفى الديون التى كانت عليه لبعض الدائنين ممن علم مقرهم، أعطى ما بقى للجمعيات الخيرية ، وظل يعيش بخمسة فرنكات يوميــا فى غرفته النظيفة المشرقة بمستشفى الفقراء فى هيدن . ومات سنة ١٩١٠ عن اثنين وثمانين عاماً ، وشيعت جنازته بلا احتفال كما أوصى، ودفن فى مدينة زوريخ حيث يتولى أبناء وطنه السويسريون العناية بقبره ، ويزورونه فى الفـترات ، ليكرموا ذكرى مواطنهم العظيم — ذلك الرجل الخيّر الذى لكل العالمين فيه نصيب.

****

هندسة العناكب

كنت ذات يوم جالساً إلى جانب جدول، فاسترعى نظرى عنكبوت يتسلق إلى طرف عود من الحشائش يبلغ ارتفاعه ١٥ بوصة ، وسبح فى الفضاء أمام عينىّ المسحورتين خيط دقيق حمــله النسيم إلى شجيرة على الجانب الآخر من الجدول . ثم سار العنكبوت على ذلك الجسر الرقيق من الخيط ، فلما بلغ منتصف الطريق أحنى ثقله عود الحشيش واسترخى الخيط ، حتى جعل ينذر بأن يغمره الماء . وعاد العنكبوت إلى عود الحشيش ، وفى نحو الثلث منه عقد عقدة ثم نزل إلى الأرض وسار متجهاً فى خلاف اتجاه الريح نحو عشر بوصات . وهناك إلى عود آخر من الحشيش عقد نهاية خيطه وجعله بذلك دعامة قوية تشد أزر العود الأول فلا ينثنى . ونزل العنكبوت وعاود رحلته الأولى على الجسر فبلغ الجانب الآخر فى أمن وســلام ، وهو عمل هندسى عجيب يقوم به مخلوق من أدنأ مخلوقات الله .

من عبث الأطفال الشيطاني

النافذة المفتوحة

ساكي
(هـ . هـ . مونرو)

قالت صبية شيطانة فى الخامسة عشرة من عمرها : «ستنزل عمتى حالا يا مستر ناتل فعليك أن تحتملنى» .

واجتهد فرامتون ناتل أن يلاطف الفتاة بما لا يسىء إلى عمتها . وساوره شك لم يعهده من قبل فيما إذا كانت هذه الزيارات العابرة لمن لا يعرفهم مطلقاً قد تعينه على علاج أعصابه الذى قضى عليه أن يكابده فى هذه العزلة الريفية .

وتذكر قول أخته : « سأعطيك رسائل إلى كل من أعرفهم هناك ، وإلا فإنك ستقبر نفسك ولا تكلم أحدا ، وتزداد أعصابك اضطراباً بانقباضك وكآبتك » .

ولما شعرت الفتاة بأن مجلسهما قد خيم عليه من الصمت ما فيه الكفاية ، سألته : « هل تعرف كثيرين فى هذه الناحية ؟ » .

« أكاد لا أعرف أحدا . وقد حضرت أختى هنا منذ أربعة أعوام ، وأعطتنى رسائل لتقدمنى لبعض الناس » .

فأردفت الفتاة الشيطانة قائلة : « إذن أنت لا تعرف شيئاً عن عمتى ؟ » .

فأجابها الزائر : « اسمها وعنوانها فقط » .

فقالت الفتاة : « لقد نزلت بها مصيبتها الكبرى منذ ثلاثة أعوام تماماً حينما كانت أختك هنا على ما أظن » .

فسألها فرامتون : « مصيبتها ؟ » وخيل إليه أن المصائب بعيدة عن هذا المكان الهادىء . فقالت له الفتاة ، وهى تشير إلى نافذة كبيرة على الطراز الفرنسى تطل على حديقة المنزل : « لعلك تتساءل لماذا ندع هذه النافذة مفتوحة وقد أطل الشتاء ؟ ففى مثل هذا اليوم منذ ثلاثة أعوام ، خرج من هذه النافذة زوج عمتى وشقيقاها الشابان طلباً للصيد ، وأثناء عبورهم أرضاً موحلة ساخوا فى ورطة من وحل خدعت أبصارهم ولم تنتشل جثثهم منها حتى اليوم » .

وحينئذ اضطرب صوت الفتاة ثم قالت : « إن عمتى المسكينة تظن دائماً أنهم سيعودون فى يوم من الأيام ، هم والجرو الأسود الذى فقد بفقدهم ، وأنهم سيدخلون من هذه النافذة . وهذا هو سبب تركها مفتوحة كل مساء إلى أن يهبط الظلام . وطالما قصت علىّ كيف خرجوا ، وهذا زوجها قد خرج وعلى كتفيه معطفه الأبيض . وإنه ليحدث أحياناً فى مثل هذه الليلة الساكنة أن تنتابنى فكرة يقشعر لها بدنى . وهى أنهم سيعودون جميعاً من هذه النافذة » .

هكتور هيو مونرو ، معروف بأقاصيصه وفكاهته ولد فى بورما وقضى أكثر عمره فى انجلترا وقتل فى فرنسا سنة ١٩١٥

وقطعت حديثها وقد سرت فى بدنها رعدة خفيفة ثم هدأت نفس فرامتون حين دخلت العمـة تلقى فى الحجرة سـيلا من الأعذار لتأخرها .

وقالت : « أرجو ألا تضايقك النافذة المفتوحة ، إن زوجى وشقيقى سيعودان من فورهما من الصيد ، وهم يأتون دائماً من هذا الطريق » .

ثم استرسلت فى الحديث عن لذة صيد البط فى الشتاء ، وقد حاول فرامتون دون جدوى أن يحول الحديث إلى موضوع أقل إفزاعاً ، لا سـيما وقد لاحظ أن مضيفته ظلت تحملق خلال النافذة المفتوحة . حقا كانت زيارته فى يوم هذه الذكرى الأليمة ، مصادفة سيئة .

فراح فرامتون يقول لها : « أمرنى الأطباء أن أتجنب كل انفعال عصبى وعمل بدنى » يدفعه إلى ما قال ذلك الوهم السائد أن الغريب عن المرء يتوق إلى معرفة تفاصيل علله وأمراضه .

فقـالت مسز سابلتون بفتور : « آه » . ثم هبت فجأة مشرقة الوجه يقظة وانتباهاً ، ولـكنها لم تعر ما يقوله فرامتون اهتماماً .

وصاحت : « ها هم أخيراً قد أقبلوا فى ميعاد الشاى ، وقد غمرهم الوحل » .

فارتعد فرامتون قليلا والتفت إلى الصبية وحدجها بنظرة تنم على فهمه الذى يشوبه العطف ، وكانت الفتاة تحـدق فى النافذة وفى عينيها جنون الفزع . فاستدار ونظر فى نفس الاتجاه .

وفى ظلام الغسق ظهر ثلاثة أشخاص يسيرون فى الحديقة صامتين ، وعلى أعقابهم جرو أسود منهوك القوى . وكانوا جميعاً يحملون بنادقهم ، وقد وضع أحـدهم على كتفيه معطفاً أبيض .

اختطف فرامتون عصاه ولم يكد يتبين فى فراره الطائش باب الغرفة أو الطريق المرصوف بالحصباء .

وقال صاحب المعطف الأبيض : « هانحن يا عزيزتى ، من ذلك الذى لاذ بالفـرار عند قدومنا ؟ » .

فقالت مسز سابلتون : « رجل شاذ اسمه ناتل لا يتكلم إلا عن مرضه . وقد فرّ عند وصولـكم بلا استئذان ، كأنه رأى شبحاً » .

فقالت الفتاة بهدوء : « إنه الجرو فيما أظن ، فقد أخبرنى أنه يفزع من الـكلاب . إذ طارده قطيع من الـكلاب الهـائمة بين مقابر على ضفاف نهر الـكنج ، وقضى عليه أن يمضى ليلة فى قبر حديث الحفر ، والـكلاب تعوى وتنبح فوق رأسه . وما من امرىء يلقى ما لقى إلا طار عقله وصوابه » .

أشبه شيء بالفردوس

"المكان الذى تحلم بقضاء عطلة طويلة بعد الحرب"

ماكس ايستمان

ملخصة عن مجلة "ترافل"

هاء خمسة من أصدقائى فأبلغونى على التابع أن جواتيمالا فردوس صغير ، فعزمت على القيام بجولة فى ربوعها قالوا لى : « إن فيها ٢٤ بركاناً ، وبحيرة تفوق بحيرة لوسرن حسناً وجمالا ، ثم إنها لا تبعد عن نيو أو رليانز أكثر من ألف ميل فى خط مستقيم كما يطير الغراب ، وكذلك تفعل الطائرة » .

ولكن الطائرة التى أقلتنى خالفت الغراب فطارت بنا فى منتصف الليل ووصلت مع الفجر ، فنزلنا فى ضياء شمس الربيع الوهاج ، وفى هواء منعش بليل ، وقد فاح عبير شجر الفتنة من حولنا . وعلى درج الطائرة قامت فتاة هندية حسناء جاءت تستقبلنا ، وعلى الأفق الممتد أمام أعيننا بركان .

وكنت أعلم أن الفردوس سيدهشنى ، ولكنى لم أكن أتوقع تلك الهزة التى اعترتنى عند ما رأيت مدينة جواتيمالا ، فلقد كنت أتوقع أن أرى قرية جبلية قد نمت واتسعت ، فإذا بى أمام مدينة شيدت على أحدث طراز فى العالم ، ونسقت أبدع التنسيق . فلا ترى فيها شجرة واحدة تخل بتخطيطها الهندسى المنظم . فالشوارع تمتد مستقيمة من أول المدينة إلى آخرها ، ثم تقاطعها شوارع أخرى ، وكلها مرصوفة مصقولة ، لها أرقام مكان الأسماء ، ولا ترى منها ما يدور أو يتعرج كأنه سكران يترنح .

وفى كل تقاطع هام ، يقف جندى مرور ضئيل الجسم فوق منصة خضراء ، وقد لبس بدلة نظيفة لونها مزيج من الكاكي والأحمر القرمزى ، وفى يده عصا تنتهى بزر أحمر ، وفوق رأسه مظلة صفراء ، تحسبه حين تراه دمية من الدمي ، وذلك لضآلته ، ولأنه يدير مرور الدراجات والمركبات التى تجرها الثيران ، بإشارات آلية جامدة .

كل شيء ضئيل الجسم فى هذا الفردوس ، فمتوسط طول المرأة خمس أقدام ، والرجل خمس أقدام وبوصتان ، ولا بد لى أن أنحنى حين أمر تحت المظلات المقامة أمام الدكاكين فى الشارع الرئيسى . وكذلك الكلاب والخيل كلها من سلالات ضئيلة الحجم ، والمنازل

والمتاجر أكثرها قليل الارتفاع ، لأن سكان جواتمالا يؤثرون أن يكون البناء طابقاً واحداً يوم ينقض على رؤوسهم ، فتاريخهم حافل بالزلازل ، كما أن جغرافيتهم ملأى بالبراكين ، والواقع أن طبيعة عاصمتهم وموقعها الحالى ، هما ثمرة سلسلة من الكوارث التى توالت عليهم .

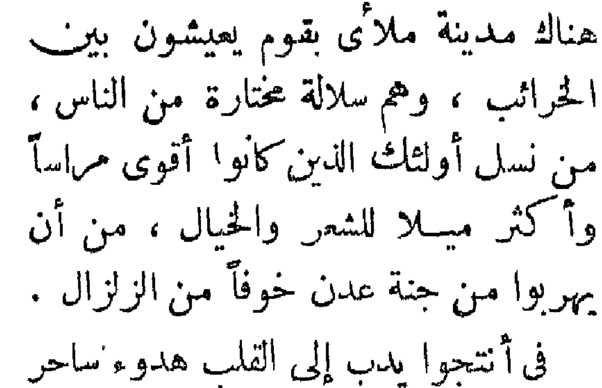
فالغزاة الإسبان بنوا عاصمتهم فى عام ١٥٢٤ على ارتفاع ١٠٫٠٠٠ قدم ، وسط حقل عظيم من الذرة اغتصبوه من جماعات المايا، غير أن الرياح الباردة اضطرتهم إلى أن يهبطوا فى عام ١٥٢٧ ، وأن يبنوا من جديد حيث الدفء على منحدر أحد البراكين ، وكان ذلك البركان لا ينفك يقذف باللهب . ولكى يثبت لهم حقيقة أمره بالحجة الدامغة ، قذف من فوهته ببحيرة ضخمة فى عام ١٥٤١ فأغرقت مدينتهم ودفنتها تحت الطين ، وبقى من المدينة « برج » ظاهر فوق الطين فأطلقوا عليه اسم « المدينة القديمة » . ثم ارتحلوا مسافة سبعة أميال ، وبنوا مدينتهم مرة أخرى فى واد بديع كأنه جنة عدن . وقد اتفقت الروايات على أنها كانت أنبل وأفخم عاصمة فى أمريكا كلها .

ثم حدث زلزال فى عام ١٧٧٣ فدمر المدينة برمتها ، فأطلقوا على خرائبها اسم « أنتجوا » أى القديمة وأجلوا مرة أخرى إلى مكان جديد ، واختاروا هذه المرة وادياً أوسع وأكثر برداً من الأول ، ويبعد عنه عشرين ميلا نحو الجنوب الغربى . غير أن الزلازل لازمتهم ، ففى عام ١٩١٧ خربت المدينة تمام التخريب .

وكذلك بنى الجواتماليون عاصمتهم مرة خامسة ، وأدخلوا فيها جميع تحسينات القرن العشرين ، ولهذا كانت أحسن رصفاً ونظاماً ونظافة ، وانسجاماً هندسياً ، وأخشى أن تكون أيضاً أنبل عواصم الأرض أخلاقاً . أما ما كان فى المدينة من شعر ، وسحر ، وتقاليد ، وقدم ، وغرابة ، وخشونة ، فإنه محفوظ فى ذلك الوادى الجميل المكسال ، ذى الهواء المعتدل ، على مسافة عشرين ميلا ، حيث العاصمة القديمة أنتجوا .



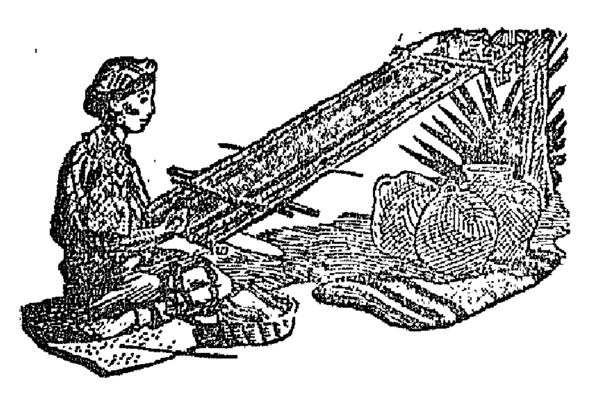
ولهذا كان أول شىء تفعله ، بعد أن تفيق من هزة المناظر الحديثة فى العاصمة الجديدة ، هو أن تطير فوراً إلى أنتجوا ، لكى تذوق لذة الشعر والأحلام . ولن تكون هناك فى عزلة ، بل ستجد



هناك مدينة ملأى بقوم يعيشون بين الخرائب ، وهم سلالة مختارة من الناس ، من نسل أولئك الذين كانوا أقوى مراساً وأكثر ميلا للشعر والخيال ، من أن يهربوا من جنة عدن خوفاً من الزلزال .

فى أتنتجوا يدب إلى القلب هدوء ساحر مبهم توحى به عزلة المكان ، واتساع الفضاء من حوله ، فالبركان الذى يطل على المدينة أصبح اليوم هادئاً لا ينذر الناس بشىء يروعهم سوى مرّ الزمان الأبدى . وأما الجو فعليل منعش ، وأما الشوارع فيغشاها سكون غامض عجيب ، كأنها لبست حلة من الرزانة والجلال ، وقد أحدقت بها الكثبان الخضر الناضرة وحملتها برفق ، كأنها قدح يحتوى شيئاً غالياً ثميناً .

وللنساء فى كل قرية من قرى جواتمالا زى ممتاز ، يتخذنه من قماش نسجنه بأيديهن على منسج يدوى لا تستخدم القدم فى تحريكه . وليس فيما يصنعه أهل الريف فى أى قطر من الأقطار ما يضاهى هذا النسيج جمالا ووشياً . ومن أجمل هذه الأقمشة ما يلبسه نساء بلدة سان سباستيان فى السهل الساحلى الحار على المحيط الهادى . والثوب عبارة عن قطعة عظيمة من القماش المطرز — يخيل إليك أنها غطاء مائدة — تلف بأدب وحشمة حول النصف الأسفل من



الجسم . وليس من فوقها شىء ، اللهم إلا ذلك البدن القوى الملىء الذى خص به نساء المايا . وقد أضطر نساء سباستيان ، من جراء فضول الناس ، إلى ترك هذا الزى العريق فى القدم حين يخرجن إلى الطرقات ، وأصبح زيهن كيساً أبيض مستطيلا يؤذى جلودهن .

ولم يكن بد — فى إقليم مرتفع مثل جواتمالا — من أن تكون العواطف حادة ، وأن تكون العاطفة الدينية بالغة منتهى القوة . فالصلوات تقام فى كل وقت دون حياء أو خجل ، وترى الميادين والشوارع والطرق ، بل حقول الذرة أيضاً ، حافلة بالمواكب الدينية ، والناس يحملون تماثيل للقديسين غير متقنة الصنع ، وهم يبتهلون إلى الله بنغمات على ألحان مزامير من خشب الصفصاف ، يصحبها رقص فى ثياب مزركشة، وألعاب نارية وصواريخ وطبول . وأحببت أن أتبع أحد هذه المواكب إلى حقل الذرة العام حيث تقام الصلوات ،

ولـكن إمام الجماعة ردنى عما أحببت .

فقلت له : « إنى أرجو أن تخبرنى بالضبط ماذا تفعلون هناك ؟ ولماذا تفعلونه ؟ »

قال : « سـأشرح لك الأمر ، لقـد أصيبت زراعتنا فى الأسبوع الماضى بصقيع فظيع ، ونريد أن نشـكو إلى الله هـذا الصقيع الذى أهلك الذرة المزروعة حديثاً . واليوم ، وقد زرعنا من جديد ، نريد أن نذهب فنسأله أن لا يرسل علينا صقيعاً آخر » .

كان يتكلم بلهجة الرجل الخبير الذى يوشك أن يعمل عملا خطيراً ، لا بلهجة صوفى يتحدث حديثاً دينياً . فلما سألته : ما فائدة الصواريخ النارية ، أجاب : « إن الله يسمع ضوضاءنا ، ونريد أن تطمئن قلوبنا إلى أنه يسمع ما نبثه من شكوانا » .

وفى جواتيمالا بلدة تدعى تشيشيكاستنانجو ، وهى منها بمثابة المركز والروح ، وليس فى العالم بلدة تضارعها فى حرارة العاطفة الدينية . وقد جعـل يوم الأحد فيها يوم السوق ، فيؤمها الهنود فى ذلك اليوم من الجهات المجاورة إلى مسافة خمسين ميلا ، من أجل التجارة والعبادة فى وقت واحد .

وعلى جانبى الميدان الفسيح الذى تقام فيه السوق كنيستان لونهما أبيض ناصع . ولـكل منهما سلالم ذات ارتفاع شاهق تذكرنا بهيا كل المايا القديمة . وفى أسفل السلم الأكبر — بالقرب من مكان البيع والشراء — مذبح يحرق الهنود عليه البخور تقرباً للمعبودات القـديمة مثل كلكاكان وپوكوجيلا .

فإذا ما دخلوا الـكنيسة ركعوا فى أى مكان ، ثم نثروا ورق الصـنوبر والورد الذى جاءوا به ، ويضع كل منهم بين يديه شمعة مضاءة . ولا يلبث صحن الـكنيسة المعتم على سعته ، العَـطِـر بما فيه من البخور ، أن يمتلئ بجماعات صغيرة من قوم سمر الجلود ، يصلون ويبتهلون ، ويلوحون بأيديهم وأذرعهم ، فتنعكس ظلال أجسامهم وصور حركاتهم على جدران الـكنيسة تحت أشعة الشموع الموقدة ، فيكون لها منظر رهيب ، وترتفع صلواتهم ودعواتهم الحارة ، فتتجاوب بها أرجاء المعبد ، فيمتلئ طنيناً وضجيجاً كأنه خلية نحل هائلة .

ولست أعلم لهذا المنظر شبيهاً فى العالم كله ، وهو فى نظرى منظر يبعث الحزن



والرثاء . ولما خرجت من الهيكل إلى ضياء الشمس اللامع أحسست كأنى كنت أبكى ، فانطلقت فى السوق المزدحمة ، بروائحها المنبعثة من الجلود والفواكه ، وبأصواتها المتنافرة ، وبضوضائها وجدالها ، وألوانها الزاهية ، فشعرت كأن عبئاً سقط عنى .

كم ذا تفقد الحياة من حسنها وبهجتها حينما تتحول « الأسواق » من مكان يحتشد فيه الناس ويجتمعون ، إلى مجرد مبادلة سلع ، قوامها الطلبات بالبريد ، والحوالات على البنوك ، والقوائم ، والسندات ، والكمبيالات ! إن معنى هذا التحول هو أن إشارات على الورق قد حلت محل الاختلاط بالناس والنشاط الاجتماعى أثناء البيع والشراء ، وما يصحب ذلك من الفكاهات ، وما يدور من النزاع والخصام والضحك ، والمساومة من أجل شراء آنية من الخزف أو خنزير أرقط .

يجب على كل امرئ أن يرحل إلى قطر من الأقطار التى لا يزال أهلها يعيشون عيشة العهد السابق لعهد الصناعة ، لكى يعرف ما هى الحياة البشرية على حقيقتها ، والأفضل أن تذهب إلى بلد حار ، حيث الحياة لا تحتاج لأن تحاط بسياج أو جدار ليحفظها ويحوطها . اذهب إلى بلدة فى المنطقة الحارة ذات ارتفاع ، لكى يكون الهواء معتدلا . وبالاختصار اذهب إلى تشيشيكا ستنانجو !... إن يوماً واحداً تقضيه فى هذا المكان ، حيث تلتقى التجارة والعبادة فى صعيد واحد ، سيكسبك إحساساً وفهماً للتاريخ البشرى أكثر مما تجنيه من مطالعة مئة مجلد فى علم حياة الإنسان .

فى هذا الفردوس يعيش شعبان جنباً إلى جنب : اللادينو وهم بيض البشرة ، أو قريبون من البياض — إذ ليس بينهم سوى بضعة آلاف لم يختلطوا بالدم الهندى — وهم يتكلمون الإسبانية ، وزيهم لا يختلف عن زى سكان أمريكا الشمالية ، ويعيشون عيشة، تعدُّ وسائل الراحة فيها من الضرورات. والشعب الآخر هو الهنود ، ولونهم أسمر مشرب بالحمرة ، وثيابهم مزيج من زى المتوحشين وزى الإسبان فى العصور الوسطى، ويتكلم أكثرهم لغة المايا ، ويعيشون كما كان يعيش الإنسان قبل أن تخطر له فكرة الراحة ببال .

وعلى أن الفروق بين الشعبين قوية واضحة ، فإن القانون لا يعترف بها . فضريبة الطرق ، مثلا ، وقدرها ريالان ، تجبى من جميع الذكور البالغين من سن ١٨ إلى ٦٠ ، ولكل امرئ الخيار أن يدفعها مالاً أو عمل أسبوعين مكان المال . وهذا المبلغ يعد فى نظر اللادينو شيئاً تافهاً ،

ولـكن من النادر جداً أن نجد هنـدياً يسـتطيع أن يقتصد ريالين على نفقـات طعامه . وإذا ذكرنا أن متوسـط الدخل السنوى لجميع السكان — بما فى ذلك أصحاب الملايين — لا يتجاوز ٣٢ ريالا للفرد ، أمكننا أن نتصور مقدار ما يكسبه الهندى الفقير .

وليس المال هو العامل الوحيد الذى يفصل بين الشعبين ، مثال ذلك أننا نجد فى بلدة أنتجوا صالتين للرقص ، ورسم الدخول فى كل منهما خمسة سنتات ، ولكن أحد المرقصين كوخ له سقف منخفض محمول على أعمدة من الخشب ، وقد جلست فرقة العازفين — وهى فى ثياب العمل اليومى — على مسرح من ألواح الخشب ، تعزف ألحانها على آلات موسيقية بعضها مصنوع من القرع الجاف . وستحس أنك غريب فى هذا المرقص ، لأن رواده جميعاً من الهنود .

أما المرقص الآخر فبناء فخم ، يكون حيناً داراً للسينما ، وفيه تجلس الفرقة العازفة على المسرح فى زى أبيض ، وتعزف على آلات يبلغ ثمن بعضها ٢٠٠٠ ريال ، وروادها من البيض . وقد يقصدها بعض الهنود من أجل موسيقاها المفضلة ، ولكنه لا يشترك فى الرقص . وقد أكد لى أحد الهنود أنه لا بأس فى أن يشترك هندى فى الرقص إذا شاء ، كما أن الناس لا يرون بأساً فى أن يشتغل الهندى بالطب أو المحاماة، أو أن يتقلد منصباً رئيسياً . ولكن الهنود عامة يعيشون فى عزلة ، وهم يقابلون السياح بشىء من التجهم ، كأنهم يقولون فى ضميرهم: « لقد فاتنا أن نطرد هؤلاء الدخلاء منذ ٤٠٠ سنة ، واليوم — مع الأسف — قد ضاعت الفرصة » .

وهكذا نجد أن الحياة فى هذا الفردوس مشرقة من جانب ومظلمة من جانب . والواقع أن المرء يحس — وهو فى الطريق إلى بحيرة أتيتلان — كأنه يسعى بين الأرواح المفقودة فى جحيم دانتى . تعترض الطريق هضبة عالية موحشة ، تحيط بها البراكين من كل جانب ، وتشقها المخارم الهائلة ، والأودية العميقة التى يوشك عمقها أن يصل إلى باطن الأرض . وجميع الطرق فى جوانبها لا تعلو وتهبط ، وتلتوى خلفاً وأماماً ، وعلى هذه الطرق ينقل الهنود غلاتهم محمولة على ظهورهم .

وقد ترى أحد هؤلاء المايا — على ضآلة جسمه — يحمل فوق ظهره من البضائع ما زنته ١٠٠ أو ١٥٠ رطلا ، وهو يكدس حمله هذا على صندوق من الخشب ، مربوط إلى طاقية من جلد البقر مثبتة على رأسه .

كأنها الجل الذى يوضع تحت السرج ، ويسير منحنياً ، لكى يكون بعض الحمل على ظهره ، وسائره مشدوداً إلى رأسه ، وفى يده عصا طولها سبع أقدام . فإذا جلس على الأرض ليستريح ، أمكنه أن يستعين بها على النهوض بحمله . وكثيراً ما يستأصل الشعر تحت تلك الطاقية المثبتة على الرأس . وإذا كان الطريق الذى يمشى فيه سهلا ، لم يبد على وجهه سوى أمارات الحزن والأسف ، أما إذا كان يصعد طريقاً شاقاً وعراً ، إلى جانبه هوّة بعيدة الغور ، فإن منظره ينم عن الألم البالغ منتهى الشدة.

فإذا وجهت إليه سؤالا وقف لحظة وأجابك على ما سألت ، وهو ينظر إليك متألماً من تحت العبء الذى يحمله ، ولكنه لا يلقى حمله على الأرض . وربما عرفت أنه سيقطع ١٨٠ ميلا ، بمعدل عشرين ميلا فى كل يوم ، ثم يقضى خمسة أيام فى سوق بعيدة لكى يبيع السلع التى أنتجها فى شهرين ، ثم يعود إلى داره بدخل قدره أربعة ريالات أو سبعة . وربما يتيسر للرجل الذى يحمل على ظهره خنزيراً صغيراً وزنه ٧٥ رطلا أن يعود ومعه ٢٠ ريالا ولكن حتى هذا الإنسان ليس حظه مما يغبط عليه .



هنالك تحدثك نفسك بأن جواتيمالا ليست فردوساً كما نزعم ، ولكن فى تلك اللحظة تزحف بك السيارة إلى حافة الخرم ، فتلفى نفسك مطلا على عمق قدره ٣٠٠٠ قدم ، حيث توجد بحيرة أتيتلان ، بمياهها ذات الزرقة العجيبة ، ومن حولها البراكين الشاهقة ذات اللون الأرجوانى تشوبه الخضرة القاتمة ، ومن فوقها سماء ضاحكة تسبح فيها السحب كأنها سمك براق فى بحر بعيد الغور . فإذا لم تكن هذه جنة ، فهى منظر ليس له فى الأرض شبيه ولا نظير . فهنا الجلال والجمال الخالص يتدفقان فى الروح بنظرة واحدة ، ثم لا تلبث حتى ترتفع إلى آفاق بعيدة عن هذا العالم حيث لا تعبأ بشىء من هموم هذا الناس ، فقد سموت على الخير والشر ، وأصبحت رفيقاً لسابحات الكواكب .

وحينما توجهت بعد هذا المنظر ، هبط بك الطريق ، ولكن سطح البحيرة ليس بعيداً . ولئن كان المنظر فى الهبوط يزيد جماله على جلاله ، فلن يضيرك هذا ، وستبتهج على كل حال حين ينتهى بك السير إلى فندق جميل ، معتدل الأجر . وهناك ستسمع بأذنيك صوت الشحارير وهى

تغرد فوق الكثيب القائم وراء الكوخ المغطى بالكروم ، وهو الذى خصصوه لإقامتك ، وسموه حجرتك . ولا بد لك أن تبتسم لذلك الطائر الغرد ، الذى يدعونه « حارس النهر » وهو يغنى ، كأنه قبّرة ذات ثلاث حناجر ، على أغصان الكرم المتدلية فوق بحر من الزهر يمتد حتى يصل إلى عتبة دارك . ولك فوق ذلك أن تسبح إذا شئت فى ماء البحيرة المعتدل الحرارة ، أو أن تجدف فيها بزورق زاهى اللون ، أوتطوف حولها فى سفينة صنعتها أيدى المايا.

* * *

وبعد ، فإنى أرجو أن لا تذهب إلى جواتيمالا باحثاً عن الفردوس، من أجل أنى ذكرت لك ذلك وحسب ، فإنه لن يجد هذا الفردوس إلا من كان صدره رحباً واسعاً ، وهؤلاء سيجدون الفردوس ماثلا أمام أعينهم كلما رفعوا أبصارهم إلى بحيرة أتيتلان .

لله درك يا شو

فاخر برنارد شو مرة بقوله : « لقد عنيت دائماً بأن لا أتلطف فى مخاطبة الأمريكيين ، وقد وصفتهم بأنهم أمة من القرويين ، وعرّفت الأمريكى الحق بأنه تسع وتسعون فى المئة أبله . وهم يهيمون بحبى » .

******

حين افتتحت كورنيليا أوتيس سكنر تجديد تمثيل رواية شو « كانديدا » أبرق إليها شو : « ممتازة ، متفوقة » فغمرها هذا الثناء بفيضه فردت عليه : « غير جديرة بثناء كهذا » . فرد شو : « عنيت الرواية » . فردت سكنر حانقة : « وأنا عنيتها » .

******

حضر شو العرض الأول لفلم مسرحيته « بيجماليون » ووقع فى مرح دفاتر الذين يعنون بجمع توقيعات العظماء كأحد نجوم هوليوود ، بل رضى أن يظهر على المسرح حين تم العرض ، وحينئذ صاح أحد النظارة : « إخ إخ » فحرك شو يديه وقال : « إننى أوافقك يا صاحبى ، ولكن أين نحن الإثنين من هذا الجمع الغفير » .

ماذا وجدت عيادات السرطان فى نساء لم يكن يحسبن أنهن مصابات بالمرض ؟

درهم وقاية : هو علاج السرطان اليوم

برنادين بيلى
ملخصة عن مجلة " هايجيا "

كل شيء طيب » كذلك قال الطبيب واثقاً ، ثم أضاف : « ولكن لاتنسى أن تعودى فى بحر ستة أشهر » .

ونزلت مسز « و » عن منضدة الفحص فرحة ، وكانت امرأة فاتنة فى أواخر العقد الثالث من عمرها ، تراها مثال الصحة والعافية وإن كانت أم ولدين — نعم وقد عزمت على أن تظل كذلك ، فكانت تذهب إلى عيادة الوقاية من السرطان للفحص مرتين كل عام ، وكانت تلك زيارتها العاشرة ، وقد ماتت أمها وجدتها لأمها بالسرطان ، وتأبى مسز « و » أن يصيبها ما أصابهما .

إنها واحدة من حوالى ألف امرأة فى فيلادلفيا أتممن حديثاً برنامج السنوات الخمس الخاص بالفحص الطبي كل نصف سنة . وهذا البرنامج العملى للوقاية من السرطان تديره النساء للنساء . وقد أنشأت هذه العيادة الدكتورة كاتارين ماكفرلين من فيلادلفيا ، ودعت إليها المتطوعات .

وكانت أعمار المتطوعات تتراوح بين الثلاثين والثمانين . منهن العوانس ، ومنهن المتزوجات ، وفيهن الأغنياء وفيهن الفقراء : إحداهن امرأة مدير مصرف ، وأخرى فى سجل المتعطلات . وقد ذكر بعضهن أن للسرطان سابقة فى ذوى قرباهن ، وكثيرات منهن كانت أسرهن بريئة منه . وكان شيء واحد يربط بينهن جميعاً ، وهو أن كل امرأة ذهبت إلى الفحص لم تشك من أعراض السرطان أقل شكاة . وكان هدف هذه التجربة التى استغرقت خمسة أعوام ، أن يتبين الأطباء : أتظهر دلائل السرطان على امرأة من هؤلاء النساء الصحيحات السليمات خلال مدة المراقبة ؟

وتلقت كل متطوعة منهن منشوراً ينص على أن الطبيبات اللائى يقمن بالفحص لا يأخذن أجراً ، وأنهن إذا اكتشفن وجود المرض فى إحداهن أحلن المريضة إلى طبيبها الخاص ، مصحوبة بتقرير واف عن حالتها يشمل ما يرينه من مقترحات للعلاج .

وكانت الفحوص تجرى فى مستشفى كلية الطب النسائية بفيلادلفيا ، ويقوم بها الطبيبات ماكفرلين ، ومارجريت س . سترجيس ،

وفيث س . فترمان . وقد تلقت العيـادة للنفقات الطارئة هبات من الجمعيـة الطبية الأمريكيـة ، ومؤسسة أبحاث السرطان الدولية ، والجيش النسائى العامل للجمعية الأمريكيـة لمكافحة السرطان . وكانت كل امرأة تتمتع بالستر الكامل فى خلع ملابسها وارتدائها ، واعد لكل منهن خِدْر محجب من كل نواحيه تستتر فيه عند فحصها .

ووجد بين هؤلاء الألف فى الفحص الأول ثلاث مصابات بالسرطان فى عنق الرحم . وكذلك قام الدليل من بداية الأمر على أن السرطان فى أدواره الأولى لا يصحبه فى العادة ما ينمّ عليه . وقد أدى اكتشاف المرض فى أوله إلى علاج هذه الحالات الثلاث توًّا بالراديوم والأشعة السينية ، وهؤلاء النسوة الثلاث هن اليوم فى تمام العافية .

واكتشفت فى الفحص العـاشر حالة سرطان أخرى فى عنق رحم امرأة فى السادسـة والستين من عمرها ، وعولجت هى الأخرى بالراديوم والأشـعة ، وتم لها الشفاء على الرغم من أن ضغط دمها المرتفع ومرض قلبها وكلاهما قد عاقا علاجها .

يضاف إلى ذلك أن سلسلة الفحوص قد انجلت عن ٤٤٢ علة التهابية فى عنق الرحم ، ومثل هـذه الالتهابات المزمنة يكون مكاناً ملائماً لنشوء السرطان . ومن أجل ذلك نصح هؤلاء المرضى أن يعالجن هذه العلل .

ولما فحصت ثُدِىّ ٢١٠٥ امرأة فحصها الأول ، وجدت بينهن خمس مصـابات بالسرطان ، فعولجن بالجراحة لساعتهن ، وانتهى العلاج إلى شفاء تام سريع .

ويوم بدأت الدكتورة ماكفراين تجاربها، افتتحت طبية أخرى، هى الدكتورة إليز لاسبرانس ، عيادة للوقاية من السرطان فى مدينة نيويورك . وكانت العيادة فى أول أمرها أسبوعية فى مستشفى نيويورك للنساء والأطفال ، ولكن الاهتمام بالمشروع بلغ من الرواج بحيث اضطرت الدكتورة لاسبرانس أن تجعل العيـادة مرتين فى الأسـبوع فى عامها الثانى . وفى نهاية ثلاثة أعوام زادوا فى سعة المشروع بافتتاح عيادة ستراج للوقاية من السرطان فى المستشفى التذكارى .

وقد وجد أربع نسوة مصابات بالسرطان بين ٢٦٣ امرأة فحصن أول فحص فى عيادة نيويورك ، وما شكت قط واحدة منهن أى عرض من أعراض السرطان ، ووجد خمسون مصابات بأورام (قد تتحول إلى سرطان على مر الزمن وقد لا تتحول) ، و ١٥ مصابات بعلل أخرى . وكان مجموع اللائى فحصن فى السنتين الأوليين ٦٥٤ ، وقد وجد ٤٩ منهن مصابات بالسرطان ، و ١٦٢ بأورام غير سرطانيـة . وقد زاد

عدد النساء اللائى فحصن إلى الآن فى عيادة ستراتج على ٢٠٠٠ امرأة.

وفى مايو سنة ١٩٤٣ أنشأت شيكاغو عيادة للوقاية من السرطان على غرار عيادة نيويورك فى مستشفى النساء والأطفال تحت إدارة طبيبة يساعدها ٢٠ طبيبة أخرى وهيئة من الممرضات وعمال المعامل الفنيين.

وقد كنت أنا المريضة رقم ٢٤٦ ، وقد اقتضتنى العيادة ثلاث زيارات ليلية . ففى الزيارة الأولى سجلت إحدى الممرضات تاريخ المرض ، وتاريخ حياتى فى أسرتى ومعيشتى ومعاشرتى وتعليمى ، ثم فحصتنى متخصصة فى أمراض النساء فحصاً شاملا .

وفى الزيارة الثانية فحص قلبى ورئتاى بالفلوروسكوب ، واختبرت عيناى وأذناى. وكانت الزيارة الثالثة فحصاً خاصاً تولته إحدى الطبيبات، أخبرتنى فيه بنتيجة الفحوص كلها. وخرجت من العيادة شاعرة بأن كل فحوص الطب الحديث تدل على أنى فى أتم صحة وعافية ، وهو شعور لا يعدله شعور آخر .

وقد فحص ، خلال الشهور السبعة الأولى فى عيادة شيكاغو ، ٢٧٥ امرأة وجد بينهن ١١ مصابات بالسرطان ، و ١٥ مشتبه فى إصابتهن به ، و ٣٩ مصابات بأورام غير سرطانية . ومع ذلك فكل امرأة من أولئك النساء كانت تشعر بأنها فى أكمل صحة .

ولكى تيسر هذه الفحوص للنساء ذوات الدخل القليل ، جعل أجر هذه العيادات الوقائية مبلغاً زهيداً ، فلا تدفع المريضة سوى خمسة ريالات للفحص الكامل الأول، ثم تكون الفحوص التالية بأجر أقل .

ولاريب فى أن النساء اللائى يقصدن هذه العيادات قد استشرن أطباءهن بطبيعة الحال، ولكنى وجدت أكثرهن قد لقين ما لقيت. فيوم ذهبت إلى طبيبى ، بعد عام من جراحة بسيطة أجراها لى فى عنق الرحم ليستوثق من أعقابها ، اكتفى الطبيب بجس الحوض بكفه ليرى أفيه ورم غير طبيعى ، فلما لم يجد شيئاً نفض يده من أمرى على عجل ، ولكن الفحص الدقيق الوافى لا يغنى غناءه شيء .

إن السرطان اليوم فى طليعة أسباب موت النساء ، فكل خمس يمتن بين الخامسة والثلاثين والخامسة والستين من أعمارهن، بينهن واحدة قد قضى عليها السرطان .

وإذا اكتشف السرطان فى أدواره الأولى تيسر نظريا أن تشفى المصابة به شفاء تاما ، ولكن الجمهور يجب أن يدرك بعض الحقائق فى هذا الموضوع . ومن أخطر هذه الحقائق أن السرطان لا يكاد يصحبه قط ألم ، إلا يوم يبلغ مبلغا يصعب فيه شفاؤه التام .

فعنق الرحم مثلا لا تكاد تكون فيه أعصاب تحس الألم، وكذلك الفحص والعلاج

لا يصحبهما أى ألم فيه . وسرطان الرحم إذا اكتشف فى بدايته أمكن شفاؤه شفاء تاما ، وعلى الرغم من ذلك فإن ٦٧٠٤ امرأة متنَ بهذا النوع من السرطان فى ولاية بنسلفانيا فى الأعوام الخمسة الواقعة بين ١٩٣٦ و ١٩٤٠

وليس كل ورم فى الشدى سرطانا بالضرورة ، والواقع أن نصف هذه الأورام لا يكون كذلك ، ولكن استئصال هذه الأورام عاجلا هو أدنى وسائل السلامة . وينبغى أن يفحص الورم بالمجهر والمريض على منضدة الجراحة ، فإن لم يكن الورم سرطاناً رتق الثدى بعناية حتى لا تحدث عاهة أو تشويه ، فإن كان سرطاناً استؤصل الثدى كله ، وهذه أضمن وسيلة لتوقى الموت من سرطان الثدى .

ويمكن تعريف السرطان بأنه : « نمو خارق فى أنسجة الفرد ذاته » وما هو إلا خلايا المرء نفسها ضلت السبيل . وليس السرطان معدياً بالملامسة أو سواها ولا يمكن أن يصيب الإنسان إذا لمست يده أنسجة مصابة به ، كلا ولا تستطيع لكمة واحدة أو أذًى فردٌ أن يجلب السرطان فى أعقابه . وهناك ثلاث طرق معترف بها لعلاج السرطان لا غير — الاستئصال بالجراحة ، والأشعة ، والراديوم ، وكل ما عداها من المراهم والأدهنة بنوع خاص إنما هو باطل محض .

والسرطان محتمل الحدوث فى كل سن ، ولو أن سن الأربعين هى السن التى تتوقع عندها طلائع السرطان فى النساء . وينصح الأطباء للنساء اللائى تتراوح أعمارهن بين الخامسة والثلاثين والخامسة والأربعين أن يعرضن أنفسهن للفحص الطبى الدقيق الوافى مرة على الأقل فى كل عام . وليكن الفحص بعد الخامسة والأربعين كل ستة أشهر ، أما من هن دون ذلك من ١٦ إلى ٣٥ فيجب أن يفحصن مرة كل سنتين .

وعلى الرجال والنساء جميعاً أن يعرفن أعراض السرطان الأولى . فالأعراض الآتية يجب أن يفتح كل امرئ عليها عينه : (١) أى ورم أو تكاثف فى الأنسجة يطول أمره (٢) أى نزف أو إفراز متردد بغير انتظام من أى منافذ الجسم (٣) أى عسر هضم يستعصى على العلاج ولا يعرف منشؤه (٤) أية قرحة لا تندمل اندمالا طبيعيا ، وبخاصة فى اللسان (٥) أى تغير مفاجئ فى شكل خالٍ أو ثؤلول أو سرعة نموه .

إن الإهمال والجهل والخوف هى فى الواقع أسباب أكثر وفيات السرطان اليوم ، فإذا ما قهرناها جميعا كسبنا المعركة الحاسمة فى حرب هذا المرض المخيف . وعندما نتحرى الأمور من أصولها نجد أن هذه الحرب هى حرب كل إنسان ، فأنت ، وأنت وجدك ، تستطيع أن تهزم السرطان .

جسر السفن إلى فرنسا

لا الغواصات ولا زوارق الطربيد، ولا الطرابيد ولا القنابل ، حتى ولا هوج العواصف التي لم يعهد مثلها منذ عشرين عاما — استطاعت أن تحول بين أساطيل الحلفاء وإنزال الجنود ومقادير عظيمة من المدافع والمؤن على سواحل نورمندى — وهو عمل من أعظم الأعمال البحرية .

فردريك سوندرن

استطاعت السفن البريطانية والأمريكية أن تنقل سيلا دافقاً من الرجال والعتاد يجتاز بحر المانش إلى نورمندى رغم ألغام الألمان وطرابيدهم وطائراتهم . وقد فعلت ذلك ولا موانىء ترسو إليها ، وتحت أعنف عواصف هبت فى الصيف منذ ٢٠ عاماً ، وإن هذا لنجاح بحرى عظيم .

وتقلع الآن مئات من سفن الحلفاء كل يوم من اثنتى عشرة ميناء بريطانية فتجتاز بحر المانش طبقاً لنظام دقيق الإحكام يشمل كل شىء ، من كتائب الجند إلى عمد الأسلاك البرقية . وإن الطوارئ لتتوالى واحداً إثر واحد ، ولكن الشحنات كلها تقريباً تصل إلى مكانها فى الموعد المضروب ، وهذه معجزة من معجزات التنظيم .

تدار هذه الحركة كلها من كهوف فى جوف أكمة على الساحل الإنجليزى . فهناك بعد اجتياز مدخل منقور فى جرف عال ، تقوم عليه بوابات ضخمة من الصلب ، ويتولى حراسته جنود مزودون بمدافع (تومى) ، تجد سلماً منحوتاً فى الصخر الأصم يؤدى إلى مكان سحيق فى جوف الأرض . فإذا اجتزت الأروقة الفسيحة طالعتك عشرات من الحجرات الطويلة منتشرة على اليمين وعلى اليسار كأنها سراديب فى وكر الأرانب . هذه الحجرات تلقى عليها أنابيب « نيون » ضوءاً صناعياً كضوء النهار ، وهواؤها منعش بارد يأتى من جهاز لا ينفذ خلاله الغاز ، ومن كوى لا تؤثر فيها القنابل . وفى غرف الاتصال الفسيحة صفت آلات الكتابة البرقية وأجهزة الراديو — وتتولى أعمالها فتيات الأسطول البريطانى الأنيقات الذكيات — وبهذه الآلات والأجهزة تتصل غرف الرقابة والتخطيط بكل مركز عصبى من مراكز الجيش والأسطول فى المملكة المتحدة وفى عرض المانش . فهذا هو « مقر قيادة الحشد والتموين » بشطريه « الحركة » و « التوجيه » .

فى حجرة التخطيط المركزية وقف الكولونيل، وعلى عينيه نظارته ، أمام خريطة ضخمة على جدار ، حددت عليها فى وضوح مواقع قواتنا . وقال الكولونيل وهو ينظر

فى برقيـة وصلت الساعة من فرنسا منقولة بالآلة الكاتبة الكهربائية : « لقد صدر الأمر بتغيير وجهة الفرقة ب » . وانتقل إلى خريطة أخرى ، وثبت عليها دبابيس ملونة تبين أن فرقة ب ماضية فى طريقها نحو المرفأ البريطانى الذى وقع عليه الاختيار بادىء الأمر . ثم قال : « بدّلوا أوامرهم على الفور، وأخطروا قسمى التوجيه والحركة » .

وسرت فى قسم التوجيه موجة من الاضطراب اليسير حين وصلت رسالة الكولونيل ، فإن الفرقة وحدة كبيرة يشقّ تحريكها جملة . على أن ضابطاً بحريا بريطانيا نظر إلى لوحة العمليات ، حيث وضعت بطاقات صغيرة فيها اسم كل سفينة صالحة للاستعمال فى كل مرفأ ، ويذكر فيها أيضاً نوعها ، وحمولتها وسرعتها ، ثم قال : « ليس لدينا فى ميناء س ما يكفى من السفن لحملهم ، أرسلوا إلى ميناء « و » فى طلب سفن الإنزال إلى البر . عندنا سفينتان نستطيع استخدامهما . ولتحشد جميع السفن فى ميناء س صباح الغد ، ومن المستطاع أن تشحن وتبحر مع قافلة المساء . وأخبروا قسم الخطط البحرية بذلك » . وسرعان ما بدأت إحدى الفتيات تبدّل البطاقات على اللوحة ، وانصرفت أخرى إلى التلفون ومعها كشف بالسفن المطلوبة ، ومضت ثالثة لتتولى إخطار قسم الخطط البحرية .

إن حجرة التخطيط البحرى تحاذى قسم التوجيه . وفيها تولى أحد الضباط البحريين دراسة الرسالة ثم قال : « فرقة ب من ميناء س ، حسن ، سنزيد عدد المدمرات » ثم التفت إلى ضابط الطيران قائلا : « فرقة مهمة تبحر غداً فى الليل ، فلعلكم تعززون دورياتكم » فأومأ ضابط الطيران برأسه ودوّن ذلك فى مذكرته .

إن مراقبة حجرة التخطيط تأخذ بمجامع النفس ، فهناك مائدة طولها ٣٠ قدماً وعرضها ٣٠ ، رسمت عليها خريطة بحر المانش ، وقد جلس من حولها عشرات من فتيات الأسطول وفتيات سلاح الطيران البريطانى ، وقد وضعن سماعات التلفون على آذانهن . فإذا ما تحركت فى المانش قافلة أو سفينة حربية عمدت إحدى الفتيات إلى تحريك مؤشر على الخريطة . على حين ينظر إلى الخريطة من منصة مرتفعة عدد من ضباط الأسطول وسلاح الطيران والجيش . وبينا أنا أنظر وضعت إحدى فتيات الأسطول على الخريطة علامة حمراء للدلالة على وجود سفينة ألمانية . فلم يلبث أن تناول التلفون ضابط بحرى وآخر من ضباط الطيران ، وفى بضع دقائق كانت ثلاث قوافل بحرية قد غيرت خط سيرها ، فى حين أطلقت

المدمرات والطائرات البحرية على العدو المغير . وفى الوقت عينه ترجمت إحدى فتيات الطيران الرسالة الواردة من إحدى الطلائع الجوية بأن وضعت علامة صفراء للدلالة على وجود ألغام بثها العدو فى المربع المرقوم ت — ١٧ . وقال أحد الضباط البحريين فى تعليل ذلك ، وهو يفحص الخريطة باحثاً عن أقرب كاسحة للألغام « لعل الطائرات ألقتها فى الليل الماضى » .

وبعد ساعات قابلنا جانباً من فرقة ب ، وقد امتدت دباباتها وسياراتها فى الطريق على مدى البصر .. وعندئذ كاشفنى جندى حانق بآرائه فى الحرب قائلا : « هل تتصور ذلك ! إننا نقطع النهار كله فى طريق معين ، أرأيت ؟ ثم ندور على أعقابنا ونعود فنقطع الطريق كله راجعين ! إننى أسألك : هل ترى وجهاً للمنطق فى ذلك ؟ ولكنها أفاعيل أولئك الضباط الكبار ... !! » .

بعد ظهر اليوم التالى كنت واقفاً على مرقب سفينة لإنزال الجنود ، وقد شدت إلى رصيف منحدر مشيد بالإسمنت ، وقد أخذت دبابات فرقة ب تنزلق وتقعقع فى طريقها إلى جوف السفينة . فقال ربان السفينة مدمدماً : « ظننت أننى سأظفر ببعض الراحة ، ولكن لم أزل أقوم بمهمة النقل ذهاباً وجيئة منذ يوم الغزو . وها هم أولاء يجيئون بى الآن من مرفأ « و » لنقل عدد من الدبابات اللعينة التى تلطخ سفينتى بالزيت » .

واتخذنا طريقنا إلى « منطقة الإبحار » حيث ينتظم عقد القوافل البحرية . وكان القبطان على حالة من التبرم ، فقال وهو حانق ساخر : « تلقيت خطابا من زوجتى ، وهى تقول إنه ما دام يوم الغزو قد انقضى بسلام ، فليس هنالك ما يدعونى إلى القلق » . ثم عض على سيجاره وصاح : « ها ! ها ! إنها لنكتة بديعة ! إن لم تصطدم بلغم أو لم تصبك إحدى سفن العدو بطربيد ، أو لم يقذفك أحد الطيارين بقنابله وأنت جالس على الشاطىء كالبطة ، فليس هنالك شىء يدعو إلى القلق ! وإذا . . . الدفة إلى أقصى اليمين ! » .

خرجت الكلمات رنانة من بين شفتيه حين لمح زورقاً من زوارق السواحل عليه علم يدل على أنه يحمل شحنة من المتفجرات ، قد غير طريقه فجأة ومضى يقطع خط سيرنا ، وهو قريب من مقدم سفينتنا قرباً ينذر بالخطر . وقال الربان وهو يتنفس تنفساً ثقيلا . « أرأيت ماذا أعنى ؟ » ، ولقد رأيت .

كان يحيط بنا من كل جانب عدد لا يحصى من السفن — مئات من السفن — سفن صيد ، وسفن الحرية (المجهزة للغزو) وبواخر الركاب المحولة لأعمال النقل ،

والبوارج ، وكلها غادية رائحة . وثمة برج متصل بالحصن الذى فى جوف الأرض، يتولى تسييرها بإشارات لا تنفك تضىء وتنطفىء .

ومن هذا البرج صدرت إلينا الإشارات الضوئية بتحديد مكاننا من سائر السفن التى تضمها القافلة . وحين خرجنا إلى عرض البحر اتخذت المدمرات أماكنها على جوانب القافلة لحراستنا ، وانسابت فى الجو أولى طلائع المقاتلات التى عهد إليها بحمايتنا طول الطريق . وعندئذ قال الربان : « إننى لا أستطيع أن أغادر مركز القيادة على ظهر السفينة ، فإن الحوادث تتوالى ولا تنقطع . إننى لم أجتز فى حياتى ماء كهذا الماء فى شدة ازدحامه » .

والواقع أن معابر القوافل ضيقة ، لأن طائرات الألمان تبث الألغام كل ليلة ، وأقل انحراف عن الطرق المطهرة من الألغام فى هذا الماء معناه الخطر العاجل القاتل . وقد كانت إحدى جماعات الكاسحات تشق طريقها نحونا ، وتجر خلفها أسلاكها المشدودة ، وإذا انفجارات ثلاثة مكتومة تتوالى فجأة ، وتبعث إلى عنان السماء بنافورات ضخمة من الماء تنصب أمامنا . فقال الربان : « أرأيت ما أعنى ! إن الطريق لا يكاد يتسع لأقل حركة هنا أو هناك » . وكانت تطفو على سطح الماء بين حين وآخر بقايا سفن أقل منا حظا . فمن طوف فارغ ، إلى جثة منتفخة ، إلى منطقة للنجاة مثقلة بالماء. وكانت تمر بنا من الطريق المقابل سفن عائدة لا يكاد حبلها ينقطع . وكان يشاركنا طريقنا قوافل أخرى تسبقنا أو تلاحقنا . ولم يخل الأفق قط من سفائن الحلفاء .

ثم لاح ساحل فرنسا ، ولم يكن شبيه فى شىء بالساحل الذى رأيته يوم الغزو . فعلى مقربة من الشاطىء تماما ، رأيت غابة من صوارى السفن ومداخنها ،وقد أحصيت أكثر من مئتى سفينة فى مرسانا وحده . ولما أرسلت إلينا « سفينة الإدارة » إشارتها الضوئية ، أن « أرسو فى نقطة ك » زمجر القبطان : « تبًّا لها ! هى الصخور ، سنرسى عندها مرة أخرى ! » .

والحق أن إرساء سفينة الإنزال على ساحل نورمندى ، عمل يخالف المألوف مخالفة عجيبة . فإن عليك أن تنتظر حتى يبلغ المد غاية ارتفاعه ، فتندفع بسفينتك حتى ترتطم بالرمل ، ثم تنتظر حتى يتركك الماء المنحسر فى مكان مرتفع جاف ، وعندئذ تفتح فى مقدمة السفينة بعض الأبواب ، ثم يمد جسر النزول ، ثم تنحدر من فوقه الدبابات إلى الأرض اليابسة . حتى إذا عاد المد إلى ارتفاعه تعود السفينة محمولة على متن الماء مستعينة بآلة تشدّ سلسلة المرساة

الثقيلة المثبتة فى قعر الماء من مؤخر السفينة .

وبينا تنتظر سفننا حتى يفرغ شحنها تتخذ قرارات هامة يتولاها رجال لا يعرفون معنى التعب ، يقيمون فى بناء اخترقته القنابل ، وهو البناء الذى يضم مكتبي الضابط المشرف على الساحل والضابط البحرى . وبين يدى هذا الأخير مجموعة من قوائم البضاعة المشحونة والرسائل .

فهذه فرقة ب يجب أن ترسل من فورها إلى الميدان ، وهذه صنوف شتى من البضاعة المشحونة أولى بالتقديم على سواها ، وهذا سلاح الإشارة فى شربورج فى حاجة ماسة إلى أعمدة تلفونية مشحونة على ظهر السفينة رقم ٣٤٧ ، وهذه المدافع المضادة للطيران فى قطاع ف تلح فى طلب ذخيرة مشحونة على سفينة فى المرسى ، وهذا الجنرال ج يطلب قذائف قطرها ١٠٥ مليمترات استعداداً لهجوم داخل شبه الجزيرة ، والقذائف مشحونة فى « سفينة الحرية » رقم ٢٧ ، وهكذا يجتمع الأسطول والجيش — فى شخص القائد والكولونيل — عشرات المرات كل يوم ليتدبرا الأمور .

وتخرج سيارات برية مائية معروفة باسم (البط) من حظيرة واسعة أجيد إخفاؤها ، فتدلف إلى الشاطىء ثم تسبح فى الماء حتى تصل إلى « سفينة الحرية » لتحمل القذائف التى يتعجلها الجنرال ج ، ثم تعود بها إلى سيارات النقل المنتظرة على الشاطىء .

ويجرى هذا العمل طيلة اليوم على طول خمسة عشر ميلا من الشاطىء ، ثم يستأنف فى الليل على ضوء الأنوار الكهربائية المعكوسة . ويتولى ضباط الشواطىء ، بأجهزة الإشارات الضوئية ومكبرات الصوت ، تنظيم حركة النقل فى البر والبحر . وإن قوائم الشحنات وحدها لتعلم الإنسان كثيراً مما يجهل عن حاجات الجيش الحديث ، فالأدوات الطبية ، والمؤونة والذخيرة تعد من مألوف حاجتها . ولكن هناك غيرها كمسامير الإسكاف ، وكراسى علاج الأسنان ، وبطاريات الأنوار الكاشفة ، وصمامات اللوحات التلفونية ، وأقفاص من الغاب لحمام الزاجل ! وقد شكا لى أحد ضباط الجبهة من كثرة هذه الحاجات قائلا : « إن تفريغ شحنة أخرى كفيل بأن يبهظ شبه الجزيرة اللعونة حتى توشك أن تنشق من جوانبها ! » .

وتحلق طائرات الاستكشاف الألمانية فوق المكان كل ليلة تقريباً ، ولكن غارات القاذفات قليلة ومتباعدة . وقد كانت العاصفة شراً من الألمان ، وإن ضباط « التوجيه » وقواد السفن وضباط السواحل ليرتعدون حينما يقصون أنباء العاصفة .

وقد حدث فى فجر يوم ١٩ يونيو — بعد يوم الغزو بثلاثة عشر يوماً — أن مالت الرياح فى بحر المانش فجأة إلى شىء من الشدة، وتغيَّر اتجاهها . وقال علماء الأرصاد إنه اضطراب لا يلبث بضع ساعات حتى يزول . وربما كان ذلك مبلغ ما كان عند موازينهم الجوية وخرائطهم ، ولكن الريح أخذت تشتد وتهب من أسوأ وجه ممكن ، حتى إذا كانت الساعة السادسة صباحاً بلغت مبلغ العواصف ، وراحت الأمواج العاتية الغاضبة تتلاحق تترى على الشاطىء .

ويقول أحد ضباط السواحل : « يا له من منظر رهيب ، لقد كانت الموجة تمسك بالسفينة وتقذفها على الشاطىء قذفاً ، ثم تتناول غيرها وترجم بها الأولى ! » .

وأما المراسى التى لم تخطر بأمر العاصفة فقد أخذت على غرة . وفى ذلك يقول الربان: « لقد اضطررت إلى الاحتفاظ بالمحركات دائرة بأقصى سرعتها حتى أظل مكانى . وفى تلك الليلة يا لله! ويا لها من ليلة ! كانت السفن والزوارق طافية من حولنا مفلتة الزمام . وقد خيل إلىّ على حين غرة أن جبلا يوشك أن يهبط علينا ، فكنت أنحرف إلى أقصى اليمين ثم إلى أقصى الشمال ، ولكن السفينة اللعينة ظلت تلاحقنى . وأخيراً صدمت سفينة إنزال لم تتمكن من مجانبتها ، فبسطتها كما تبسط المطرقة علبة من الصفيح » .

وظلت الريح صرصراً عاتيـة ثلاثة أيام وثلاث ليال سويا، حتى قرر رجال الأسطول، بعد مباحثاتهم فى غرفة الاجتماع بالحصن المنحوت تحت الأرض ، أنه لا بد من إجراءات تقتضى شجاعة وبطولة : فلتقتحم السفن المشحونة أرض الشواطىء .

وفعل الربان ما أُمر أن يفعل، فاستقرت سفينته مقصومة الظهر على مكان يرتفع ٣٠٠ قدم عن مستوى المد العادى ، ولكن حيلة اليأس أفلحت ، ونال مونتجومرى وبرادلى حاجتهما من الذخيرة .

ولا تكاد توجد الآن علامة تدل على العاصفة، فأنت ترى حطام سفينتين أو ثلاث، أما معظم السفن الباقية فقد أصلح بعد أن حفر لها فى الرمل قنوات هبطت منها سابحة إلى البحر . ولم يكد ينقضى أسبوع حتى كانت بواخر النقل التى تجتاز المانش تنقل ضعف ما كان مقدراً لها كل يوم .

وأخيراً يقول الربان : « إنى أبرم بأشياء كثيرة ، ولكننى أنحنى أمام أولئك الذين وضعوا الخطة . فالمسألة مسألة فكر وتنظيم ، ألا ترى ماذا أعنى ! » .

انتحار المدنيين في سيبان

روبرت شيرود ٭ ملخصة عن مجلة « تايم »

في أحد الأيام الأخيرة من أيام المعركة التي دارت للاستيلاء على جزيرة سيبان في المحيط الهادى، قصدت إلى طرف الجزيرة الشمالى الذى يرتفع عن البحر والصخور المرجانية الناشزة بمقدار ٢٠٠ قدم، وسألت أحد الجنود البحريين الموكول إليهم دفن الموتى عن أمر القصص التى سمعتها عن انتحار المدنيين اليابانيين : أصحيحة هى ؟

فقال لى: « إنك لن تصدقها حتى تراها، وأمس وأول من أمس كان هنا فوق هذا الجرف مئات من اليابانيين المدنيين رجالا ونساء وأطفالا ، وكانوا يثبون من فوق الجرف أو ينزلون متسلقين الصخور ثم يهوون إلى جوف البحر ، ولقد رأيت أباً يقذف إلى البحر بأولاده الثلاثة ، ثم يقفز إلى البحر وراءهم » .

وأشار قائلا : « أنظر ، فهناك أحدهم يهم بأن يلقى بنفسه إلى اليم » ، فرأيت شاباً يابانياً لا يتجاوز الخامسة عشرة يجلس فوق صخرة ، والماء يداعب قدميه ، وأخيراً أسلم نفسه لغمرات الماء .

فصاح البحار: « لقد قذف بنفسه فى اليم » .

وحملت الشاب موجة قوية ، وكان فى بادئ الأمر مستلقياً على وجهه فى الماء بلا حراك ، وأخيراً على ما يظهر استولت عليه غريزة المحافظة على الحياة فأخذ يدفع الزبد بساعديه ، ولكن بعد فوات الأوان ، فإذا سرواله الأسود الذى امتلأ هواء قد أخذ يهتز فوق الماء عشر دقائق ثم اختفى .

ولما صوبت نظرى عددت أجساد سبعة آخرين من المدنيين قد انتحروا .

وقال لى الجندى : « هذا لا يعد شيئاً ، وعلى بعد ميل من هنا فى الجانب الغربى ترى مئات منهم » .

وأيد ذلك ما سمعته بعد من ضابط إحدى كاسحات الألغام التى كانت تعمل فى الجانب الغربى، فقد قال: « ان البحر طافح بالأجسام الطافية بحيث لا نستطيع أن نتجنبها ، ولقد رأيت امرأة فى غلالة بيضاء موشّاة وشعرها الفاحم مرسلا على الماء ، وكلما رأيت مثل هذه الغلالة فكرت فى هـذه المرأة . ولقد رأيت طفلا غريقاً فى الرابعة أو الخامسة وذراعه تطوّق عنق جندى . ولقد رأينا مئات ومئات من الجثث اليابانية » .

وقال لى الجنود البحريون إن بعض الآباء كانوا يذبحون أبناءهم قبل إلقائهم من فوق الجرف ، وإن غيرهم كانوا يجندلون أولادهم. وشاهد الجنود البحريون مرة وهم فى دهشة ثلاث نساء جالسات فوق الصخور وهن يسرّحن شعورهن الفاحمة الفينانة بعناية ، وأخيراً وضعت كل منهن يدها فى يد الأخرى ومشين الهوينا ، وهوين فى جوف البحر .

وأعجب ذلك ما كان من أمر مئة من المدنيين ، فقد انحنوا يحيون الجنود البحريين الذين كانوا يرقبونهم من الجرف ، ثم تجردوا من ملابسهم واستحموا فى البحر . فلما انتعشوا ارتدوا ثياباً قشيبة ، ونشروا علماً يابانياً ضخماً فوق صخرة ناعمة ، ثم أخذ الرئيس يوزع قنابل يدوية ، ففجروها وقتلوا أنفسهم واحداً بعد آخر بنسف أحشائهم .

وذات يوم لاحظ الجنود البحريون حلقة فيها خمسون يابانيا بينهم عدة أطفال صغار ، وهم يتقاذفون فى سرور بالقنابل اليـدوية كأنما هم لاعبو كرة يتدربون قبل الشروع فى اللعب . وفجأة أسرع ستة من الجنود اليابانيين فاندفعوا من كهف كانوا يطلقون منه الرصاص على الجنود البحريين ، ووقفوا فى كبرياء وشموخ أمام المدنيين ونسفوا أنفسهم وانتقلوا إلى العالم الآخر ، فحجل المدنيون وحذوا حذوهم .

فهل معنى هذا الانتحار أن اليابانيين فى جزيرة سيبان قد صدقوا الدعاية التى أخبرتهم أن الأمريكيين وحوش وأنهم سيقتلونهم ؟ كثيرون منهم كانوا يطلبون من الجنود الأمريكيين أن يقتلوهم مباشرة بدلا من تركهم يعانون العـذاب الذى ينتظرهم ، ولـكن الـكثيرين ممن اختاروا الانتحار كانوا ينظرون غيرهم من اليابانيين المدنيين وهم يسيرون فى معسكرات اعتقالنا دون أن يصيبهم أذى ، وكانوا يستطيعون أن يسمعوا بعض الذين استسلموا وهم ينصحونهم بأن لا يزهقوا أرواحهم بأيديهم .

وقد أصبح الجنود البحريون ينتظرون من الجنود اليابانيين كل عجيب فى أساليب إهلاك أنفسهم ، ولـكنهم لم يكونوا يتوقعون من المدنيين مثل هذه البطولة فى الانتحار . وقد قتل أكثر من رجل من رجال الولايات المتحدة المحاربين وهم يحاولون إنقاذ أحد اليابانيين من هذا الانتحار الطائش .

وسيبان هى أول ما غزى من الأرض اليابانية التى يسكنها عدد كبير من المدنيين اليابانيين — وكان هنـاك عشرون ألفاً ، فهل معنى انتحار سيبان أن الشعب اليابانى برمته سيختار الانتحار قبل التسليم ؟ ربما كان ذلك هو ما يريد اليابانيون ودعاتهم أن يدخلوه فى روعنا ويحملونا على تصديقه .

[صورة تاريخية مثيرة وموجزة لم تنشر قبل اليوم]

آخر أيام موسوليني

جورج كنت

(وقف على قصة سقوط موسوليني أحد محرري المختار الجوالين ، سمعها من دينو جراندى وغيره من أعضاء المجلس الفاشي الأعلى ، ومهما يكن الحكم الأخير على موقف جراندى ، فسيظل له شأن في التاريخ من أجل ما فعله في خلع الدكتاتور الإيطالي) .

سنروى اليوم ، لأول مرة ، قصة الأيام السبعة الأخيرة من حكم موسوليني دكتاتور الشعب الإيطالي ، وقد بدأت هذه الأيام — ما بين ١٩ و ٢٥ يوليو سنة ١٩٤٣ — باجتماع هتلر والدوتشي في قرية من قرى الألب ، يوم كانت جيوش الحلفاء تتقدم تقدماً حثيثاً في صقلية ، وقد انتهت بانعقاد المجلس الفاشي الأعلى في حجرة الشرفة المشهورة بقصر البندقية في روما ، وكانت جلسة عنيفة استغرقت اثنتي عشرة ساعة .

ولما اجتمع موسوليني وهتلر في قرية فلتر في شمال إيطاليا في ١٩ يوليو ، وهو اليوم الذي بدأ فيه الحلفاء يضربون بالقنابل روما من الجو ، أوضح الزعيم الألماني للدوتشي أن أفراح النازية والفاشية قد انتهت ، وأن القيادة العليا الألمانية ستتولى زمام الأمور في إيطاليا اسماً وفعلا ، وصارح موسوليني بأنه إذا لم يتجلد ، ويستنهض همة شعبه ، ويجعله مقبلا على الحرب بقلبه كله فإنه سيعزله ويعين بدلا منه من يستطيع ذلك . فكان الحديث من أوله إلى آخره مكدّراً . ولما استقل القطار عائداً إلى روما من فلتر كان يحمل إلى قومه الذين يكرهون الألمان رسالة الخضوع التام لألمانيا ، وكان لا بد من دعاية تفوق المألوف لحملهم على قبول ذلك .

ولما لم يكن موسوليني يوماً ما رجلا قوى البنية ، فقد حمل القطار في عودته رجلا عليلا سقيما . وكل منا يتذكر تلك الصور التي كان يتراءى فيها موسوليني وهو في وقفة الرجل القوى العضلات الذي ينزلق على الثلج وينفض الثلج من فوق صدره العاري . والذي كنا نجهله أنه بعد انصراف المصور كان الدوتشي يظل طريح الفراش أربعاً وعشرين ساعة حتى يستفيق .

وهو يشكو قرحاً فى المعدة ، ويتحرى فى داره الاقتصار على اللبن والطعام المسلوق ، ويتحاشى الطباق والخمر، ولكنه فى المناسبات العامة ، من أمثال هذا الاجتماع بهتلر، يستر ضعفه ، ولا يتردد فى التهام كل ما يقدم له ، ويعانى بعد ذلك الآلام الشديدة . ولما كان القطار يخضه خضاً كان يتلوى من الألم فوق أرض القطار ، ويحاول من حين إلى حين أن يهدئ وقدة الألم بكل حيلة ما استطاع .

وفى يوم الأربعاء ٢١ يوليو ، بعد عودته إلى روما ، أدهش بطانته بطلب عقد المجلس الفاشى الأعلى يوم السبت التالى ، ولم يكن قد عقد مثل هذا الاجتماع منذ ثلاث سنوات ، ولكن عذر الدوتشى كان واضحاً ، فقد كان يحمل إلى إيطاليا جرعة غليظة ينبغى أن تتجرعها ، وهذه الجرعة هى ضياع السيادة الإيطالية ، فهو من ثم فى حاجة إلى كل مناصرة ممكنة .

وقد ظل دينوجراندى عامين يكربه التفكير فى النكبة التى ستحل ببلاده ، ولم يكن هناك سوى مخرج واحد ، وهو أنه يجب أن تخرج إيطاليا من هذه الورطة قبل أن تضيع الفرصة . ولكن إيطاليا لا تستطيع الخلاص ما دام موسولينى مستولياً على مقاليد الأمور ، فمن أجل ذلك ينبغى أن يزول موسولينى من الطريق .

ففى يوم الخميس ٢٢ يوليو عقد جراندى العزم على أن يفضى إلى موسولينى بأنه سيطلب من المجلس أن يخلعه ، ولا يعرف مقدار الشجاعة التى يقتضيها ذلك إلا من عاش سنوات تحت نير الحكم الفاشى . ومثل هذا الطلب من المجلس شىء ممكن ، ولكن تحذير الدوتشى قبل ذلك بيومين هو الانتحار . وقبل موسولينى أن يقابله وحدد له بخمس عشرة دقيقة .

فبدأ جراندى ذو الصوت الناعم يذكر الدوتشى بما قاله هو ذات يوم : « لتهلك الأحزاب جميعها بما فيها حزبنا وغيره ، مادام فى ذلك سلامة البلاد » ، وأخبره جراندى أن البلاد فى خطر ، وأن واجب الدوتشى أن يعيد قيادة الجيوش إلى الملك حتى يتسنى عقد الصلح .

ومكث معه جراندى ساعة ونصف ساعة ، واربد وجه موسولينى ، وكان فى أثناء حديث زائره لا ينى يعبث بقلم ، وأخيراً نهض الدوتشى وقال : «سنرى» ، وانتهت المقابلة .

ولما صار جراندى فى منزله ردد النظر فى قائمة أعضاء المجلس الأعلى ، ووضع علامة بإزاء ستة أسماء يستطيع أن يعتمد على صدق نية أصحابها فى تلك الأزمة . وفى مساء ذلك اليوم زارهم ، وقد أدرك أن هؤلاء الستة سيشدون أزره فى حملته على موسولينى ،

وقضوا ذلك المساء واليوم التالي في التشاور، على حين كان جواسيس موسوليني ، يرقبونهم خفية ، وكانوا مهددين في كل لحظة بأن يضع الرصاص حداً لحديثهم ، ولكنهم كانوا قد وصلوا إلى الحد الذي أصبح فيه شرفهم، من حيث هم وطنيون ، أعظم شأناً وأجل خطراً من حياتهم .

وفي الساعة الخامسة من عصر يوم السبت أخذت العربات التي تقل أعضاء المجلس الأعلى تكر أمام قصر البندقية ، وفي الساحة التي كانت خالية عادةً إلا من حارس أو حارسين، اصطفت كتيبة من رجال المليشيا الفاشية على رؤوسهم الخوذات وقد تسلحوا بالبنادق والمدافع — وهو تحذير رقيق .

وحجرة الشرفة في القصر ملاصقة لمكتب موسوليني ، وكان يمر من خلالها إلى الشرفة في كل مرة يلقي فيها خطبته على الجماهير المتجمعة في روما ، وهي حجرة مستطيلة مزينة بالصور والرسوم، يضيئها شمعدان جميل الصنع يرجع إلى عهد النهضة ، وفي أحد طرفيها كرسيّ كالعرش وهو مجلس الدوتشي ، وأمامه نصف دائرة متسعة من الكراسي

وقبل جلوسهم رفعوا جميعهم أذرعهم بالتحية الفاشية، وانعقد المجلس الفاشي الأعلى. وبدأ موسوليني الكلام ، وظل حوالي ساعة يتكلم عن سير الحرب ، وألقى تبعة الهزيمة على عاتق القادة الحربيين ، وعارض في ذلك المارشال الشيخ دي بونو الذي نزعت منه قيادته في حرب الحبشة ، واستمرت المناقشة ساعة أخرى .

وبعد الساعة السابعة بقليل أبدى جراندي ملاحظة ، وذلك أن المجلس المنعقد مجلس مدني ، وأنه ليس أهلا لأن يبحث المسائل الحربية، ثم اتجه إلى موسوليني وقال : « إنك تعرف ما سأقوله ، فقد أفضيت به إليك منذ يومين » فقطب الدوتشي ما بين عينيه واصفر وجهه ثم قعد صامتا وهو يعبث بقلمه ،وتكلم جراندي أكثر من ساعة محرّضاً يقول : إن موسوليني قد أصبح لا يرجى منه نفع ، وإن قيادة الجيوش يجب أن ترد إلى الملك .

ثم سحب من جيبه صورة اقتراح يرمي إلى إعادة الحكومة النيابية وينصح موسوليني بأن يلتمس من الملك أن يكون المرجع الأعلى في الأمور كما تنص المادة الخامسة من الدستور.

وبعد أن قرأ جراندي الاقتراح نطق بكلمة تعد في تلك القاعة كلمة ثورية وهي قوله : « ڤوتاري » (لنأخذ الأصوات) ، فمنذ نيف وعشرين سنة لم يؤخذ صوت أحد من الأعضاء في اجتماعات المجلس الأعلى ، وأعاد جراندي كلمته وجلس .

وكان المجلس قد ظل منعقداً أربع ساعات، ولم يدخن أحد لأن موسوليني لا يدخن ،

ولم يذق أحد شراباً ولا طعاماً ، ولم يكن هناك ما يراخى من توتر المجلس. وكان موسولينى قد اعتمد على الخطب الهائجة الهادرة وعلى التهديد والوعيد ، ولكنه وجد أمامه وثيقة وطلباً بإجراء التصويت ، فأخذ يميل على جوانب مقعده وشفتاه ترتعشان ، وهو ينقّل قلمه فى أنامله .

وفى الأبهاء الخارجيـة الملاصقة للحجرة مباشرة كان يقف نحو ستين رجلا يحملون الحراب ، وهؤلاء الرجال ، وهم من أشد رجال إيطاليا بأساً ، هم حرس الدوتشى ، وكانوا قد أقسموا على حمايته ومناصرته حتى الموت ، وكانوا لا يطيعون سواه ، وكلمة من هذا الرجل الجالس على العرش كانت كافية أن تخرس ألسنة جراندى وأنصاره إلى الأبد .

ولكن لم يحدث شىء من ذلك ، ووازن فدرزونى — رئيس الأكاديمية الملكية — بين هذه الحرب والحرب السابقة ، مما أساء إلى موسولينى . وتحدث بوتاى الذى كان يشرف على اتحادات العمال ، عن تململ الصناع ، وهاجمه دى مارسيكو وزير العدل من وجهة النظر القانونية ، وجعل ستفانى وزير المالية السابق يذكر الخراب الاقتصادى الذى أحدثته الحرب .

وعضد الكونت شيانو صهر موسولينى جراندى بشجاعة، وكان من الأفراد القلائل الذين اطلعوا على خطط جراندى من قبل . وقد خاطب المجلس متهماً موسولينى بأن حبه الأعمى للمجد الحربى هو الذى جعله يقود إيطاليا إلى الحرب دون أن يستشير المجلس ، وبأنه خالف نصيحته ، هـذا على ما كان معروفاً عن نقص الكثير من ضروب المعدات الحربية .

فصاح به موسولينى : «لقد دخلت الخيانة دارى حين دخلتها أنت ! » ثم أخذ أنصار موسولينى يتحدثون ، واستمر الحديث أربع ساعات أخرى ، وأخيراً نهض موسولينى وقال : إنه لم يتم شىء ، وإن الليل قد أوغل بهم ، وأعلن أن الاجتماع قد فض .

فهب جراندى واقفاً وقال : « وماذا يضيرنا إذا تصرّم الوقت ؟ إن الجنود الإيطاليين فى هذه اللحظة يحاربون ويقضون نحبهم فى ساحات الحرب فى صقلية ، فلماذا يزعجنا فقدان بضع ساعات ؟ ينبغى أن نجد حلا » .

وظل الاجتماع منعقداً ، وشرع موسولينى يتكلم ، وقد علت وجهه قترة ، وكان فى صوته — كما وصفه أحد أعضاء المجلس — ضراوة الأسد الجريح ، وأخذ يدافع عن استئثاره بالحكم وعن ميثاق المحور ، وقال إن وقت النكوص والارتداد قد ولى ، وإن على إيطاليا أن تظل محاربة ، وإن ضميره

مرتاح ، وإن الناس على بكرة أبيهم معه .
فطلب إليه جراندى أن يخبرهم بما قاله هتلر ، فامتنع موسوليني ولكنه أكد للمجلس أنه لا بد من النصر .
فصاح جراندى قائلا : « كلام ، ولا شيء غير الكلام ! إننا نعلم أنك طلبت ثلاثة آلاف طائرة فلم يقدم لك سوى ثلثمائة » .
وتصدى فارنتشى ، الذى كان يوماً ما سكرتيراً للحزب الفاشى ، للدفاع عن موسوليني ، فخطب خطبة ضافية ، وامتدح هتلر وأثنى على ألمانيا ، وطلب إلى المجلس أن يعطى صوته موالياً موافقاً . وتقدم فى إثر ذلك سكورزا ، سكرتير الحزب ، باقتراح كان فى صميمه ثقة بموسوليني ، وكان هذا الاقتراح يعلن أن جميع الذين عارضوا الحكم المطلق والحرب هم أهل للاتهام بالخيانة .
وصاح فارنتشى قائلا : « نعم إنها الخيانة » وطلب عقاب الذين أوتوا « عقلية دمقراطية » جميعاً ، وقال جالبياتى الذى كان رأس المليشيا : « إن جيوشى ستعرف كيف تؤدبكم أنتم يا من رفعتم أصواتكم هذه الليلة » . وصاح ترنجارى كازانوفا المدعى العمومى قائلا : « تذكروا أنكم تخاطرون برقابكم » .
وكان الاجتماع الآن قد مال إلى جانب موسوليني ، ولكن لم يعرف الابتسام طريقاً إلى وجهه وهو لاينفك يعبث بقلمه ، ووقف ثلاثة من الأعضاء الذين أيدوا جراندى من قبل ليقولوا إنهم كانوا على خطأ .
وكانت الساعة قد قاربت الرابعة صباحاً ، وكانت الحجرة قد غمرتها أعظم مظاهر الحدة والفتك ، وكانت قعقعة البنادق التى يحملها جنود الحرس وهم يتبادلون النوبات تصل إليهم من الطابق الأول ، وكان كل شيء محتمل الحدوث .
وكان جراندى قد نال منه الكلال والإعياء ، ولكن رأسه ظل مرتفعاً مُنيفاً ، فنهض ووقف لحظة صامتاً ثم قال : « نحن لا نبالى بما يصيبنا ، إن واجبنا الخطير هو أن نرى هذا الاقتراح يعمل به — ڤوتارى — فهلموا إلى إعطاء أصواتكم ! » .
وأغمى على بارسكى وزير الزراعة ، واستفاق وهو يبكى ويقول : « هذه هجمات فظيعة على الدوتشى » ثم أعطى بعد ذلك صوته فى جانب جراندى — ولقد قتل .
وحملق موسوليني فى عينى جراندى وتكلم بصوت مهدد جاف جفاء غريباً وقال : « إن الملك سيؤيدنى فى جميع ما فعلت ، وعندما أخبره بما حدث الليلة سيقول : لقد خانوك » .
فوقف جراندى معانداً متحدياً مرة

أخرى وقال : « لنعط أصواتنا » .

فقال الدوتشى : « حسن جدا » .

وبدأ أخذ الأصوات ، ونهض كل رجل وأعطى صوته جهرا ، وكان أولهم سكورزا فقـال فى صوت بيّن : « لا » ثم جلس ، وأخذ يسجل بعـــد ذلك الأصوات بصفته سكرتيراً للحزب ، وكان الثانى رئيس السناتو فقـال : « أنا ممتنع » ، ووقف دى بونو الشيخ الذى يكره الدوتشى وقفة جافة وقال: « إنى أعطى صوتى قائلا : نعم » ، وتبعـه جراندى ، ووقف بوتاى لينطق « بنعم » أخرى .

ولم يشترك فى مناقشة المساء سوى اثنى عشر رجـلا ، وكان الآخرون يستمعون وهم صامتون ، وكانت أصـواتهم هى التى يترتب عليها الفصل فى الموضوع ، وقد ثقلت على الحجرة وطأة الانتظار والتوقع ، وقال لى أحد الحاضرين وهو يروى لى القصة : « لم أشعر فى تلك اللحظة بتعب ما ، وإنما كانت تشتعل فى نفسى حمى التلهف على معرفة ما يتمخض عنه ذلك كله » .

وأعطى معظم الأعضاء الذين التزموا الصمت أصواتهم فى جانب اقتراح جراندى ، وأخيراً قضى الأمر ، وكان عدد الأصوات ١٩ فى مقابل ٧ ، وانتهى موسولينى ، ونهض الدوتشى من على عرشه بطيئاً ، وسار بخطوات عنيفة إلى آخر الحجرة المستطيلة دون أن ينبس بكلمة أو أن يلقى نظرة ، وخرج وغاب عن الأنظار .

ولم يكن ذلك خاتمة الأمر ، فقد أحضر جراندى صورتين من اقتراحه وطلب إلى كل الذين أقروه أن يوقعوه ، وترك الصورة لموسولينى ودس الأصل فى جيبه ، وانتهت الجلسة . وكان المتبع فى الماضى عند انتهاء أمثال هذا الاجتماع أن يقف الأعضاء ويحيوا التحية الفاشية ، أما فى هذه المرة فلم يكن هناك تحية ، وخرج الرجال من الحجرة صامتين .

وتركهم حرس الدوتشى يمرون دون أن يتعرضوا لهم ، وكان صباح الأحد وكان أحـد الأجراس يقرع ، وكان الحرس يراقبونهم وهم يخرجون ، ولابد أن أعضاء المجلس قد عرتهم انتفاضة عند ما أداروا ظهورهم وهم يركبون السيارات التى كانت تنتظرهم .

وقد كانت الكلمات التى ودع بها كازانوفا شيانو قوله : « أيها الزميل الشاب ستدفع من دمك ثمناً لما فعلته هذه الليلة » .

وذهب جراندى إلى رئيس القصر الملكى ليخبره بما حدث ، وأعطاه صورة من الاقتراح المؤيد بالتوقيعات لتقديمها لجلالة الملك .

وبدأ موسولينى آخر يوم من أيامه فى

توزيع الجوائز فى حفلة إحدى المدارس الزراعية محاولا أن يوهم أن كل شيء كان يسير على ما يعهدون .

وانتظر الملك فى القصر أن يجيء موسوليني من تلقاء نفسه ، ولما صارت الساعة الخامسة ولم يحضر أرسل الملك فى طلبه ، وشرع موسوليني يتحدث عن الخطط التى يعدها للمستقبل ، فقال له الملك : « لقد اقترع المجلس ، فعدت ولا نصيب لك فى مستقبل إيطاليا ، وأنا أقبل استقالتك » فثار موسوليني وأرغى وأزبد ، وسأل أحد البوابين الواقفين : « أين عربتى ؟ » وفى تلك اللحظة جاءت نقالة وحملته ، وترك الدكتاتور الهاوى روما إلى الأبد .

إن عجز موسوليني عن أمر رجال حرسه بقتل جراندى والآخرين ، لمن الوقائع العجيبة التى تغير سير التاريخ . وتعليل ذلك هو ولا ريب أنه منذ سنوات يوم قتل صبيانه الأشداء ماتيوتى ، كان الدوتشى على شفا فقدان مكانته ، ومن يومئذ صار شديد العناية بأن يلبس جريمة القتل ثوباً من إجازة القانون ، وربما يكون قد اعتقد أن الملك الذى كان دائماً يناصره يهمل تصويت المجلس الفاشى . ولما تحقق موسوليني من خطئه بعد ذلك أصدرت محكمته الفاشية فى فرونا الحكم بالإعدام على ثمانية عشر عضواً من أعضاء المجلس ، وقضت بحبس أحد الأعضاء ثلاثين سنة .

وقد أعدم شيانو ودى بونو وبارسكى واثنان غيرهم ، والباقون ما بين هارب مختبئ فى الجزء الذى يحتله الألمان من إيطاليا ، أو فى البلاد المحايدة أو بلاد الحلفاء ، وكلهم مطاردون ، وراديو إيطاليا الشمالية لا ينفك يحذرهم كل أسبوع أنهم لن يفلتوا من انتقام الفاشيين . وقد حلق جراندى لحيته ، واتخذ له اسماً آخر ، فقد حاولوا الاعتداء على حياته أربع مرات ، وقد صودرت أملاكه وحبست عنه جميع موارد الدخل ، وهو الآن يعيش عيشة الفقر والكفاف ، وهو يقول : « إنى قانع بذلك ، ولقد كان اجتماع المجلس آخر عمل فى حياتى السياسية »

أما بقية القصة فقد ذكرتها الصحف ، فقد أخذ موسوليني ينقل من مكان إلى مكان حتى أنقذه الألمان ، وبدلا من أن يطلب المارشال بادوليو الصلح مباشرة أعلن « أن الحرب ستستمر » ، وقضى ستة أسابيع ثمينة فى المفاوضات ، وأعطى بذلك الفرصة للألمان حتى يجلبوا الإمدادات .

وهذا لا ينتقص من قيمة النضال فى هذا الاجتماع التاريخى الذى اجترأ فيه رجال على أن يوجهوا نظراتهم إلى عينى الحاكم المطلق ويأمروه بالتنحى عن عزه وسلطانه .



يــد عــلى الرتــاج

حكاية قديمة لمارى شولوسندلى

يرويها انتونى ابوت

مؤلف " قاتل جيرالدين فوستر " و " غادة النادى الليلى " الخ

كانت السيدة واقفة إلى النافذة تصغى ، وكانت وحدها فى بيتها الخشبى تنظر بعيون لا تكاد ترى ، إلى المروج الموحشة وتباشير ثلوج الشتاء .

ولم يكن يساورها شىء من الذعر حتى سمعت ذلك الصوت . وطالما تركها زوجها وحدها كما تركها اليوم بضعة أيام ، ولم تتغير صور الأشياء فى نظرها إلا الآن حين وثقت أنها تحمل فى أحشائها جنيناً . ولماذا لم تخبر زوجها بهذا النبأ قبل رحيله ؟

كان مضطرباً أشد الاضطراب ، ولو علم لما نأى عنها ، لكن حسبُه ما به من هم . وإنها لتذكره وهو واقف بجوار هذه النافذة بعينها ، ويده على كتفها يحدثها عن المال . فهو محصل للضرائب فى منطقة الحدود ، وقد حمل إلى البيت كيساً كبيراً مملوءاً بالنقود ، ووضعه فى صفيحة بسكويت أخفاها تحت لوح من ألواح أرض المطبخ .

لماذا ؟

كانت الأخبار سيئة ، فإن صندوق توفيرهم الصغير فى قرية نائية كان مشرفاً على الإفلاس ، فوجب عليه أن يسرع لينقذ نقوده إن استطاع . ولم يجرؤ على السفر سفراً بعيداً وهو يحمل معه ضرائب المنطقة ، ولذلك دفنها فى المطبخ . وفى وسعه بعد أن يطمئن على نقوده المدخرة ، أن يذهب إلى المدينة ليودع أموال الناس هناك فى بنك الدولة .

قال لزوجته : « عاهدينى على أن لا تغادرى المنزل فى غيبتى ، وأنك لن تسمحى لكائن من كان أن يدخل مهما كانت حجته » .

فأجابته بقولها : « أعاهدك على ذلك » .

والآن مضى على رحيله ساعات ، والليل قد أقبل ، والثلج والظلام يغمران البيت المنعزل ، فإذا هى تسمع صوتاً . لم يكن صوت الريح لأنها تعرف صوتها حين تدفع الأبواب والنوافذ دفعة اللص . لا ، إن ما سمعته طرق خافت متلهف . ولما ألصقت خدها بحافة زجاج النافذة استطاعت أن ترى رجلا متكئاً على باب المنزل .

تراجعت على عجل عن النافذة ، وذهبت إلى متاع زوجها وتناولت منه مسدساً ،

وكان زوجها قد أخذ معه مسدسه الآخر ، ولسوء حظها نزع منه ذخيرته ، فهذا السدس الباقى لا فائدة منه ، ثم أسرعت إلى الباب المطروق ومعها المسدس الفارغ .

صاحت : « من الطارق ؟ »

« أنا جندى جريح ضللت الطريق ، ولن أستطيع أن أتحامل على نفسى أكثر من ذلك . فدعيني بربك أدخل » .

فقالت له بسذاجة وبراءة : « لقد عاهدت زوجى على أن لا أدع إنساناً يدخل فى غيبته » .

« سأموت إذن على عتبة بابك » .

وبعد لحظة أغراها قائلا : « افتحى الباب وانظرى إلىّ، ترَىْ أننى لا أستطيع أن أوذيك » .

فقالت : « إن زوجى لن يغفر لى ذلك » ، ثم تأوهت ولكنها سمحت له بالدخول. فكان على غاية الإعياء : هو رجل طويل القامة يترنح فى مشيته ، وقد تراكم رذاذ الثلج على محياه الشاحب وذراعه المربوطة .

أجلسته على كرسى زوجها بجوار المدفأة وضمدت جرحه ولفته برباط جديد ، ووضعت بين يديه عشاءها الذى كانت أعدته لنفسها . ولما انتهى من أكله هيأت له فراشاً للنوم فى حجرة خلفية . وما كاد يرقد حتى لاح كأنه استغرق فى النوم .

ولكن أكان نائماً حقاً ؟ أم أنها وقعت فى الفخ ؟ أم هو يتربص حتى تذهب فتنام ؟

وجعلت تروح وتغدو فى غرفتها قلقة تتوقع كل سوء . وساد سكون الليل ، ولم يكن ينبعث سوى طقطقة خشب المدفأة الخامدة ثم — ثم صوت خافت دقيق شديد الحذر يعرف ما يريد ، لم يكن اقوى من صراخ الفأر . فمن أين ينبعث ؟ من غرفة الجندى الجريح ولا ريب !

حملت المصباح وتسللت فى الدهليز الضيق ووقفت تصغى . لا ريب ، كانت أنفاسه مرتفعة جداً ، ولكنه كان يتظاهر بذلك . فتحت الباب ودخلت الغرفة ومالت على الرجل النائم ، فلاح لها أنه نائم حقا .

ثم غادرت الغرفة، فسمعت لتوّها الصوت ثانياً . فى هذه المرة أدركت ما هو : إن شخصاً يحاول أن يفتح رتاج الغرفة الأمامية، فحملت من بين آلات زوجها خنجره الكبير ، وانسلت مرة ثانية إلى الرجل النائم وهزته من كتفه ففتح عينيه متأوهاً .

فهمست فى أذنه : « اسمع ، إن شخصاً يحاول أن يقتحم علىّ البيت ، فيجب عليك أن تساعدنى » .

فسألها مدهوشاً : « ولماذا يقتحم عليك ؟ ليس ثمة ما يستحق السرقة » .

« أجل هنا ما يستحق ، هنا مبلغ من

المـال مدفون فى أرض المطبخ » ، وحينئذ ودّت لو أنها قطعت لسانها لأنها أخبرته

فقال لها: «خذى مسدسى، فأنا لا أستطيع أن أسدد إلا بيدى اليمنى ، فهو عديم الفائدة لى ، أعطنى خنجرك » .

فترددت هنيهة ، لكنها ما كادت تسمع الصوت مرة أخرى حتى بادلته ووضعت الخنجر فى يده السليمة .

وقال لها : « عليك أن تنتبهى لأول طارق ، قفى بجوار الباب وفى اللحظة التى يفتح فيها البـاب أطلق ، فى المسدس ست طلقات ، وتابعى الضرب إلى أن يسقط ويخر على الأرض ، وسأقف من ورائك بالخنجر فى يدى لأواجه المقتحم الثـانى . ومتى وقفنا فى مواقفنا فأطفئى المصباح » .

كان الظلام يغمر كل شىء ، وانقطع نقر الباب ، ثم سمعت صرير الرتاج ، وإذا هو يتسنى ، ثم انسل رجل إلى الداخل .

وفى لحظة ميزت قامته بجلاء فأطلقت المسدس فسقط ، غير أنه زحف من فوره فأطلقت عليه مرة ثانية ، فسقط ثم جرجر نفسه على ركبتيه فأطلقت عليه مرة ثالثة ، فانكفأ بوجهه بطيئاً على الحـائط ولم يتحرك .

وانحنى الجندى وهو يسب ثم صاح : « لم يكن هنـاك سوى شخص واحـد ، أحسنت الرماية يا سيدتى » .

ثم قلب الجثة على ظهرها فرأيا الوجه ملثما بقناع ، ودنت المرأة ونظرت إلى القتيل حين نزع الجندى القناع عن وجهه .

فسألها : « هل تعرفينه ؟ » .

فهزت رأسها .

ثم أجابته : « إنه غريب عنى ! » ثم ظلت تحدق بنظرات ثابتة ملؤها الشجاعة. فى وجه الرجل الذى رجع ليسرق نفسه — فى وجه زوجها .

لم تزل الحجة الوحيدة المسوغة للزواج هى أنه خير طريقة للتعارف .

[هايوود براون فى كتاب « هكذا يبدو لى »]

☆☆☆☆☆☆☆☆

إن رجلا فى الثامنة والثمانين يستطيع أن يصرف زائراً بقوله : « إذهب الآن فإننى متأخر سنتين فى عملى » ، لهو قوة يجب أن يحسب لها حساب . فهذا هو ما قاله برنارد شو للمحامى موريس إرنست منذ أسابيع .

قصة علام فلاح فقير ، اصبح عالما ومحدثها
فلكيا مثل رائع على تعليم نفسك بنفسك

معالم بين النجوم

رالف ولاس
ملخصة عن
صحيفة سانت لويس بوست دسباتش

يخيل إلىّ أن ليس بين أولاد الفلاحين فى أمريكا ، من استشعر من روعة الكون وسحره مثل ما استشعره كلايد تومبو ، ابن بلدة برديت بولاية كنساس . فمنذ خمس عشرة سنة وحسب ، كان كلايد سخرية القوم فى أرياف كنساس ، ولكنه اليوم ، وهو فى الثامنة والثلاثين ، يعدفى طليعة علماء الفلك المتازين .

كشف تومبو السيار التاسع ، بلوتو ، وهو أبعد السيارات عن الشمس ، بعد أن أنكر معظم الفلكيين وجوده . فضاعف بكشفه الحجم المعروف للمجموعة الشمسية ، وقد أنجز منذ عهد قريب مهمة من أشق المهمات وأعجبها فى تاريخ الفلك ، وهى وضع خريطة شاملة للكون . فقد صوّر ستين مليوناً من النجوم ، ثم راجع الصور وسجل خلال ذلك أكثر من ألف نجيمة ، منها مئة نُجيمة لم تعين مواقعها من قبل .

وقد وصف الثقاة عمل كلايد تومبو فى الكشف عن بلوتو بأنه أعظم حادث فلكى فى المئة الأخيرة . أما أنا فأجرؤ فأقول إن أعظم كشف كشفه كلايد هو كشف نفسه .

فقد كان ابن مزارع فقير وكان شديد الحياء ، يسخر منه أقرانه وجيرانه سخراً مؤلماً ، ولكنه جعل حياته مثلا يروى على تعلم نفسه بنفسه . ولذلك يرى جيرانى فى كنساس ، أن كلايد تومبو أكبر من أن يكون فلكيا عظيما وحسب ، إنه الدليل الحىّ على أن الإيمان والصبر على الشدائد يستطيعان أن يحققا الأحلام .

تبدأ قصة هذا الفلاح العالم فى ولاية إلينوى ، فهناك كان والده وعمه يعنيان برصد السماء ودراسة الأزياج سنين كثيرة . ثم اشتريا عدسة رخيصة ، وصنعا من بلورة مكبرة عدسة ، ثم لفا قطعة من الشمع لتكون بمنزلة الأنبوب ، وركبا من ذلك كله منظاراً (تلسكوبا) . وكان كلايد فى الثانية عشرة ، حين أطلّ من خلال هذا الجهاز الركيك على عجائب السموات ، فوقعت فى نفسه أعظم وقع .

وقطع فى اليوم التالى عدة أميال من طريق ترب سائراً على قدميه ، حتى بلغ المكتبة فى بلدة ستريتر ، فأنزل له وكيل المكتبة الذاهل الكتب الفلكية القليلة من

على الرف ، فالتهمها كلايد التهاماً . ونزل من ماله القليل عن ريال — وهو كل ما اقتصده فى أثناء شهر كامل — ليشترى كتاب باين : « لباب الفلك » . وكان إذا أنجز أعماله فى المساء ، يلتفت ليلا إلى القبة الزرقاء ، فتأخذه النشوة وهو يحاول أن يستبين صور النجوم.

والغالب أن معظم الوالدين من الفلاحين ينظرون شزراً إلى أعمال لا تجدى نفعاً عاجلا كأعمال كلايد ، ولكن من حسن حظه أن والده مورون تومبو ، كان يدرك معنى الشوق إلى المعرفة . وكان فى صباه قد تمكن أن يكسب بالعمل نفقة الدراسة بجامعة إلينوى خلال نصف سنة، ثم اضطر أن يترك الجامعة ، ولكنه مضى يدرس بالمراسلة.

وقتر مورون وشقيقه على نفسهما فجمعا مبلغ ٤٥ ريالا ، ليبتاعا منظاراً تام البناء . فوسع هذا المنظار آفاق الكون أمام كلايد، مدى ملايين من سنى الضوء ، وأتيح له أن يشرع فى رصد السماء رصداً منظما .

وبعد أن توالت النكبات على أسرة تومبو ، هاجرت فى سنة ١٩٢٣ إلى ولاية أخرى ، واستأجرت مزرعة فى المنطقة التى أقطنها. وحدث جفاف فى تلك السنة، قضى على القمح . أفلست الأسرة ولكنها تمكنت من أن تبعث كلايد إلى المدرسة . فوجده رفاقه صبيا شاذا ، وكانوا قد سمعوا أنه يتفرس فى النجوم ، فلقبوه « المذنب كلايد » ورسموه رسوماً هزلية فى صحيفة المدرسة . وكان كلايد مرهف الإحساس فكان ينصرف عن سخرية رفاقه إلى الدرس الدائب ورصد السماء ، فقد عزم على أن يصبح فلكيا بطريقة ما . وتخرج من المدرسة الثانوية ، ولكن الالتحاق بالكلية كان مما يخرج عن طوقه ، فليس فى وسعه إلا أن يقرأ ويرصد — وهو وحده . وقرأ فى مجلة علمية ، أن رجلا من ولاية تنيسى استطاع أن يصقل بنفسه عدسة لمنظاره العاكس ، فتجرأ على أن يكتب إليه يطلب الإرشاد . فتبين من الجواب أن لوحتين من الزجاج تتكلفان نحو أربعة ريالات ، وأن تغشية العدسة العاكسة بالفضة تتكلف أكثر من أربعة ريالات . وبعد ذلك فلا بد من صبر وكد لاينفدان لإنجاز العدسة . وفى خريف تلك السنة اشتغل كلايد بتقشير كيزان الذرة لفلاح مجاور ، لقاء ريال فى اليوم ، فما أقبل الربيع حتى كان قد اشترى البلور والكاربورندوم (مادة قاسية لصقل البلور). وشرع فى تفريغ كتلة من البلور ليصنع منها عدسة عاكسة ، وهو عمل غاية فى الدقة.

وقد أثبت إحدى البلورتين فى عمود بفناء الدار ، وأقام يوماً بعد يوم ، يدور بالأخرى حولها . وكان الجيران يمرون به

فيضحكون . وحتى أشقاؤه وشقيقاته سخروا منه ، ولكن الوالد أحسّ فى ابنه التصميم الذى يتصف به العالم المطبوع ، فكان يتولى عن ولده القيام بأعماله ، كلما تسنى له ذلك.

وبعد شهور من الصقل الممل ، تم منظار كلايد . ولم يكن أسلوبه فى العمل متقناً كل الإتقان ، فكان المنظار غير محكم ولكنه حين نظر من خلاله إلى السماء بهره ما فعل ، فانتشى وانعقد لسانه وأقام طوال الليل مع منظاره ، ثم عزم على أن يصنع منظاراً أدق وأحكم .

زرت مزرعة تومبو بعد ذلك بنحو سنة ، لأكتب مقالا فى موضوع فلكى لصحيفة والدى . وكانت أسرة تومبو يومئذ أسعد حالا ، بفضل كدحها وإقبال المحاصيل سنين متوالية ، حتى استطاعت بعد قليل أن تشترى مزرعة خاصة . ولقينى كلايد وهو فتى نحيف أشقر ، فى عينيه الزرقاوين حياء كثير ، وعليهما نظارتان . وقد أشار إلى كهف وراء البيت ، طوله ٢٤ قدماً وعرضه ١٢ قدماً وعمقه ٧ أقدام ، وقال إنه تعلم أن التغيير اليسير فى الرطوبة قد يؤذى العدسة فى أثناء صقلها . فجعل الكهف ملاذه ، وقد حفره فى الصيف القائظ بيديه ، فى الفترات بين أعماله الأخرى مستعملا الفأس والمجرفة . ثم طلا أرضه وجدرانه وسقفه بالأسمنت ، ثم جعل يصقل عدسته فيه.

وأرانى كلايد ما صنعت يداه : منظارا ذا مرآة قطرها تسع بوصات ، وقد أقامه فى قطعة أرض قريبة مزروعة ، ولو أراد شراءه لكلفه ألف ريال ، ولكن ما أنفقه عليه لم يزد على ٣٦ ريالا ، كسبها من القيام بأعمال شتى لجيرانه الفلاحين . وكان قد ابتدع للمنظار كرسيا من جهاز كان يستعمل لفصل الزبد عن اللبن ، واتخذ له أجزاء أخرى من أدوات منبوذة . وقال لى إنه تمكن منذ أسابيع ، حين كان الهواء صافياً ساكناً وقلما يكون كذلك ، من أن يلمح لغزاً من أعظم ألغاز الكون — قنوات المريخ التى تشبه شبكة من الخطوط محكمة الهندسة . فرسمها فى الحال وأرسل الرسم مع خرائط أخرى معقدة للكواكب السيارة إلى مرصد لويل فى بلدة فلاجستاف فى أريزونا .

فدهش كلايد حين كتب إليه الدكتور سلايفر كبير الفلكيين فى فلاجستاف وعرض عليه عملا فى المرصد . وقال سلايفر إن الدكتور برسيفال لويل ، لاحظ فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن ، اضطراباً غريباً فى أفلاك السيارين أورانوس ونبتون ، وبعد خمس عشرة سنة من الحساب الرياضى الدقيق ، خلص إلى القول بأن جذب سيار مجهول يحدث هذا

الاضطراب ، وتنبأ بأن هذا السيار يجب أن يكون فى منطقة معينة من الفضاء ، ولكن موت لويل ونقص المعدات الكافية للمرصد ، قطعا البحث عن هذا السيار المفروض . على أن شقيق الدكتور لويل تبرع منذ عهد قريب بمال لصنع منظار خاص ، وهو يصنع الآن ، وقد يسمح لكلايد بأن يبحث عن السيار المجهول إذا جاء إلى المرصد وتعلم أساليب البحث . وقد يستغرق البحث عشر سنوات أو عشرين أو نصف قرن ، وقد لا ينجح مطلقاً ، ولكن إذا كان ذلك مما يهم كلايد ف . . .

وبعد أيام كان كلايد يتسلق « أكمة المريخ » إلى مرصد لويل . وكان عمله هناك مملا مرهقاً للأعصاب ، فعليه أن يضع ألواح التصوير كل ليلة فى إطاراتها ، ويركبها فى المنظار المصوّر . وكان عليه كذلك أن يوجه منظاراً بصرياً آخر ، قطر مرآته سبع بوصة — وهو ملحق بالمنظار المصور — إلى النجم الدليل ، ثم يكشف كل لوح من ألواح التصوير مدى ساعة . وكذلك يستطيع أن يمسح السماء بمنظاره ، درجة درجة ، وشهراً شهرا ، وسنة سنة .

وكان على كلايد أن يدرس هذه الألواح فى النهار بجهاز خاص توضع فيه لوحتان لرقعة واحدة من السماء صورتا فى ليلتين متباعدتين ، ثم تتم المقابلة بين الصورتين بتحريك ذراع . فإذا كانت الأجرام البادية فى الصورة نجوماً ثبتت فى مكانها ، وإذا كان ثمة جرم متحرك فهو إما مذنب ، وإما نجمة ، وإما سيار .

وبدأ كلايد بحثه فى سنة ١٩٢٩ ومضى الصيف متثاقلا إلى الخريف . وفى الشتاء هبطت الحرارة إلى الصفر أو دونه فى تلك القبة التى لا دفء فيها على قمة جبل ، ولكن كلايد مضى فى مهمته بغير فتور .

وفى مساء أحد أيام فبراير سنة ١٩٣٠ لمح كلايد شيئاً جديداً فى صورة التوأمين ، فوثب قلبه . وأعاد النظر فى تلك البقعة الدقيقة المضيئة التى تحركت على اللوحة تحركا غريباً ، ثم توقف يمسح نظارتيه بيدين مرتجفتين . ثم استرق نظرة أخرى بعد لحظة . ها هى ذى مرة أخرى ، يحيط بها مثلث من النجوم — إنه جرم سماوى جديد يعبر السماء بسرعة ! أحس كلايد قشعريرة تسرى فى بدنه .

وعلى أن الرجاء ملأ سلايفر وسائر فلكيي مرصد لويل ، فإنهم أشاروا جميعاً بالحذر ، ولا بد من أسابيع متوالية من الرصد الدقيق ، وصورت صور جديدة وبحثت ، فأسفر ذلك عن تأييد الكشف . وفى يوم ١٣ مارس اهتزت أسلاك البرق بأنبائه .

إن كلايد تومبو البالغ ٢٤ سنة من العمر، هذا الصبى الفلاح من كنساس ، قد وجد السيار المجهول الذى تنبأ به برسيفال لويل.

وفى جميع مراصد العالم، أشرعت المناظير الكبيرة موجهة إلى صورة التوأمين . إنها أروع قصص الفلك الحديث ــ هذا عالم جديد.

وما لبث مرصد بلجيكى حتى تبين السيار، ثم تبينه مرصد يركيز ثم مرصد هارفرد فمرصد بريرا فى ميلانو . لقد انقطع كل شك ، لقد سقط القناع وأسفر للعيون ذلك السيار التاسع المختفى وراء أطباق الفضاء منذ الخليقة . وتوافد كتاب المجلات والصحف على فلاجستاف ليحادثوا كلايد . ماحقيقة هــذا السيار المجهول ؟ إنه أبعد السيارات عن الشمس ، وهو لبعده لا يتم دورة كاملة فى فلكه العظيم إلا فى قرنين ونصف قرن . وأهم من هــذا أن بعض الفلكيين ذهبوا إلى أن بعده العظيم ، وهو أربعة بلايين من الأميال ، يحتمل أن يهدم النظرية السديمية التى تقوم على أن السيارات إنما تكونت بتقلص حلقات من الغاز حول الشمس فى أثناء دورانها السريع على محورها ، وقوّى الدليــل على أن السيارات تكونت بفعل انفجار عظيم فى كتلة الشمس .

وانهــالت البرقيات والرسائل من كبار العلماء فى جميع أنحاء الأرض ، وأهــدت الجمعية الملــكية الفلكية إلى كلايد وســام جاكسون جويلت ، أعلى الأوسمة الفلــكية التى ينشدها العلماء ، إلا أن المنحة التى كان لهــا أعظم مقام فى نفس كلايد كانت هى جائزة إدوين إمرى سلوسن العــالمية التى تمنحها جامعة كنساس . فهذه الجائزة تعنى أنه يستطيع الآن أن يظفر بالدراسة الجامعية التى عجز عن الظفر بها لفقره ــ إنها فرصة تهيئ له التمكن من الرياضيات العليا ، وهى الأداة اللازمة لكل فلكى . فمضى يدرس فى الجامعة شتاء ، ويعمل فى المرصد صيفاً ، فنال درجة بكالوريوس ثم درجة أستاذ . وعزم على أن يكمل العمل الذى بدأه بالبحث عن السيار بلوتو ، بتصوير كل جرم سماوى من القــدر السابع عشر فما فوق ، وأن يفحص هذه الصور . وهذا عمــل يشمل ألفى صورة وستين مليون نجم . وقد أنجز هذا العمل الضخم فى الصيف الماضى ، فأسفر عن كشف مذنب جــديد ، و عنقود كرى من النجوم ، وخمسة عناقيــد من المجرات . وقد أبانت الصــور عن خمسة آلاف نجم متغــير ، وعشرين ألف سديم حلزونى ، عشرات منها لم تكن معروفة .

وقد زرت كلايد فى فلاجستاف منــذ عهد قريب ، فلم أجده قد تغير تغيراً يذكر عما كان عليه حين رأيته فى مزرعة والده .

ومشروعاته كثيرة ، فهو يعتقـد أنه يجوز أن تكون هناك سيارات أخرى فى الفضاء المجهول وراء بلوتو . وقد يكون فى وسع نوع جديد من المناظير ، يصنع الآن ، أن يكشفها . وهل سمعت أن الأرصاد الحديثة تشير إلى وجود سيارات غير منظورة ، كأرضنا ، تدورحول أحد النجوم القريبة ؟ قال : « إن شمسنا واحدة فى بلايين العوالم المماثلة له . فماذا يمنع أن تكون هناك حياة على كثير من هذه السيارات ؟ » .

وصعدنا فى تلك الليلة إلى المرصد ، ووجه منظاره الكبير إلى قرص المريخ الأحمر ، وكان على مقربة منا رسم قد رسمه كلايد سنة ١٩٤١ وبين فيه أربعين قناة وخمس عشرة واحدة على سطح المريخ — وهو من أتم الرسوم التى من نوعه . ولا يزال كلايد يدرس المريخ ويرجو أن يتوسع فى بعض نظرياته عن الحياة على سطحه .

ولما حدقت فى تلك الدائرة الحمراء تملكنى شعور الرهبة ، فقد وجد كلايد عالما جديداً ، وهو الآن يرجو أن يثبت وجود الحياة على عالم آخر . لقد أثبت ابن الفلاح الفقير أن الشجاعة والإخلاص للعمل يأتيان بالمعجزات .

منطق النساء

مضت سنوات ونحن زوجان سعيدان ، لا نعانى مشكلات الخلاف والضجر التى يعانيها الزوجان عادة ، ولكننى وجدت زوجتى ذات صباح مقطبة سريعة الفزع فقلت: «ما بالك ؟» . فأبت أولا أن تخبرنى ، ولكنها التفتت إلى بعد حين وهى تنشج ، والدموع تنهمر من عينيها وقالت : « إذا رأيتك ثانية فى الحلم تقبل امرأة أخرى فلن أكلمك مدى الحياة » . [دنفر بوست]

☆☆☆☆

سئلت فتاة جميلة فى امتحان تؤديه لمنصب عام : « إذا ابتاع رجل قبعة بـ ١٢ ريالا و ٢٥ مليما وباعها بـ ٩ ريالات و ٧٥ مليما ، أتكون صفقة خاسرة أم رابحة ؟ » ففكرت الفتاة الجميلة حيناً تفكيراً عميقاً ، ثم أجابت : «يربح فى الملاليم ويخسر فى الريالات » . [مجلة « فاجابوند »]

أبطال الباحثين عن النبات

. « سيظل الفلاح الأمريكي مديناً إلى الأبد لمكتشفي البذور من رجال وزارة الزراعة الأمريكية »

دونالد كالروس پيتي

ملخصة عن مجلة " ييل "

في سنة ١٨٧٠، عثر أحد رجال البعثة الدينية في « باهيا » بالبرازيل على نوع من البرتقال، كبير الحجم، غزير الماء، لا بزر له، فأرسل ست شجيرات إلى وزارة الزراعة بوشنطن . وقد أهديت اثنتان منها إلى زوجين من الفلاحين مهاجرين إلى ريفرسايد، في ولاية كاليفورنيا، فما هو إلا عشرون سنة حتى خفّت كاليفورنيا مبتهجة تنبئ أمريكا أن هذا النوع الجديد من البرتقال «أبو سرة» قد أدرّ على خزانتها من الأموال ما يزيد على نفقات الوزارة منذ إنشائها .

وهذا العمل الموفق مهد الطريق لاجتلاب نباتات جديدة . فمن كان يخطر بباله يومئذ، أي ربح يحتمل أن تجنيه المزارع والبساتين، من نباتات نامية غير معروفة، في بلاد نائية ؟

وفي أحد أيام العقد الأخير من القرن الماضي، دخل شاب من كانساس، هو الدكتور دافيد فيرتشايلد، مكتب جيمز ولسون وزير الزراعة، واقترح عليه أن ينشئ هيئة من النباتيين يجوبون أنحاء الأرض بحثاً عن محاصيل جديدة . فبدا هذا الاقتراح للوزير الشيخ المحنك ضرباً من الأحلام — وما أنفعه من حلم !

ولم يجد الوزير يومئذ من يرشحه إلا «ن. ا. هانسن» الدانماركي الأصل، أحد أبناء منطقة إنتاج القمح، وإلا أن يعرض على فيرتشايلد نفسه مكتباً صغيراً في سطح دار الوزارة المبنية بالآجر، واتخذوا جرناً مهجوراً جعلوه مخزناً للبزور وعُقَل النبات .

وهكذا كان بدء قسم هو أروع أقسام الوزارة أعمالا، أما الآن فإن قسم كشف النباتات واجتلابها قد طبقت شهرته الخافقين، من رأس الرجاء الصالح إلى لندن، ومن جاوة إلى ريو دى جانيرو .

وقد ظل هانسن سنين يجوب أرجاء روسيا وسيبريا وتركستان وفنلندة والقوقاز وماوراء القوقاز والصين واليابان ومنشوريا، فجمع الضرب الصّمول (الذي لا يؤثر فيه البرد) من البرقوق والكمثرى والتفاح، الذي يصلح أن يزرع في الولايات الأمريكية الشمالية، ونوعاً من ذرة المكانس يصلح في الولايات الجافة، وحفنة من بذور البرسيم الحجازي

التى أتى بها من القوقاز فانتشرت فى ولايات المراعى الفسيحة .

وقد طوّف الدكتور فيرتشايلد نفسه فى أنحاء المعمورة مرة بعد أخرى ، وإنه لإمام من أئمة البحث عن النبات ، على أن ميزته الكبرى كانت هى قدرته على اختيار الرجال . فإن أعلام الباحثين عن النبات أندر وجوداً من أى نبات نادر وجدوه ، فمثل هذا الرجل ينبغى أن يكون نباتيا خبيراً ، وزارعاً مجرّباً ، وقادراً على قطع البراعم التى تظل حية صالحة للزراعة ، وعلى تدبير حفظ البذور فلا تموت ولا تنبت خلال نقلها فى المناطق الباردة أو الحارة . وينبغى أن يكون ممن يحسن مقابلة الأمير والفلاح على السواء وأن يكون قويا ، والأفضل أن يكون شابا طيّع اللسان فى تعلم اللغات ، وينبغى أن يكون سريع الإدراك فيتبين فى ثمرة أو حبة أو شجرة ، نباتاً يضيف ثروة جديدة إلى الحقول والبساتين ، سواء أكان فى سهول الصين أم فى منحدرات الأنديز .

وقد عثر فيرتشايلد ، فى حديقة النبات بسانت لويس ، على رجل هولاندى ربعة جرئ القلب هو «فرانك ن. ماير» ، ولما كانت الحاجة ماسة يومئذ إلى محاصيل متنوعة للمنطقة الشمالية الغربية الجافة ، فقد بعث ماير إلى المناطق التى تماثلها إقليما وتربة فى الصين ومنغوليا ، وتركستان، ومنشوريا ، وقد استغرقت رحلاته الأربع ١١ عاماً .

وقد لقى ماير عنتا كبيراً من شغب الجماهير ، وقبض عليه ، وهاجمه قطاع الطرق وتخلى عنه أدلاؤه ، ومع ذلك فقد ظل تطوحه ظهور الإبل وترجّه زوارق الأنهار ، حتى استطاع أن يجلب من تلك البلاد إلى بلاده كنوزاً نامية من أمثال الكريز الذى يزهر مبكراً ، والورد الأصفر الصّمول ، والكرنب الذى لا رائحة له ، وأنواع الكمثرى والكستناء قليلة العطب . على أن أعظم هدية قدمها ماير إلى أمريكا ، هى أشجار الغرغار المنغولى التى تسبغ الآن ظلها الظليل على أفنية آلاف المنازل فى البرارى الأمريكية وتكسر حدة الرياح اللافحة فى السهول العارية حيث يقتل البرد غرغار نيو إنجلاند أو يذويه الجفاف . وستظل هذه الأشجار تذكاراً خالداً لماير الذى غرق فى نهر يانج تسى بالصين .

أما « مارك كارليتون » فقد قصد روسيا باحثا عن أنواع من الحبوب الصاملة ، فوجد فى سهول الكرج القمح الصلب الذى انتشر الآن فى المناطق القليلة الأمطار فى أمريكا . وقد أدرّ قمح كارليتون الملايين على الفلاحين الأمريكيين ، وأما هو فقد مات فقيراً معدما غريبا عن وطنه .

وقد عثر فيرتشايلد أيضا على « ولسون بوبينو » ولما يزل فى العشرين من عمره ، ومع ذلك فقد كان نباتيا بارعا ومستكشفا مجربا . وكانت ثمار « الزبدية » لا تكاد تجد إقبالا فى السوق ، وكان زارعوها فى حاجة إلى سلالات ممتازة منها ، فأرسل بوبينو إلى جواتيمالا والمكسيك حيث كان الهنود الأمريكيون يجتهدون فى تحسين سلالات الزبدية من قبل عهد كولمبس . فأجاد بوبينو لغاتهم ، وترفق معهم حتى أخذ عقلا مختارة من أشجار ربَّاها أصحابها الضنينون بها . فأفاد هذا الطعم الجديد ، إذ حسَّن نكهة ثمار « الزبدية » فلما اضطر زراع هذه الفاكهة إلى أن يحرسوا بساتينهم من اللصوص ، عرفوا يومئذ أنهم بلغوا مدرجة النجاح .

فلما أرادت الوزارة أن تظفر بأنواع ممتازة من البلح قضى رجالها ثلاثين سنة يجوبون واحات الجزائر وتونس ومصر ومزارع البلح القديمة فى العراق والجزيرة العربية . وكانت العاقبة أن أصبحت الصحارى المحرقة بأريزوناوكاليفورنيا ناضرة بباسقات النخل التى تؤتى ثمارا كانت تحملها السفن إلى أمريكا فى سالف الأيام .

فلما كانت سنة ١٩٠٤ ، ورأى فيرتشايلد اهتمام رجال الصناعة الأمريكية بزيت التنج هبَّ ليستورد بذور شجرته من الصين ، ولما كان هذا الزيت يستعمل فى تحضير أنواع الورنيش اليابس والمينا السريعة الجفاف ، ودهان السيارات والشمعات التى تبسط على الأرض ، فقد استوردت أمريكا ١٧٥،٠٠٠،٠٠٠ رطل فى سنة ١٩٣٧ ، تقدر قيمتها بمبلغ ٢٠،٠٠٠،٠٠٠ ريال . ثم أوصد اليابانيون موانئ الصين ، فامتنع ورود هذا الزيت إلى أمريكا ، ولكن بذور الدكتور فيرتشايلد كانت قد تحولت إلى مزارع عظيمة ، وأصبح زيت التنج محصولا رئيسيا فى الجنوب .

أما معجزة الزراعة الأمريكية فهو نبات فول الصويا ، الذى أصبح أحد المحاصيل الصناعية الرئيسية بفضل جهود هذا القسم ، فقد أرسل «ماير» النافذ البصر أول بذوره الغنية بالزيت من الصين إلى أمريكا . ثم طاف « هوارد دورسيت » والدكتور «و . ج . مورس» أرجاء منشوريا ، وكانت الرحلة فيها يومئذ شديدة الخطر ، وأرسلا إلى أمريكا آلاف الشحن فى السفن من فول الصويا ، حتى باتت قيمة المحصول الأمريكى السنوى ١٠٠،٠٠٠،٠٠٠ ريال .

ولما ذاعت شهرة هذا القسم لجأ اليه مربو النبات والفلاحون يطلبون المعونة فإذا ظهرت آفة بكتيرية تسبب ذبول البرسيم

الحجازى ، سارع الخبراء إلى تركستان ، وهى موطن البرسيم الحجازى البرى ، ليبحثوا عن سلالات جديدة سليمة . وإذا نزلت بالبصل حشرة ما ، جال رواد هذا القسم فى أنحاء آسيا الوسطى موطن البصل البرى للبحث عن أنواع قوية المناعة ، فأدركوا النجاح .

ولم تقتصر أعماله على المحاصيل الجديدة ، بل تعدتها إلى القديمة ، فقد انتشرت زراعة القطن فى الصحارى الجنوبيــة الغربية فى أمريكا ، بفضل جهود « توماس كيرنى » الذى اعتزل عمله أخيراً بعد خدمة دامت خمسين عاماً . وقد جلب فيرتشايلد نفسه من مصر قطناً طويل التيلة يلائم جو أريزونا وتربتها ، وقد حسّنه كيرنى بعد عشرات من السنين انقضت فى تجارب التوليد والكشف فى مصر . وقد أحضر رواد النبات قطن « أكالا » العجيب من المكسيك ، ذلك القطن الذى بلغ الغاية فى المحصول الذى يجنى من الفدان الواحد ، وقد جادت زراعته فى ٣٥٠,٠٠٠ فدان تزرع بالرى بكاليفورنيا ، ويرسل منه إلى الغزالين ٥٠٠,٠٠٠ بالة كل سنة . وقد أحضر « س . ا . ناب » سلالات من أرز الأراضى المرتفعة باليابان ، بعث حياة جديدة فى زراعة الأرز وصناعته فى أمريكا ، وقد قضت أمريكا ثلاثين سنة تحسن هذه السلالات حتى جاء يوم فكانت السفن اليابانية تمخر البحر إلى تكساس لتشترى الأرز من أمريكا .

إن النباتات الجديدة لا تجلب إلى أمريكا وحسب ، بل تصدر منها أيضاً مقادير كبيرة ، وقد لبت أمريكا طلب الدول الصديقة فأخذت تصدر البذور والعقل بلا قيد كما تستوردها .

ومن النادر أن تجد فى أمريكا محصولا لا يرجع الفضــل فى تحسينه إلى اجتلاب ضروب النبات ، فبرســيم « لادينو » ، والخيزران الهنــدى ، والمانجو ، وعشب السيفون ، وعشب باهيا — كل هذه ليست إلا حفنة من ١٤٠,٠٠٠ صنف من النبات اجتلبها هذا القسم إلى الولايات المتحدة .

وللوزارة أربعة مراكز لتوطين النباتات الأجنبية ، يرسل منهـا القسم إلى أرجاء البلاد تلك النباتات التى نجح فى توطينها فى أمريكا . ومثل هذه النباتات التى بذل الجهد الجهيد فى اســتيرادها ، ثم زرعت وربيت تحت إشراف العلماء الدقيق ، ترسل أولا إلى خبراء حقول التجارب التى تديرها الولايات ، أو الهيئات التابعـــة لوزارة الزراعة . وبعد أن يختبر هذا النبات المهاجر ، وربما دخله التحسين ، يوزع على المزارعين .

ثم يعود القسم فيولى وجهه شطر البلاد الأجنبية ، باحثاً عن حبوب وخضر أصلح أو عن أشجار وثمار جديدة .

تسعة ملايين سيارة جديدة

ما هي أنواع السيارات التي ستقدمها الصناعة عند تحولها ، فتغذي بها السوق الرائجة بعد الحرب.

ملخصة عن مجلة "فورتشن"

ترقب الآن دوائر صناعة السيارات الأمريكية رواجاً لمصنوعاتها بعد الحرب لم يسبق له مثيل زمن السلم ، فقد احتشدت حاجة الناس إلى تسعة ملايين سيارة للركوب، يضاف إليها طلبات المستقبل. فحين وقف إنتاج السيارات في أوائل سنة ١٩٤٢ ، كان في الولايات المتحدة نحو ٢٦,٥٠٠,٠٠٠ سيارة للركوب . ورجال صناعة السيارات متفقون على أن ستة ملايين ونصف مليون من أصحاب هذه السيارات سيغدون في أول يوليو ١٩٤٥ بغير سيارات ، وأن ثمانية ملايين آخرين سيغدون أصحاب سيارات عتيقة يزيد عمرها على ٧ سنوات ونصف . وقد أسفر البحث عن أن معظم هؤلاء سيقبل على شراء السيارات الجديدة يوم يتاح له ذلك ، ثم إن مليوناً ممن كان يستخدم سيارات النقل سيصبح مفتقراً إليها .

ولا تنقضي سنة ١٩٤٤ حتى يكون المال الموفر قريباً من مئة ألف مليون ريال ، وسيكون في أيدي أناس لم تركبهم الديون ، وهم يريدون شراء سيارة قبل شراء أي شيء آخر .

ويكاد يتفق جميع المشتغلين بصناعة السيارات الأمريكية على أن أربعة ملايين ونصف مليون سيارة ستصنع في السنة الاولى من الإنتاج الكامل . وهذا أقل عدد مرتقب ، وهو يعدل أقصى ما صنع قبل في عام واحد ، أي في سنة ١٩٢٩ . وحتى أولئك الذين يفخرون بأنهم يقدرون الأمور بميزان الحقيقة الواقعة ، يتوقعون أن يرتفع الإنتاج السنوي إلى ستة ملايين، ويرون أن صناعة السيارات تستقبل عهداً زاهراً فتنتج وتبيع أكثر من ٢٠ مليون سيارة ركوب في السنوات الخمس التي تلي الحرب .

ولذلك تجد مشكلة تحويل المصانع من الإنتاج الحربي إلى إنتاج السلم مستأثراً باهتمام كبار المديرين في مصانع السيارات ، فهم يحاولون أن يتجنبوا أن يفاجئهم زمن السلم غير متأهبين كما حدث بعد الحرب الماضية . ويقلق هؤلاء المديرين أن تبقى الكثرة من العمال الأصليين في مصانع السيارات متعطلة مدة من الزمن في مدينة متحفزة كديترويت أكثر مما يقلق النقابات أو العمال أنفسهم .

وترى دوائر صناعة السيارات أن فترة التحول ينبغي أن لا تستغرق أكثر من ستة أشهر ، ولكنها لا تغفل أن تقول دائماً : إن ذلك يتوقف على ما تفعله الحكومة

فى وشـنطن . على أن هنرى فورد وحده يخالفهم ، إذ قرر فى شىء من التفاؤل أنه سيتحول إلى إنتاج السيارات خلال شهر واحد بعد أن يؤذّن بانتهاء الحرب .

وتعمل جميع الشركات ، ما عدا «ناش» و «هدسون» و «ويليس» ، فى مصانع جديدة تملكها الحكومة ، وجميعها تقع فى مناطق مناسبة ، وتصلح لصنع السيارات . وطبيعى أن يؤثر الجميع العمل فى المصانع الجديدة على العمل فى القديمة . ويلوح أن صناعة السيارات ستظفر من الحرب بمصانع جديدة أفضل من مصانعها قبل الحرب ، دون أن تقتضيها نفقة كبيرة ، وستظفر أيضاً بأكبر سوق لمصنوعاتها فى التاريخ .

فماذا أعدت لهذه السوق ؟

ستكون السيارات الأولى من طراز ١٩٤٢ بعد أن تعدّل تعديلا بسيطاً ، إذ لن يتيسر لأحد من رجال الصناعة أن يعد القوالب والأدوات اللازمة لإنتاج طراز جديد فى حينه ، دون أن يفوته نيل نصيبه من المواد التى توزع يومئذ للإنتاج فى زمن السلم . ولذلك يلوح أن سيارة المستقبل ستتدرج فى النمو تدرجاً بطيئاً .

إلا أنه سيكون هناك طراز جديد واحد هو سيارة «الجيب» ، فبعد أن تجرد من كثير من مميزاتها العسكرية ، تصبح أخف وزناً ، ويستبدل جهاز آخر بجهاز توصيل القوة المحركة . وتعتقد شركة «ويليس أوفرلاند» ، التى صنعت أكثر من نصف سيارات الجيب المستعملة فى الحرب الآن والبالغ عددها ٤٠٠ ألف ، أن الراغبين فى استخدام سيارة نقل أو جرارة خفيفة أو سيارة ركوب صغيرة أو جهاز لتوليد قوة محركة ، سيقتنون هذه السيارة المجهزة بمحرك ذى أربع أسطوانات . أما شركة فورد ، التى صنعت جلّ العدد الباقى ، فإنها تخرجها من حسابها ، وتزعم أن جهاز توصيل القوة المحركة فيها لن يحتمل الجهد الذى يبذل فى حرث الأرض حرثاً شديداً ، أكثر من خمس ساعات أو عشر ساعات دون أن يتلف .

وشركتا «ويليس» و «كروسلى» - وحدها تتعهدان فكرة صنع سيارة أصغر حجما وأرخص ثمناً من سيارات «شيفروليه» و «فورد» و «بليموث» ، فتؤكدان أنه يمكن أن تكون مربحة طيّعة ، ثم تصرّان على أن الفرصة ستتاح لها فى السوق خلال السنوات الأولى التالية للحرب ، حين تكون السيارات المستعملة المعروضة قليلة ، فالرجل الذى يدفعه الزهو عادة إلى تفضيل سيارة كبيرة مستعملة على أخرى صغيرة جديدة مضطر حينئذ أن يشترى الصغيرة .

وقد أجمع المهندسون على أن السيارات الجديدة ستكون أخف وزناً ، وأن وزنها سيخف رويداً رويداً عاماً بعد عام. ويراد الآن صنع سيارة وزنها ٢٠٠٠ رطل ، بها فراغ يعادل الفراغ الذى فى الأصناف الثلاثة المفضلة من السيارات ، إن لم يزد عليه ، وقد نظفر بمثل هذه السيارات بعد ثلاث سنوات . ويراد كذلك صنع المحرك المرتفع الضغط الذى تجهز به ، فيزود بوقود عالى الطاقة (٩٠ أوكتين) فيوفر على صاحبها ، إذا لم يزد ثمنه ، من ٢٠ إلى ٢٥ فى المئة من نفقة الوقود . وجميع الشركات تتعهد الآن تحسين جهاز رخيص غير معقد لتغيير تروس السرعة تغييراً آليًّا .

وسينفسح مجال الرؤية أمام سائق هذه السيارة وركابها بأن يرفع مستوى المقعد ، ويقلل عرض الأعمدة التى يثبت فيها زجاج النوافذ ، ثم بتوسيع النافذة الخلفية. وستجهز السيارة على الأرجح بيايات من المطاط المنفوخ فى كل عجلة على حدة . وربما يصبح من الممكن نقل محل المحرك إلى مؤخر السيارة خلال خمس سنوات .

فإذا وضع المحرك فى مؤخر السيارة أصبح داخلها أفسح ، إذ يتسنى أن يكون سطحها عالياً ، لأن الاستغناء عن عامود نقل القوة المحركة يسمح بخفض مستوى القاعد . ثم إن تقليل حجم الغطاء الأمامى للمحرك ، سيفسح من مجال الرؤية ، أما صوت المحرك والحرارة ورائحة الوقود فتنساب وراء الركاب مبتعدة عنهم . وستتنفس الشركات ارتياحاً إذا أبدى الجمهور رغبة فى اقتناء سيارات ذوات محركات خلفية ، إذ تصبح السيارات ذوات المحركات الأمامية فى طريق الزوال . وإن النشاط فى مصانع السيارات ليرتبط بالرغبة عن الأنواع الزائلة .

ويتوقع رجال صناعة السيارات ، إذا استثنينا فورد ، أن تكون الأثمان أعلى من أثمان سنة ١٩٤٢ بمقدار ١٥ إلى ٤٠ فى المئة ، فقد أعلنت مجلة « موتور » أن ثمن الجملة للسيارة من طراز شيفروليه أو بليموث أو فورد ربما كان ١٢٠٠ ريال . فإذا أضيفت إليها نفقات الشحن وعمولة التاجر البالغة ٢٥ ٪ ، بلغت الزيادة ٦٠ ٪ من أسعار التجزئة فى سنة ١٩٤٢

وترى دوائر الصناعة أن أسباب رفع الأثمان ، هى ارتفاع أجور العمال وما ينتظر من ارتفاع حادّ فى أسعار المواد الأولية حين تزول قيود التسعيرة . وهذا التعليل يزعج نقابة عمال مصانع السيارات التى لا تريد أن يُنحى باللائمة على العمال ، فهى تؤكد أن الزيادة فى أجور العمل الأساسية إنما هى ١٤ فى المئة لا غير ، وأن الزيادة فى

أثمان المواد لم تتعد ٦ فى المئة ، وأن تقدم الفن الصناعى ثم التحسين الذى طرأ على تصميمات المصانع كفيلان بتعويض هاتين الزيادتين .

ودوائر صناعة السيارات لا يفزعها ما يشاع عن احتمال تحول شركات الطيران أو هنرى كايزر إلى صناعة السيارات ، فهى تعلم أنه لا بد من ستة أشهر لوضع تصميم سيارة جديدة ، وستة أشهر أخرى لصنع بضع سيارات للتجربة ، ثم سنة كاملة للشروع فى إنتاجها . وإن هذه الدوائر لعلى ثقة بأن تقدمها سنتين على أى منافس جديد يسمح لها بالتفوق كل التفوق على أى مجهود يبذله .

أما أن تتأثر صناعة السيارات بمنافسة الطائرات الصغيرة أو الهليكوبترات ، فإن رجال السيارات يقولون إنهم لن يعيروا هذا الموضوع اهتماما ما قبل عشر سنين أو أكثر .

حـــرّاس الأغــذية والأدويــة

« لا ينى مفتشو الأغذية والأدوية فى الولايات المتحدة لحظة عن حماية القوم من المنتجات الخطرة والمنتجين المهملين »

بول و. كيرنن ــ ملخصة عن مجلة « ذى بروجرسيف »

هب أن محاولا من محاليل تجعيد الشعر ظهر فى السوق فآذى مستعمليه أذى شديداً او قتلهم ، أو أن صبغة لتزجيج الحواجب راجت فأعمت قوماً لم يخطر لهم ضررها على بال ، أو أن شحنة من طعام الأطفال تحوى فاكهة فاسدة ، أو عقاراً من عقاقير السلفا سيء الصنع تسرب إلى الناس فساق ١٠٥ من المساكين إلى موت أليم — فمن هم عمال الحكومة الذين يحمون الجمهور من هذه الشرور ؟

إنهم مفتشو إدارة الأغذية والعقاقير وعلماؤها الذين يكدحون . فقد فحص أولئك الرجال فى العام الماضى فوق ٥٦٫٠٠٠ نموذج من الأغذية والعقاقير ومواد التجميل ، وأدانوا ، أو منعوا من التداول ، أو صادروا منتجات أكثر من ٣٠٠٠ تاجر من تجار البضائع المغشوشة أو الضارة . وهم يضبطون فى الشهر العادى أكثر من مئة شحنة من الأطعمة الملوثة أو القذرة ، فيحيلونها إلى القضاء لمحاكمة أصحابها إذا

دعت الضرورة . وقد رفعوا ٥٦٠ دعوى في المحاكم في باب منتجات الحبوب وحدها خلال السنة المالية ١٩٤٢ — ١٩٤٣

وفي رقابة هؤلاء الحراس على الأطعمة والعقاقير تستوى الشركة الضخمة ، وربة البيت المتواضع التي تخبز في بيتها لتجمع القليل من المال . فقبيل عيد الميلاد في العام الماضي وفد على مقر الإدارة في وشنطن طبيب يحمل قطعة من الكعك المحشو بقطع الفاكهة أهدتها إليه مريضة من مرضاه آية على اعترافها بالجميل ، فكادت تقضي على زوجه وعلى اثنين من ضيوفه .

فلما حللت هذه القطعة وجد بها زرنيخ ، فاندفع المفتشون من فورهم إلى بيت هذه المرأة ، فقالت لهم : « أجل لقد صنعت هذه الفطيرة ، وخمساً أخرى بعتها للجيران . فاستعادوا بالتلفون أربعاً منها لم تمس ، ولكن الخامسة كانت قد باعتها إلى « المرأة التي تطوف بالحي تبيع خلاصة الفانيليا » وكانت تجهل اسمها ، فاستدلوا من الرقعة المكتوبة على قارورة الفانيليا على اسم الصانع وعنوانه .

وخوطب المصنع بالتلفون فاتضح أن الوكيل المحلي هو وحده الذي يعرف أسماء من استأجرهن للبيع من النساء ، وأن هذا الوكيل في طريقه ليقضي إجازته على بعد ٢٠٠٠ ميل . وأصبح لزاماً على المفتشين أن يطوفوا بالمنازل منزلا منزلا حتى عثروا بعميلة تذكرت أنها سمعت من البائعة الجوالة — التي لم يزل اسمها مجهولا — أن لها أخاً في بيلي كروس رودز بولاية فرجينيا .

وعادوا إلى الطواف بالمنازل واحداً بعد واحد في بيلي كروس رودز حتى وجدوا رجلا تبيع أخته خلاصة الفانيليا ، ولكن هذه الأخت قد سافرت في إجازتها . وأين الكعكة المحشوة بقطع الفاكهة ؟ .. أجل لقد أرسلتها إلى ابن أخت لها في كندا !

وكان لها في كندا على مايظهر ثلاثة أبناء أخوات لا يعلم أين يعيش أحد منهم ، ووجد المفتشون في المخلفات الشخصية للخالة رسائل من ثلاثة عناوين في كندا ، وفي مكان منها وجد مفتشو كندا الكعكة لا تزال كاملة .

وخلال هذا كان مفتشون آخرون يستجوبون أسرة صانعة الكعك ، فأقسموا جميعاً أن المنزل لم يدخله الزرنيخ قط ، ولكن عند ما اختبر الدقيق في المطبخ وجد به قدر وسط من الزرنيخ .

وفحصوا الدقيق عند بائع الجملة الذي تشترى منه ، ثم عند بائع التجزئة ، ولكن دقيقهما كان فوق الظنون ، فعادوا حيارى إلى المنزل يقلبونه رأساً على عقب ، وكاد بحثهم يذهب سدى لولا أن وجد أحدهم وهو ينكت القمامة في ساحة المنزل ، ورقة

جافة بها آثار مسحوق يحتوى على الزرنيخ.
كان هـذا المسحوق ذروراً زرنيخياً قاتلا للحشرات اشترى جملة من الصيدلى المحلى ، وبقيت منه على ما يبدو بقية لم تستعمل فى الحـديقة فرماها طفل فى قدر الدقيق .
وبفضل هذا العمل الناصب السريع أنقذت اثنتا عشرة حياة كانت قمينة أن تموت .

ولعل أبرز مهمة أداها هـذا المكتب تلك التى اقترنت بمركب السلفانيلاميد الذى بلغت الوفيات المعروفة الناشئة منه ١٠٥ ، وقد وزعت منه ٦٣٣ شحنة تختلف زنة كل منها من ثمن جالون إلى جالون كامل ، وقد صـدرت من أربعة فروع للمصـنع ، وانتشرت من طرف الدولة إلى طرفها الآخر ، يضاف إليها ٦٧١ نموذجاً أرسلت إلى الأطباء فى حوالى ستة أسابيع .

وكان لزاماً أن يقتفى على عجل أثر كل هذا بين تجار الجملة ، وباعة التجزئة ، ومخازن الأدوية ، والأطباء ، والمرضى ، فاستجوب أكثر من ٢٠٠ بائع ، وأرسلت ١١٠٠ برقيـة أو تزيد ، وجردت قوة المفتشين العاملة كلها ، والمؤلفة من ٢٣٩ مفتشاً وكيميائياً ، تعمل ليل نهار وتستمد العون السخى من ألوف من حراس الأطعمة والعقاقير ورجال الصـحة ، ومن النـذر تنشرها الصحف ومحطات الإذاعة .

ووجد المفتشون فى مدينة واحدة ٤٩ وصفة طبية قد حضرت من إحدى شحنات الدواء المريب ، تحمل إحـداها اسم ويلى سميث ، وما من دليل على إثبات شخصيته إلا ورود اسمه فى قائمة الذين تسعفهم الحكومة بالمال مع خمسة آخرين من أسرته فوجب تتبع كل منهم قبل استرداد الدواء الموصوف. وفى مدينـــة أخرى اقتضى الأمر فحص ٢٠٫٠٠٠ صفقة فى مخزن من مخازن بيع العقاقير بالجملة لتقصى كل منها على حدة .

ولقـد تحسب أن مكتب التفتيش يظفر بالعون خالصاً من الأطباء وباعة العقاقير ، ولـكن الأمر ليس كذلك على الدوام . ففى قضية السلفا قال أحـد أطباء كارولينا الجنوبية للمفتش إنه صرف الدواء لخمسة من المرضى لم يمت منهم أحـد ، فوجد المفتش بعد التحرى من مصادر أخرى أن أربعـة من هؤلاء المرضى قد ماتوا ، واتضح من البحث أن ثمة وفاة حديثـة متسمة بجميع سمات الموت بهـذا العقار . وكان المتوفى زنجياً ، فلما استجوب المفتش أسرته أنبأوه أن جميع الأدوية والأكواب والملاعق وسواها من أدوات المريض قد وضعت على قبره كما تقضى تقاليدهم ، وهناك ألفى المفتش قارورة بقيت فيها بقية من العقار وعلى القارورة بطاقة ما يزال اسم الطبيب ظاهراً عليها .

كلا ولا شركات العقاقير نفسها تبذل العون للمفتشين ، فإن إحدى هذه الشركات المعروفة فى كافة أنحاء البلاد ، والمتهمة ببيع آلاف من أقراص السلفاتيازول « المغشوش أو المدخول » تلكأت فى سحب العقار من السوق ، فاضطر المكتب أن يرفع أمرها للقضاء ، وأن يحصل على تأييد لتصرفاته ضد الشركة ، وحكم بتغريمها .

ولا يجد رجال المكتب ، وعددهم ٩٠٠ ، لحظة فراغ ، فإن لم يشغلهم شاغل له من الخطر ما « لشراب الزنجبيل » — الذى أحدث فى حوالى ٣٠٫٠٠٠ شخص نوعاً من أنواع الشلل ، أو لذلك المجمّل المروع المسمى « بفتنة الأهداب » والذى أحال من استعمله من الفتيات الجميلات إلى عجائز عمياوات — شغلتهم شواغل ألطف منها « كالشاي الأخضر » المصنوع من قصاصات الحشيش ، أو « زيت الزيتون الطليانى النقى » المتخذ من أى نوع من ٢٠ نوعاً من الزيوت الدنيا ، أو « عصيدة الطماطم » المصنوعة من الفاكهة الفاسدة ، أو السمك الذى دب فيه التعفن ، أو حبوب الفيتامين التى يؤدى استعمالها إلى الإصابة السريعة بأمراض نقص الفيتامين ، أو الخبز المعزز بالفيتامين الذى لم يعزّز بشىء . وترتفع الغرامة فى مثل هذه الأحوال إلى ٥٠٠٠ ريال .

ولهذا يُمد المركز الرئيسى لأولئك الحراس فى وشنطن بما يساوى ١٫٥٠٠٫٠٠٠ ريال من الأجهزة العلمية والآلات الفنية ، وتقوم عليه هيئة من الموظفين المجتهدين تتألف من علماء فى علوم الجراثيم ، والأقرباذين ، والكيمياء التحليلية ، والحياة ، وسواهم من المساعدين الفنيين المختصين ، وحين يقيمون الدليل على متهم يظل هذا الدليل قائماً لا ينهار !

وفى مقدمة مهامّ المكتب فحص كل عقار جديد يظهر فى السوق قبل التصريح بالاتجار فيه ، ويبلغ معدل ظهور هذه العقاقير ١٢٥ عقاراً كل شهر . وتلك يد بيضاء لقانون الأغذية والعقاقير الجديد الذى صدر متأخراً فى سنة ١٩٣٨ من جراء مأساة السلفانيلاميد .

وحراس الأطعمة والعقاقير هم كذلك أول من يلبى النداء فى حوادث الفيضان والحريق ، وسواها من الفواجع الكبرى التى قد ينشأ عنها تلويث الأطعمة . فالمجارى تطفح عادة فى زمن الفيضان ، فتصاب من ذلك مواد التموين فى الأفنية الجانبية بالمحطات وفى المخازن والمستودعات الأرضية . وقد اقتضى الأمر فى لويزفيل مصادرة ما تفوق قيمته مليون ريال من الطعام وإعدامه ، عقب الفيضان الكبير الذى حدث منذ بضع سنوات .

ووجـد المفتشون في مدينة سنسناتي عدة أحمـال من البن يغشاها الحمأ ، وصاحبها يحاول أن يستنقذها ويعدّها للبيع .

ويذهب صناع الأطعمة وباعتها إلى مدى بعيد في مكافحة مصادرة بضائعهم ، فذات مرة أعدمت شحنة من مربى التـين وجدت تزخر بيرقات الذباب ، فرفع صاحبها أمره إلى القضاء وخسر دعواه ؛ فقـال محاميه للقاضي عندئذ : « نحن على ثقة أن القانون يبيح لنا بيع هذه المربى لاستعماله في غير أغراض الغذاء ، فصناع طباق المضغ يستعملون مقادير كبيرة من هـذه المربى ، ومادام طباق المضغ لا يمكن تعريفه بأنه طعام ، فنلتمس الإذن بالإفراج عن هـذه الشحنة لاستعمالها في هذه التجارة » .

ونظر القاضي إليه شزراً وأطال ، ثم بصق بصقة قوية من عصير الطباق في مبصقته وقال : « الالتماس مرفوض ! » .

ظل والترج . كامبـل ٣٧ عاماً رئيساً نشيطاً لهذه المؤسسة التي تضرب بعنف على أيدي المخالفين . وقد انصرف عن مكتب المحاماة المدرّ ليشغل في هـذا المكتب « وظيفـة مؤقتة » ، ثم تقاعد في مايو الماضي ، فحل محله الدكتور بول دنبار الذي كان زميله الأكبر عهداً طويلا .

وقد جمع كامبل في هذه المؤسسة أحصف الإخصائيين الذين وصلت إليهم يده ، وهم رجال يرفضون كل عام عروضاً مغرية من المصانع الخاصـة ، ثم ألف منهم فرقة تعمل متعاونة ، ولها سلطان ضخم وتبجيل عظيم .

وهناك حالة تناولت معبئي الجمبري في العلب ، أولئك الذين ظلوا سنوات في نزاع دائم مع حراس الأطعمة والعقاقير . وبعد مئات من المصادرات والقضايا خسرها جميعاً أولئك المعبئون ، اتفق الفريقان في سنة ١٩٣٤ على أن تكون تعبئة الجمبري تحت إشراف دائم من مكتب التفتيش ، على أن يساهم المعبئون في نفقات هذا الإشراف ، وتحمل كل المنتجات التي تظفر بالموافقة الدمغة الرسمية لإدارة الأطعمة والعقاقير في الولايات المتحدة . وعلى أن المصانع حرة في قبول هذا الاتفاق أو رفضه ، فإن حوالى ٩٠ في المئة من الجمبري المحفوظ المتداول الآن في أسواق الولايات المتحدة يعبأ تحت هذا الإشراف .

أما العشرة في المئة الباقية من هؤلاء الصناع وسواهم ، فإن القـانون الأساسي ما زال باسطاً عليهم ظله ، وتستطيع أن تراهن بآخر ريال في يدك على أن حراس الأغذية والعقاقير ينفذون فيهم نصوص هذا القانون جهد المستطاع .

التعاون الجبار في ولاية أوهيو

بدأ هؤلاء الزراع تعاونهم بالأسمدة ثم لم يلبث المشروع أن تفرع إلى فروع عديدة

برترام ب. فاولر

ملخصة عن مجلة « بروجرسف »

فلما وُلد مارد جبّار في مثل هذا الهدوء . ففي عام ١٩٢١ كان كل شيء يبيعه المزارع الأمريكي يباع رخيصاً ، وكل شيء يشتريه غالي الثمن ، وعلى الأخص الأسمدة . فاجتمع في تلك السنة قليل من المزارعين لينظروا ماذا يستطيعون أن يعملوه ، فإن أصحاب الأسمدة يؤلفون جماعة منظمة . ولذلك رأى المزارعون أنه لابد أيضا أن ينظموا أنفسهم ، وبادروا بإنشاء الاتحاد التعاوني الزراعي لولاية أوهيو .

ومن المؤكد أنه لم يكن أحد من الذين شهدوا الاجتماع يتوقع أن سيبلغ الاتحاد ما بلغه من الضخامة اليوم ، إذ أصبح يضم ٣٥٫٠٠٠ أسرة ، ويشتمل على مؤسسات عظيمة للتأمين والإنتاج والبيع بالجملة وبالتجزئة . ومن وراء هذا كله نظام خاص لتعليم البالغين ممارسة الحياة كما هي .

ولقد يكون في ولايات أخرى هيئات للتعاون أكبر من هذه ، إذا كانت العبرة بمقدار المال المتداول في كل منها ، ولكن الاتحاد التعاوني في أوهيو يعالج نواحي من النشاط أكثر عدداً مما نجده في أية ولاية .

ولما اتحد المزارعون في أوهيو لكي يشتروا أسمدتهم جملة واحدة ، رفضت شركات الأسمدة أن تبيعهم منها شيئا ، فاضطروا إلى أن يجلبوا الأسمدة على المركبات من الولايات الجنوبية . أما اليوم فإن مصانع الاتحاد تنتج ٧٠٫٠٠٠ طن من الأسمدة ، ويشتري المكتب من الشركات الأخرى ٤٥٫٠٠٠ طن ، وهذا المقدار يعادل ثُمن الأسمدة التي تستخدم في ولاية أوهيو كلها .

وفي أثناء المعركة التي دارت بين الاتحاد والشركات هبط سعر الطن من السماد من ٣٤ ريالا إلى ٢١ ريالا ، ولكن عاد السعر بعد ذلك فارتفع إلى ٣٤٫٥ ريالا . وأسعار الاتحاد التعاوني مساوية تماما ، في كل رتبة من الرتب، لأسعار المصانع الأخرى ، ولكن المزارع الذي ينتمي إليه يسترد جزءاً من ماله ربحاً على الأسهم التي اكتتب بها .

وليس من سياسة الاتحاد أن يحارب الشركات الخاصة بتخفيض السعر . « إننا لانريد أن نرفع راية العدوان في وجه أصحاب الشركات ! » هكذا قال مَرى لنكولن ، وهو الرجل ذو العبقرية الهائلة ، والقو

الدافعة التي تحرك هذا النشاط العظيم في أوهيو.

ورجال الشركات اليوم لا يساورهم قلق فقد قال أحدهم مرة : « نعم ! إن الاتحاد التعاوني قد انتزع من أيدينا جزءاً من تجارتنا ، ولكن استخدام الأسمدة بالنسبة للفدان الواحد يزداد كل يوم . وقد تضاعف استهلاك أسمدة البوتاس في الأعوام التسعة الأخيرة بحيث أصبح كل منا ينال قسطه من الأعمال التجارية » .

ولكن الاتحاد التعاوني ، الذي أنشأ في أوهيو ١٦٨ فرعا في ٨٥ من الثمانية والثمانين مقاطعة التي تشتمل عليها الولاية ، لا يزال دؤوبا في التوسع والنشاط . وهو يملك اليوم مصنعين لإنتاج علف الماشية ، وقد ساهم في مصنع ثالث ، وبلغ ما ينتجه ٣٠٠ طن كل يوم . ولكثير من الفروع المحلية معاملها الخاصة لخلط العلف . وفوق ذلك فإن للاتحاد مصنعاً لطحن فول الصويا ، ومصنعاً لتجفيف البرسيم ، ومصنعين لمزج الزيوت ، ومعملا للتفريخ ، وآخر لتكرير البترول .

وقد بلغت قيمة بضائع الاتحاد الزراعي ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال في العام الماضي ، ولكن ليس هذا سوى جزء من نشاط الاتحاد ، فإن لنسكولن قد أصر ، منذ البداية ، على أنه يجب أن تكون للمزارعين هيئات مالية محترمة خاصة بهم ، وبناء على ذلك اكتتب الأعضاء بعشرة آلاف ريال من أجل إنشاء شركة للتأمين ، وسموها شركة التضامن للسيارات ، وقد اتسع نشاطها حتى عم ١٤ ولاية . وفي سنه ١٩٤٣ كانت تحتل المكان الرابع في أعمال السيارات بين جميع شركات التأمين في الولايات المتحدة . وقد استطاعت هذه الشركة أن تخصص المال اللازم لإنشاء شركة تأمين عن الحريق ، وأن تشترى شركة للتأمين على الحياة . وقد نمت العشرة آلاف ريال التي اكتتب بها عند الإنشاء حتى أصبحت اليوم مؤسسة عظيمة للتأمين مواردها تبلغ ٣٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال .

ولقد كانت كل سيارة من سيارات المدارس تدفع فيما مضى تأميناً قدره ٦٠ ريالا ، فهبط إلى الخمسة . ومع أن الاتحاد التعاوني لا يدعى أن له كل الفضل في هذا الهبوط ، فإن له دون شك نصيباً فيه .

ولم تكن أعمال التأمين هذه سوى بداية مشروعات مالية أوسع وأضخم . فالمزارعون في حاجة إلى رهون زراعية رخيصة ، وإلى قروض قصيرة الأجل بفائدة قليلة . ولتحقيق هذا الغرض أنشئ بنك التسليف الزراعي ، وقد استطاع في بحر ١٣ سنة أن يقدم ٣٥,٠٠٠ قرض مقدارها كلها ٧,٠٠٠,٠٠٠ ريال ، بخسارة تقل عن ٥٠٠ ريال .

أما النظام الدراسى الذى سنه الاتحاد فإنه يعدّ مثالا يحتذى ، فقد أنشئ فى الولاية ١١٠٠ لجنة ثقافية منتشرة فى ٥٥ مقاطعة ، وفى كل مقاطعة مرشد ثقافى يعمل طول الوقت ، ويتناول مرتباً منتظما . والإدارة العامة مركزها فى كولمبوس عاصمة الولاية ، وهى ترسل إلى كل مرشد سيلاً لا ينقطع من الموضوعات للدراسة والبحث . فتعقد الاجتماعات فى منازل الأعضاء ، ثم ترسل محاضر الجلسات إلى كولمبوس ، حيث تجمع وتلخص وتبوب ، ثم ترسل خلاصتها إلى كل هيئة من الهيئات التنفيذية التابعة للاتحاد .

وتشتمل موضوعات الدراسة على أمور خاصة بالسياسة الزراعية العامة ، أو على تفاصيل عملية دقيقة . مثال ذلك : شكا فرع البيع بالجملة أن من الإسراف تخزين أصناف عديدة من الأسلاك التى تستخدم فى عمل السياج . وقد دل البحث على أن أربعة أصناف منها تفى بجميع الأغراض ، وكذلك دل البحث على أن أربعة أنواع من أغذية الدواجن وافية بالغرض بدلا من ١٢ نوعاً

وفى العام الماضى سُئِلت حلقات البحث: هل يحسن أن يقوم الاتحاد بمشروع لإنتاج البترول ؟ ودار البحث والحديث حول هذا الموضوع فى آلاف من منازل الزراع ، فقوبل بالاستحسان والموافقة . وفى خلال ثلاثة أسابيع استطاعت شركة الجملة أن تبيع سندات بمبلغ ٥٠٠,٠٠٠ ريال من أجل إنشاء معمل لتكرير البترول .

وقد أصبح اليوم فى وسع كل عضو فى الاتحاد أن يستثمر ماله فى أنواع مختلفة من المشروعات فى نطاق الفرع الذى ينتمى إليه، فإما أن يساهم فى شركة الجملة ، أو فى الفرع المحلى للتجزئة ، وإما يقتنى سندات فى شركة القرض الزراعى . وهناك عدد من سراة المزارعين قد ساهموا فى مشروعات الاتحاد بنحو ١٠,٠٠٠ إلى ١٥,٠٠٠ ريال .

وهناك فريق من أصحاب الأعمال يقول : « إن شركات التعاون لا تنافسنا منافسة عادلة ، لأنها لا تدفع ضرائب للدولة ، ولذلك أمكنها أن تجمع أموالا احتياطية، تستخدمها فى التوسع وفى منافسة أصحاب المتاجر الحرة ، الذين يطلب منهم أن يدفعوا جزءاً كبيراً من أرباحهم ضرائب للدولة » .

وقد رد لنكولن على هذا فقال : « إننا لا ندفع ضريبة عن أرباح ، إذ ليس لنا أرباح ، بل ترد جميع الأرباح على الأعضاء . ومع ذلك فلا حاجة بأصحاب الأعمال الحرة أن يخشوا جانب الاتحاد التعاونى ، ما داموا يقدمون للمستهلك السلعة التى يحتاج إليها بثمن يقرب إلى حد ما من تكاليف الإنتاج. هؤلاء ليس لهم أن يخشوا بأس الاتحاد ».

إن لغة الحيوان لا تدركها آذاننا
ومع ذلك فلها أثرها في نفوسنا

تعاون الحيوان

إيفان ت. سندرسن ٥ ملخصة عن مجلة "نيتشر"

كثيراً ما تبدي الحيوانات من مظاهر التعاون ما هو قريب الشبه جداً بأعمال الإنسان. ومن الواضح أن هذا التعاون لا يتطلب تفكيراً فحسب، بل يتطلب نقل الأفكار بطريقة من طرق الكلام أو الإدراك النفسي.

وحتى الزواحف، ومقدرتها العقلية ضئيلة، تأتي من أعمال التعاون ما يحتاج إلى التفكير. ولقد أدركت ذلك أثناء إقامتي في جزائر الهند الغربية، والذي جعلني أدركه ما قامت به عظايتان (سحليتان)، فقد وقع شيء من اللبن المحفوظ على جذع مقطوع خارج نافذتنا، واجتذب السائل الحلو الفراش إليه، ولم يمض طويل وقت حتى وقفت عظاية (سحلية) على حافة هذا الجذع المقطوع، وجعلت تجهد في قنص الفراش كلما نزلت فراشة على اللبن، ولكن الفراش كان يطير إذا ما هجمت عليه.

حدث ذلك أربع مرات، فنزلت العظاية عن الجذع وجعلت تعدو على جدار من الحجر تنظر ذات اليمين وذات اليسار، حتى وقع نظرها على إلف لها من نوعها. توقفت ورفعت رأسها، ونفخت جيب رقبتها الأصفر وأخذت تأتي بإيماءات وانحناءات. وما إن فرغت من ذلك حتى استدارت وعادت إلى قنصها، وتبعتها العظاية الأخرى، واتخذت مكانها في الجانب الآخر من الجذع.

وبدأ الآن هجوم فني منسق على فراشة، فزحفت العظاية الجديدة حول حافة الجذع حتى صارت تحت الفريسة. وفي الوقت نفسه تقدمت العظاية الأولى وهجمت على الفراشة فأفلتت الفراشة كسابق عهدها من قانصها، ولكنها وقعت هذه المرة بين فكي العظاية الأخرى. واستمرت العظايتان على اتباع هذه الخطة بنجاح مرة بعد مرة، حتى جف اللبن عن الجذع وانقطع الفراش.

لقيت مرة جماعة من القوطي (كوتي)،

إيفان ت سندرسن ولد في أسكتلندة، ولا يزال في أوائل العقد الرابع من عمره، وقد تولى رياسة سبعة بعوث لعلم الحيوان رحلت إلى جميع قارات الأرض ما عدا أستراليا. وهو مؤلف كتب عديدة زينها برسوم دقيقة من صنعه تدل على دقة ملاحظته.

وهى حيوانات من اللواحم طويلة الأنف تشبه ذئب الراكون وتكثر فى غابات جنوب أمريكا ، وكانت تبحث عن الحشرات وما هو أكبر منها من الحيوان . فاختبأت وجلست أرقب عن كثب .

واكتشف ذكر كبير من هذه الحيوانات مدخل جحر المدرّع (الأرماديلو) (وهو حيوان أمريكى صغير من ذوات الأربع تحمى جسمه كالدرع أطواق من عظم ، يأكل النمل) وجعل يتشمم بأنفه الطويل ، ثم عاد مسرعاً ونظر حواليه مهتاجاً ، وسرعان ما وجد جحراً آخر ، فإن المدرّع يتخذ لجحره مدخلين . وبدلا من أن يدخل الجحر هرع وهو يزأر ويصفر إلى باقى الجماعة ، وعاد ومعه اثنان من رفاقه إلى الجحر ، فأقام أحدهما على مدخل وأقام الثانى على الآخر ، ثم دخل هو إلى الجحر . وما هى إلا بضع دقائق حتى ساد الهرج والمرج فى الجحر واندفع المدرع خارجاً ، فانقض عليه الحارس انقضاض الصاعقة ، وانسل الحارس الآخر الواقف عند المدخل الثانى إلى داخل الجحر .

عند ذلك تدخلنا وسددنا المدخلين وحفرنا إلى أن بلغنا عش المدرع فوجدنا القوطيين وأنثى المدرع وبقايا صغارها ، ولو لم نتدخل لتمكنت هذه الحيوانات الثلاثة الماكرة بتعاونها من القضاء على الأسرة بأجمعها .

بعد هذه الدلائل على تعاون الحيوانات تابعت ملاحظة أمثلة أخرى من هذا النوع ، وسرعان ما اكتشفت أن هذا التعاون ليس بدعاً بين الحيوانات .

ضربنا خيامنا على شاطىء نهر من أنهار جنوب أمريكا فى طريق أجمة شجراء تأوى إليها القردة ، وكانت تمر بنا جماعات من القردة الصغيرة الغريرة فى الأيام بعد الأيام فى بحثها الدائم عن الفاكهة الناضجة .

ورأيت ذات يوم قرداً يذهب إلى شجرة منعزلة فذاق نوعاً من الفاكهة يبدو أنه كان الفاكهة المرجوة ، فقد جعل يقفز ويصوت فرحاً ، بيد أن باقى القردة كانت بمنأى عنه فلم تسمعه .

وبدلا من أن يلتهم بشراهة من تلك الفاكهة ، عاد القرد الصغير إلى جماعة القردة ، ورجع ومعه زميل ، فذاقها وكان أكبر جسما من الأول ، ثم صوت هو أيضاً فرحاً وعاد إلى الجماعة . ولم يمض طويل وقت حتى جاءت الجماعة فى صخب ولجب إلى الشجرة واشتركت فى الوليمة ، وقد استنتجنا أن القرد الكبير كان من القادة ، وكان عليه أن يتذوق الفاكهة قبل أن يأمر الآخرين بالأكل منها .

وفى غرب إفريقية حيوان غريب المنظر له ريش على أذنيه اسمه ، «خنزير النهر الأحمر » ، وقد رأينا مرة قائد جماعة من هذا الحيوان يدنو من كتلة من الخشب ملقاة فى مستنقع ، فشم تحتها ثم أسرع إلى الجانب الآخر وشم كذلك ، والظاهر أنه كان تحت هذه الكتلة شىء لذيذ المذاق فدعا بجماعة فنفرت إليه .

واصطفت الخنازير صفا واحدا، كتفاً إلى كتف، على أحد جانبى الكتلة ودفعت أنوفها المدببة فى الطين ، ودفع الجميع الكتلة دفعة واحدة حتى تدحرجت ، وعندئذ تزاحمت الخنازير بالمناكب على القواقع الكبيرة اللذيذة التى وصلت إليها بمجهودها المشترك .

كان والدى ، وهو ممن قضوا زمناً طويلا يرقب أعمال الحيوانات فى مزرعته بشرق إفريقية ، يقص علىّ أحد أساليب الأسود فى اقتناص فريستها : تكمن اللبؤات عند مغيب الشمس فى مسارب القنص المؤدية إلى عيون الماء ، وتحوم الأسود من بعيد وتدنو إلى عيون الماء من الجهة الأخرى ، منبئة عن قدومها بزئير قاصف يهز الغاب ، فيسرع الحيوان الظامىء إلى الشرب والهرب فى هذه المسارب مخافة الأسود ، فيقع بين براثن اللبؤات . وتكف الأسود عن زئيرها وتسرع إلى إناثها تشاركها وجبة المساء .

وليس الجوع وحده هو الذى يغرى الحيوان بالتعاون بل ثمة نوازع أخرى ، ومنها الرحمة والتعاطف . ويؤيد علماء التاريخ الطبيعى ذلك بأمر الفيلين اللذين يكتنفان فيلا جريحاً من القطيع ويساعدانه على الإفلات من الصائد .

قص علىّ رجل قضى نصف حياته فى غابات البنغال ، قصة غريبة حضر هو نفسه وقائعها : انتهى قنص موفق باصطياد أنثى من الفيلة تامة النمو وفيل صغير السن ، وترك الفيل الصغير دون أن يقيد فى الفناء ، على حين شدت الأنثى إلى عمود حظيرة كبيرة فى هذا الفناء . وفى الليل اقتحم الفيل الصغير سور الفناء وهرب .

وصحا أهل البيت القائم أمام الفناء بعد ليلتين على أصوات هرج فى الفناء ، فهرعوا إليه وألفوا الأنثى قد قطعت قيودها وهى تعدو نحو غابة مجاورة ، وإلى جانبيها فيلان كبيران ، ويتبعها الفيل الصغير من خلف ، أو هو فيل فى نفس حجم الفيل الهارب وشكله . ودل البحث على أن السلسلة الغليظة التى شدت إلى رجلى الأنثى الخلفيتين قد التوت وانفصمت .

ويدل كثير من أعمال التعاون بين الحيوان على أناة وتنسيق متصلين ، وتجد مثال ذلك بين الطير الإفريقي النسّاج ،

وهو طير صغير تتدلى أعشاشه الطويلة المعلقة من أشجار الغاب الباسقة .

وينشىء الطير النسّاج أعشاشه أزواجاً ، فيحمل خصلا طويلة من ألياف ويدليها من أحد الأغصان ، فإذا أتم وضع ما يكفيه من الخصل فى مكانها ، أخذ يربط أطرافها المدلاة بعقد بارعة على غرار ما تفعل النساء فى حبك الصوف ، ويتخذ الحبل المدلى شكل الناقوس ، ويحتاج الأمر فى هذه اللحظة إلى تعاون وثيق .

يعمل أحد الطائرين المتعاونين من داخل الناقوس ، على حين يعمل الطائر الآخر من خارجه ، فتنفذ أطراف الألياف من النسيج بمناقيرها فيتلقاها من فى الداخل . وقد يحدث بعض الأحيان أن لا يروق النسيج طيراً من هذه الطيور ، فيسل خصلة من الألياف ويطير بها إلى مكان آخر ، ويبدأ نسجها على ما يريد .

وتعمل الطيور معاً أياماً متوالية حتى يصير ما تعمله عشاً طويلا أجوف ، كالجورب شكلا ، ثم يوسع طرف الجورب حتى يصير كرة كبيرة لها فتحة صغيرة مستديرة فى أسفلها . وفى داخل هذه الفتحة تبنى الطيور قاعدة يقام عليها العش . وتكون النتيجة مثلا عجيباً من أمثلة الصناعة البارعة .

وهذه قصة عجيبة يقصها علينا شرى كيرتون عالم التاريخ الطبيعى الإنجليزى ، الذى قضى سنة فى جزيرة بجنوب المحيط الهندى حيث تلد البطاريق وتربى صغارها (البطريق من طير الماء قصير الجناحين سمين جداً)

كانت البطاريق تنزل كل صباح إلى البحر لتستحم ، وترتسم إليه مسالك وطأتها من قبل . وكثيراً ما كانت هذه المسالك تمر بأرض فضاء تستحيل إلى أرض زلقة بعد نزول المطر . ووجدت البطاريق أنه من المتعذر عليها أن تحسن المشى عليها . فأنفذت الطيور جماعات منها لتنقر الأرض بمناقيرها وتحيلها خشنة مشققة ، واستمرت على ذلك العمل الشاق ساعات حتى تحولت الأرض إلى طريق مخطط تخطيطاً بديعاً متساوياً تمشى فيه آلاف البطاريق دون أن تزل بها أقدامها .

تلقى قسم البوليس فى بلدة بورتلند من عهد قريب المذكرة التالية : « إن الرجل الذى يقطن بيتاً فى جواركم لص ، ويجب أن يحاكم ويحكم عليه بأقصى عقوبة يبيحها القانون ، فقد كسرت خزنته فى الليل الماضى فوجدتها مليئة ببطاقات الجاز المعدة للسوق السوداء » . التوقيع « صديق »

[مجلة « باراد »]

نادي للباعة المتجولين

تجربة اجتماعية فريدة يفيد منها ٢٠٠٠٠ غلام ممن يتكسبون في شوارع بوسطن

و. ب. والدرن + ملخصة عن مجلة «كريستيان سينس مونيتر»

ماذا أنت صانع الليلة في نادي باروز ؟ » .

« سنشاهد الليلة عرضاً سينمائياً نجماً »

« وددت لو استطعت الذهاب ولكنه قاصر على باعة الصحف وماسحي الأحذية من الغلمان ، وأنا أبيع الخضر مع والدي »

« أنت تاجر متجول يا «دن» ، ونادي باروز مفتوح لكل فريق من الباعة المتجولين ، وفي وسعك أن تذهب فإن نادي باروز متعة حقيقية » ، ثم قال الغلام وقد انتفخت أوداجه :

« لقد تعلمت فيه كيف أرقع الأحذية وأصلح من شأنها لجميع أفراد الأسرة . وقد عالج لي أسناني ـ انظر ! عشرة سنتات لكل مرة ، وفك أخي من عقال السجن وهو اليوم ضابط في الحرب ! » .

وعلى هذا الغرار تسرى أنباء مؤسسة باروز لباعة الصحف في بوسطن .

وفي كل ليلة يزخر النادي في « بيكون هل » بالباعة المتجولين يعملون في تحرير صحيفتهم ، ويديرون مطبعتها ، ويصنعون نماذج للطائرات ، ويحضرون المسرحيات ، ويدرسون التصوير الضوئي ، ويتلقون الإرشاد في أعمالهم المدرسية . ويرتفع فيه أحياناً صخب شديد ، ولكن سرعان ما يتغضى عليه الأولاد أنفسهم .

وقد كان لنادي باروز في مدى ست عشرة سنة أثر كبير في حياة ٢٠٠٠٠ غلام من الباعة المتجولين في بوسطن من ست وعشرين جنسية مختلفة ، نشاهد الكثيرين منهم يتجولون : من باعة في الشوارع إلى رجال يعتمد عليهم، وقد رد كثيرين ممن ضلوا سواء السبيل إلى صراط مستقيم ، وساعد مئات منهم على اجتياز العقبة المالية الأولى في اللحاق بالكليات . وأصبح هؤلاء الغلمان أطباء ورجال أعمال ومحامين ومعلمين .

ويعمل الكثيرون منهم اليوم في القوات المحاربة ، فقد شجعت المؤسسة فكرة العناية بالصحة بين روادها، حتى أن نسبة المرفوضين من أولاد مؤسسة باروز الذين فحصوا طبياً

للخدمة العسكرية ، كانت أقل من اثنين في المئة ، يقابلها ٣٥ في المئة للبلاد جميعها.

وهاري باروز المؤسس رجل جدّ ، وهو في أوائل الخمسين من عمره ، وهذه المؤسسة صورة صادقة لجهاده وآماله وعقائده .

نزل باروز منذ أربعين سنة بوسطن وكان غلاماً مهاجراً من روسيا لا يتجاوز الثانية عشرة من عمره ، وحيداً مملقاً لا يعرف كلمة واحدة من الإنجليزية ، واشتغل بائع صحف يذود عن « موقفه » بما أوتي من قوة . وجاز بعد تسع سنين المدرسة الثانوية ، ونال جائزة دراسية مالية للدراسة بمدرسة الحقوق ، ونجح في امتحانها. وفي سن الخامسة والثلاثين كان قد أصاب نجاحاً عظيما ، وبلغ دخله مئة ألف ريال في السنة .

ولطالما شاهدت أمريكا تلك المعجزة من النجاح المادي تقوم على لا شيء ، ولكن المعجزة الكبرى هي أن ذلك الرجل تنحى وهو في ذروة مجده عن صناعته، ووقف حياته منذ ذلك الحين على العمل لما فيه خير الشباب ، والباعة المتجولين خاصة .

كان قدامى إخوانه في الشوارع ، منذ أن اتخذ هاري باروز المحاماة صناعة ، يهرعون إليه في طلب المساعدة إذا وقعوا هم أو أقاربهم في مأزق ، فكان يمدهم بالمساعدة القانونية بلا لقاء ، ولكن ذلك لم يرضه ، فقد كانت تجول في خاطره فكرة إنشاء نادٍ لهؤلاء الغلمان .

كان باروز يعلم أن بائع الصحف يخفي تحت مظهر الواثق من نفسه مرارة الهزيمة في الحياة ، ومثل هذا الغلام مزيج غريب من الدراية بالحياة وعدم الثقة بالنفس . وبيته في العادة خلو من أسباب البهجة والراحة ، فيجنح إلى التسكع في الشوارع إذا ما انتهى من عمله .

وإن روح النضال التي مهدت أسباب النجاح للبائع المتجول ، كثيراً ماتدفع به إلى الاصطدام بالقانون . ورأى باروز آمال هؤلاء الباعة المهيضة لحرمانهم التعليم ، فإذا ما جاوزوا مهنة البيع في الشوارع ألفوا أنفسهم لا تتصل أسبابهم بشيء وأن حياتهم مضيعة فارغة .

وابتاع باروز بناء ذا ثلاث طبقات في قلب المدينة وأثثه ، وانصرف عن عمله القانوني وقام على إدارة المؤسسة بنفسه . وعندما أنفذ نداءه إلى الغلمان سعوا إليه زرافات ليروا ما هنالك .

وأراد باروز أن يشيع في نفوس هؤلاء الغلمان الشعور بأنهم أصحاب هذه المؤسسة ، ففرض رسماً اسمياً ، على أنه إذا لم يجد

أحدهم القدر اللازم ، يسّر له كسبه بأداء أى عمل للمؤسسة .

ومنذ قامت هذه المؤسسة أصبح التسامح بين الأجناس المتباينة شعاراً سامياً لهـا . وقام غلمـان من جنسيات مختلفة ، بإيحاء من باروز ، بإعداد عرض مسرحى يبين ما أدّته كل بلد لأمريكا .

وحدث يوماً فى النـادى أن ألقى هذا الدرس فى التسامح بطريقة جدية ، فقد سمح لجماعة من الغلمان الإيطاليين أن يهيئوا غرفة قذرة غير مستعملة فى الطابق الأسفل ويجعلوا منها منتدى بهيجاً ، فقاموا بذلك وأغلقوا بابها ، وقد ظنوها لهم دون غيرهم .

واستدعاهم باروز وقال لهم : « إنكم عصبة من الأجانب الحقراء ، أليس كذلك؟» فتميز الأولاد غيظاً فقال باروز : « ها أنتم أولاء لا تستمرئون أن توصفوا بذلك ، لقد هيأتم غرفة جميلة فى أسفل المنزل ، بيد أنكم عند ما تمنعون غـيركم من الأولاد من دخولهـا تشجعونهم على أن يدعوكم أجانب حقراء ، أو ليس الأفضل أن تدعوا أمريكيين ؟ » .

فاعتذر أفراد الجمـاعة لرفقائهم عما بدر منهم ودعوهم جميعاً إلى مشاركتهم الغرفة .

ويفحص كل غلام فحصاً طبياً دقيقاً ، فإذا وجد الأطباء مصاباً بمرض الحلق أو سوء التغذية أو غيرها من الأمراض ، فإنهم يعالجونها أو يقومون بالجراحـة اللازمة مجاناً . وقد نجح الدكتور لروى مينر عميد مدرسـة طب الأسنان بجامعة هارفرد فى حمل أربعين طبيباً من أطباء الأسنان على التبرع بليلة كل أسبوع لعلاج أسنان أولاد المؤسسة . ويدفع الأولاد أجراً اسمياً قدره عشرة سنتات لـكل مرة ، وتتبرع بعض المحلات التجارية بالأدوات والأدوية اللازمة . ولم يرفض واحد من أولاد المؤسسة المتقدمين للخدمة العسكرية بسبب مرض أسنانه .

قام باروز بمفرده بحمل عبء تلك المؤسسة ثلاث سنين كاملة ، وحلت الضائقة المـالية وكان قد صرف جل ماله وواجهته الصعاب ، فنصحه هنرى ل . شاتك وهو أمين خزانة جامعة هارفرد ، أن « اطلب المساعدة فأنت قمين بها ، واكتبنى متبرعاً بخمسـة آلاف ريال » ، وحـذا حذوه فردريك ب . كابوت قاضى محكمة الأحداث ومد آخرون غيرهما يد المساعدة .

كان التعلم العالى يبدو فوق ما يطمح إليـه باعة الصحف أو ماسحو الأحذية ، ولـكن هارى باروز هيأ لهم الجـوائز الدراسية المـالية ، ولا تزيد الجائزة على مئتى ريال ، والمقصود منها أن يبدأ بها الغلام ،

وعليه إذا ما دخل الكلية أن يعمل على الحصول على إحدى جوائزها الدراسية ليتم دراسته .

ويمثل كل طالب أمام لجنة من ١١ رجلا، ثلاثة منهم يندبهم محافظ ماساشوستس ، وثلاثة آخرون بينهم رئيس بلدية بوسطن ، وخمسة تندبهم المؤسسة .

ويشترط باروز لمنح الجائزة أن يحكم على الولد : بأخلاقه ، وحاجته ، ولياقته ، ومقدرته الدراسية ، على هذا الترتيب .

حدث ذات صباح منذ عشر سنين أن تقدم غلام نحيف رقيق الجسم من باعة الصحف إلى اللجنة ، وكان يريد أن يلتحق بجامعة هارفرد، فقال أحد المحكمين: «لا أرى أن يستطيع هذا الغلام إتمام الدراسة بالكلية ، فليس له من القوة البدنية ما يعينه على ذلك . » ولكن باروز قال : « انظر إلى بريق عينيه ، إنه سوف ينجح . » ومنحه المحكمون فى شىء من التردد جائزة دراسية سدد بها أجر الدراسة فى النصف الأول من السنة ، وفاز بعد ذلك بجوائز دراسية أخرى من جامعة هارفرد أتم بها دراسته ، وتخرج وهو من المبرزين ، فمنح جائزة شلدون الدراسية الموموقة ، وقيمتها ١٥٠٠ ريال ويشترط فى الفائز بها أن يقضى سنة فى الخارج فى الدراسة والسياحة . وقد كان هذا الغلام الألمعى تد هوايت* مراسل مجلتى « تايم ولايف » فى الشرق .

ومن الذين فازوا بجائزة دراسية فى جامعة هارفرد سنة ١٩٣١ ، غلام من باعة الصحف اسمه روكو بافون ابن مهاجر إيطالى ،كان يمشى خمسة أميال ذهاباً وإياباً بين منزله والكلية . وبعد انتهائه من هارفرد التحق بمدرسة تفتس الطبية ، وهو الآن طبيب ناجح يخصص جل وقته لعلاج الفقراء من أولاد المهاجرين الإيطاليين فى بوسطن .

ومن هؤلاء ليون رايت ماسح أحذية يتيم من السود ، منح جائزة دراسية والتحق بجامعة بوسطن ، وكان يشتغل فى نقل الفحم فى أوقات فراغه ، وهو الآن أستاذ فى كلية السود فى ماريلاند .

وثمة قصص كثيرة على غرار ذلك بين ثلثمئة من غلمان مؤسسة باروز ممن فازوا بجوائز دراسية .

ومنذ عدة سنين حقق باروز ، بمساعدة ماكسيمليان أجاسيز حفيد العالم الطبيعي الكبير ، حلماً آخر ، فقد ابتاع أرضاً بجوار بحيرة فى ولاية ماين ، ليقضى فيها أبناء مؤسسته زمن الصيف . وساعد الغلمان فى تمهيد الأرض ، وفى تحويل بناءين قديمين

* « الصين فى نظر مجلة لايف » المختار نوفمبر سنة ١٩٤٤ صفحة ٣٨ — ٤٤

إلى منزلين للاقامة ، وفى إنشاء الطرق وزراعة الحدائق ، وأضافوا إلى ذلك مرافق أخرى كل سنة ، حتى صارت قرية أجاسيز مجتمعاً فريداً يدير نفسه بنفسه . وللقادرين من الغلمان أن يدفعوا أجر إقامتهم أسبوعين ، أما غير القادرين فكان باروز لا يعدم وسيلة لإرسالهم إلى هذه المحلة .

وقد نقد المشتغلون بالخدمة الاجتماعية هذه المحلة من عدة نواح منها : وجود « أرجوحة دوّارة » فمن سمع بمثل ذلك فى مخيم لأولاد الشوارع ؟ وقد نشأت فكرة « الأرجوحة الدوّارة » فى طفولة هارى باروز فى روسيا ، فقد كان يتوق دائماً إلى ركوب تلك الأرجوحة ، ولكن كان يعوزه أجرها دائماً ، فيالها من سعادة أى سعادة أن يستطيع غلام أن يركب تلك الأرجوحة فى أى وقت شاء !

على أن أشد نقد وجهه المشتغلون بالخدمة الاجتماعية إلى المحلة هو أن باروز يجمع بين الخبيث والطيب من الأولاد ، فكثيراً ما كان يختار أولاداً ممن أوقع بهم سوء سلوكهم فى المتاعب ، ليرى ما قد يجدى عليهم الشعور بالتبعة فى مجتمع فى الخلاء . وقد قيل له إن الخبيث يفسد الطيب ، ولكنه أقام الحجة على أن العكس هو الصحيح ، وأن الطيب يضرب المثل الطيب للخبيث فيحتذيه .

لقد أتى باروز بالعجب العجاب فى تلك المحلة ، مما حدا بمحكمة الأمن فى بوسطن وبعض الهيئات الاجتماعية الأخرى ، إلى إنفاذ بعض سيىء السلوك من الأولاد إلى تلك القرية ليقضوا بها حقبة من الزمن .

سألت ذات ليلة فنسنت ترنجالى وهو شاب فى العشرين من عمره يدرس الرسم : « ما جاء بك هنا ؟ »

فقال : « عرفت شاباً أكبر منى سناً كان عضواً بالمؤسسة وكنت أعجب به ، وأود أن أحذو حذوه فى كل ما يفعل ، فقلت له ذات ليلة ، اصحبنى معك إلى نادى بارزو ، ففعل وأدخلنى النادى خلسة » .

فسألته : « من يكون ؟ »

فأجاب أن اسمه شارلى فيدالى ، التحق بالأسطول وارتقى إلى رتبة ملازم ، وغرق مع السفينة جونو فى جنوب المحيط الهادى . لقد كان رجلا عظيما » .

فقال باروز وكان واقفاً بالقرب منا : « أجل قد جاءنا صغيراً وأفلح كبيرا » ، وتلتمع عين باروز ببريق غريب عند ما يفلح أحد أبناء مؤسسته وإن أكثرهم ليفلحون .

* * * * * *

قد تبلغ المقادير في تقلبها مبلغا عجيبا

حوادث أغرب من الخيال

مايرون ستيرنز + ملخصة عن مجلة "دى اميريكان ميركيورى"

تكشف السجلات المحفوظة فى مقر « المجلس الأمريكى للسلامة الأهلية» عن حوادث تخيل إليك أن المقادير تحتال بشق النفس حتى تضمن أن تكون حوادثها فذّة ، أو ملهية ، أو مستبشعة . فتأمل كيف تألبت الظروف التالية على نحو غريب .

كان أحد المتفرجين على لعبة الكرة « بايسبول » فى بلدة هاريسبرج ، ينظف أذنه بعود ثقاب ، فسقطت كرة شاردة عند مقعده تماماً فى المدرّج ، ثم أصابت يده فدفعت العود فى أذنه فثقب صماخها . وفقد الرجل سمع إحدى أذنيه .

وحدث فى فندق ريفى فى نيويورك ، أن هوى أحد الموظفين فى بئر المصعد من الدور الثالث فقتل . ولم يسبق أن حدث مثل هذا الحادث خلال سنين منذ أنشئت تلك البناية . وبعد انقضاء دقائق على سقوطه سقط موظف آخر فى البئر نفسها ، ولكنه وقع على الجسد الذى لم يزل دافئاً ، فلم يصب إلا إصابة يسيرة .

كانت سيارة مندفعة على جسر ممدود فوق خط سكة الحديد ، فحرفها صاحبها ليتقى خطر سيارة أخرى ، فصدم حاجز الجسر ونفذ منه . واتفق حينئذ مرور قطار سريع تحت الجسر ، فبدا أن لا مفر لسائق السيارة وخطيبته من أن يموتا شر ميتة ، ولكن السيارة حطت بعجلاتها الأربع على ظهر إحدى مركبات الركاب ، دون أن ينفجر إطار عجلة من عجلاتها ، وعكس اندفاع القطار قوة اندفاع السيارة فقفزت عن سطح القطار عائدة إلى الجسر ، ولم يصب أحد بأذى .

وقد تكون أحد سائقى السيارات الذين يعروهم الذعر حين يدخل السيارة زنبور ، إذن تصوّر ما وقع لفردريك ماج ، حين اصطدم تدرج (ديك برّى) طائر بلوح الزجاج أمام مقعد السائق وكسره ، فلما جعل ماج يحمد الله فى سره على أن المكروه لم يكن أعظم ، دخلت نحلة من خلال اللوح المكسور ، ولسعته ، وليس عجيباً أن يسقط فى خندق على جانب الطريق وتحطم سيارته .

وعلى مقربة من بلدة موراڤيا فى نيويورك قفز جرذ على كتف سائق كان يسوق سيارة نقل ، فضربه بيده فوقع على أرض السيارة ولكن الجرذ عدا متسلقاً ساق الرجل داخل

بنطلونه ، فحاول هذا جزعاً أن يخرجه، ففقد سيطرته على زمام السيارة فاصطدم ببناية .

وحين يفجأ الناس بأشياء غير متوقعة ، تراهم يأتون كل ضرب من ضروب الحماقة . فقد كان أحد المجندين يحلق بموسى من الطراز القديم فى قاعدة طيران بأريزونا ، وكان الجو قائظاً ، وكان المجنـد عارياً ، فحطت ذبابة على كفله فضربها بالموسى دون تفكير أو وعى ، فاقتطع من نفسه قطعة اقتضت خياطتها جراحة . وكان جندى آخر يحفر خندقاً فى معسكر ، فالتفّت حية على كعبه ، فضربها بالمجرفة فكسرت ساقه .

ويبدو أن المقادير ، تهوى أن تجمع بين الحوادث الشاذة ، فأسرة يوريا رتشردز تقطن ولاية وشنطن وهى مؤلفة من الدين وستة أولاد . ولو أخـذ بالفرض الرياضى ، لكان احتمال موت اثنين من هذه الأسرة فى حادثى اصطدام ، خلال فترة طولها أربع سـنوات ، لا يزيد على واحد فى مليون . ولـكن ثلاثة من الأولاد قتلوا فى حادث منزلقان . وبعد سنتين ، قتلت بقية الأسرة حين صـدم سيارتهم الزراعية قطار عند منزلقان .

وأمر المقادير قلب فى حوادث السقوط . وهى طائفة من الحوادث قتل بها فى السنة الماضية أكثر مما قتل بأية طائفة أخرى من الحوادث . ولقد بلغ عدد القتلى ٢٦ ألفاً .

فقد قتل شيخ فى الثالثة والستين بعد سقوطه من ارتفاع قدم ونصف قدم فجاء فى شهادة محقق الوفاة : « أخفق فى محاولته أن ينتحر ، ولـكنه مات وهو يحاول » . ذلك بأنه أخذ حبلا إلى الحجرة ، ووقف على صندوق ، وجرب أن يعقد الحبل بمسمار بارز من عارضـة السقف ، فزلّ ووقع فتحطمت جمجمته على بلاط الحجرة .

وحدث مرة أن أدار صاحب سيارة محرك سيارته وهو فى الحظيرة ، وبقى فيها حتى يدفأ المحرك بعد برد الصباح وغلب عليه غاز أول أكسيد الـكربون فتهالك على عجلة القيادة . ولو انقضت عليه دقائق وهو كذلك لمات ، ولـكن صـدره ضغط زر بوق السيارة ، فسمعت أسرته الصوت فوصلت إليه قبل فوات الوقت .

ويقول رجال مجلس السلامة القومية : إن الإحساس بالخطر يحملك على أن تكون أدنى إلى الحذر ، وأبعد عن المخاطرة فى غير اضطرار . وحتى رجال الـكتائب الفدائية ، يدربون على الحـذر وتوقى الحوادث . وهذا يجعلهم أقدر على أعمالهم وأحرى بأن تطول آجالهم . نعم قد يحدث الحادث حيث تكون ، أما أنا فسأكون أكثر حـذراً مما كنت ، وأنا أنزل على هذه السلالم .

باب الكتب

استيقظ واستمتع بالحياة

ملخص كتاب

دوروثيا براند

مؤلفة "كيف تصير كاتبا" و "أجمل النساء" وغيرها

في هذا الكتاب « استيقظ واستمتع بالحياة » تهدى دوروثيا براند إلى قرائها « دستور النجاح » وهو كما تقول : « دستور قد بلغ من البساطة والوضوح ما ردّني عاجزة عن أن أصدّق أنه كان سرّ العواقب العجيبة التي جنيتها حين طبقته بنفسي »

استيقظ ، واستمتع بالحياة

كنت إلى سنتين مضتا امرأة مخفقة ، ولكن لم يفطن لهذا أحد سواى ، وكيف وأنا أنعم بمقام كريم وحياة لا تنقصها البهجة ؟ ومع ذلك كنت ، أنا وحدى على الأقل ، أومن فى دخيلة نفسى بأنى أخفقت .

وغمّت علىّ السبل ، فمع أنى كنت على بينة مما أريد أن أفعل ، وكنت متزوّدة بكل عدة للنجاح فى عملى ، رأيتنى أخبط فى الحياة خبط عشواء ولا أتقدم .

ثم إذا بى أظفر بالفكرة التى فضّت عنى قيودى ، ذلك أنى كنت أقرأ كتاب « الشخصية الإنسانية » من تأليف هـ . ى مايرز فوقعت على جملة بلغ من إشراقها أنى نحيت الكتاب جانباً لأتدبر كل المغانم المحتملة التى تشف عنها هذه الفكرة الواحدة . فلما أخذتُ الكتاب ثانية كنت قد أصبحت إنساناً آخر .

تغير كل شىء فى حياتى ، ولم أتبين هـذا التحوّل فى مبدأ الأمر ، ولكنى أدركت بيقين جعل يرسخ على مرّ الأيام ، أنى ظفرت أخيراً بتميمة تعالج الإخفاق وقعود الهمة ومثبّطاتها ، وكانت هذه التميمة دواءً ناجعاً صادق الأثر . فكل ما استطعت أن أكتبه فى السنوات العشرين السابقة لم يزد على سبع عشرة قصة صغيرة ، وعشرين رسالة فى نقد الكتب ، وعدة مقالات فى الصحف ، ومحاولة واحدة لتأليف قصة طويلة ، فكان معدل إنتاجى أقل من مقالتين فى السنة الواحدة .

أما فى السنتين التاليتين لتلك اللحظة التى استنارت فيها بصيرتى ، فهاك بيان ما أنجزته : ثلاثة كتب (ولم تنقض السنة الأولى حتى كنت قد أتممت أولها وثانيها ، وكلاهما لقى نجاحاً) وأربع وعشرون مقالة ، وأربع قصص صغيرة ، واثنان وسبعون محاضرة ، وهيكل ثلاثة كتب أخرى ، ورسائل لا تحصى بعثت بها إلى من يطلب منى المشورة فى كافة أنحاء البلاد .

لم يكن هذا هو كل ما أفدته من هذه الوصفة ، كلا بل لقد زالت عنى علة التردد والخجل التى عرقلت نشاطى فى كل مجال من قبل . أما الأحاديث الصحفية والمحاضرات والاجتماعات التى اندفعت فيها وأنا منتصرة على الإحجام فى كل لحظة ، فقد أضحت مجلبة لسرورى .

وأخيراً أصبحتُ راضية عن نفسى ، ولم أعد أعاقبها واستحثها وأسوقها بلا رحمة ، وكذلك كففت عن شكوى السأم والإعياء يصيبانى بلا مسوغ .

وحدث قبل بضعة أشهر أن دعيت إلى إلقاء محاضرة على جماعة من أصحاب المكاتب ، فكان الموضوع الذى اخترته هو عرض خلاصة هذا الكتاب : وذلك أننا جميعاً ضحايا «إرادة الاخفاق» ، وأننا إذا لم نفطن لهذا الأمر فى حينه ونعمل على مقاومتها ، انقضت حياتنا دون أن نحقق رغائبنا ، وأنّ هناك علاجاً لمكافحة هذه الإرادة ، وهو علاج له فعل السحر .

وكأن المستمعين كافة كانوا يشكون من الحال التى وصفتها ، وكأنهم كانوا جميعاً يتلمسون المعونة للخلاص منها ، فانهالت علىّ الرسائل والأسئلة بالبريد والتلفون ، وطلب الحديث معى كثيرون أدركوا أن حياتهم غارقة فى النكوص والتهيب والتردد . وأنا أريد أن يكون هذا البحث التالي مرشداً عملياً لأمثالهم ، ممن يستطيعون الخلاص من حياة عقيمة بغير جدوى ليبدأوا حياة سعيدة طيبة .

◆◆ ◆◆ ◆◆

ربما نال المرء نجاحاً مؤكدا لو هو بذل فى سبيله ما يبذله من وقت وجهد فى سبيل جعل الإخفاق حقيقة مؤكدة .

ولنفرض أن رجلا كان على موعد يبعد عن بيته مئة ميل شمالا ، وهو على ثقة بأنه إذا لم يخلف هـذا الموعد ، فاز بالسعادة والرفاهيـة ، ولم يكن له من الوقت إلا ما يكفيه للوصول إلى موعده ، فخرج يقصده ، ولكنه يعدل ، ويرى أنه قد يظفر بقسط أوفر من متاع النفس إذا هو سار ٢٥ ميلا جنوبا قبل أن يبدأ سيره بجدّ .

هذه حماقة أليس كذلك ؟

ومع هـذا فحينما يكون علينا أن ننطلق رأساً إلى الموعد الذى واعـدنا أنفسنا على الوفاء به لتحقيق آمالنا ، نجد أن مسلكنا جميعاً أشبه شئ بمسلك بطل تلك الحماقة البلهاء ، فنسير فى غير الوجه الذى ينبغى ، وكذلك نخفق حيث كنا أدنى إلى النجاح إذا ما بذلنا نفس المقدار من الجهد والوقت .

فالإخفاق يدل على أننا بذلنا الجهد باطلا فى غير وجهه ، وذلك أن الإخفاق يقتضى بذل جهد كبير .

وهـذا أمر قلما ندركه لأول وهلة ، ولو راجعت عالماً نفسانيا لعلمت أى جهـد عظيم يبذله من يقاوم رغبة التحرك والسعى ، إذ لابد من شنّ حرب ضروس تهزم قوى

الحياة من أجل أن نبقى ساكنين ، ولو أنها حرب خفية تدور رحاها فى أعماق أنفسنا بحيث لا نكاد نفطن لها إلا قليلا . ولا يغرنك همود الجسم ، فإنه لا يفيد إفادة قاطعة أن قوة الحياة قد انطفأت جمرتها .

فإذا كان مبعث الإخفاق هو وقف أثمن ساعات العمر على مطالب لا ينجم عنها إلا قتل الوقت ، تبين لنا جميعاً أن هــذا جهد قد حـوّل عن مجراه ، غــير أن هناك وسائل أخرى لقتل الوقت تقتضى عملا شاقا يبذله صاحبه عن عــلم . ولن نصل إلى الاقتناع بأن جهدنا موقوف على طلب الإخفاق إلا بتدقيق النظر وإدراك أن ما نعمله يورثنا الإعياء والسخط معاً .

ولـكن لماذا يكون ذلك كذلك ؟ ولماذا ونحن لو انتفعنا بهذا المقدار ذاته من الجهد الذى لا بد لنا من بذله فى حياتنا على أية حالة ، لـكان نجاحنا أمراً محتملا — لماذا قلما نظفر بالحيـاة التى تمنيناها وعقدنا العزم على أن نحياها ؟ ولماذا نسوغ إخفاقنا بتعليل النفس بأنها نالت حظا مرضيا من التفاسف ؟

ونحن لا نصدق عن يقين أن الإنسان ليس له إلا أن يختار إحدى اثنتين: إما النجاح وإما أن يحيي مستمتعاً بالحياة . ونحن نعـلم أن الذين يظفرون بالنجاح ليسوا أقل حظا من المخفقين ، فهم يرون من مغرب الشمس ما يراه المخفقون ، ويتنسمون من الهواء ما يتنسمون ، ويكون أحدهم محباً أو محبوباً كما يكونون ، كلا ، بل هم يظفرون فوق ذلك بشئ آخر : ألا وهو علمهم بأنهم تخيروا لأنفسهم طريق الحياة والنماء .

إذن فلماذا نخفق ؟ ولمـاذا — على وجه أخص — نـكدح فى طلب الإخفاق ؟

ذلك بأن الإنسان كما تسوقه إرادة الحياة وإرادة السيطرة ، تسوقه أيضاً إرادة أخرى هى إرادة الإخفاق .

وهذه فـكرة سيعدّها كثير من الناس رأياً جديداً ، ذلك أن علماء النفس قد أكثروا من الحديث عن إرادة السيطرة وأهملوا إرادة الإخفاق ، لأنها أشد غموضاً .

فإذا فطن المرء إلى هــذا التيار الذى يعوقنا ويبطل جهودنا ، خطا أول خطوة فى التحول عن طريق الإخفاق إلى طريق النجاح . فإذا شــد من عزمه لمغالبة ذلك التيار ، استطاع أن يثنى عنان جهده ويعدل به عن طلب الإخفاق ليوجهه فى طريق النجاح .

ضحايا إرادة الإخفاق

قلما نتبين إبان شبابنا أعراض « إرادة الإخفاق » فى نفوسنا ، فنعلل الإحجام عن البدء فى ولوج معترك الحيـاة بأنه خجل

الناشئ الغر» ، أو ترانا إذا لم نحاول قط بذل قصارى الجهد في العمل ، نختلق لأنفسنا العذر بأن العمل الذى لم نهتد إلى سواه حين لم يكن لنا مناص من المبادرة إلى اكتساب الرزق – ليس هو العمل الذى كنا نصلح له كل الصلاح . ويتفاقم الحرج إذا تزوجنا وأصبحنا من أرباب الأسر ، فلربما كان مما لايعجزنا أن نصبر على الضر والأذى بضع سنين ، ولكن أن تسأل عيالك أن يصبروا كما تصبر ، فذلك أمر يحتاج إلى شجاعة قد لا تتوفر لكثير منا .

وكثيراً ما نعقد العزم فى مبدأ الأمر على أن لا يغيب الهدف المقصود عن أبصارنا – ولكن عملنا المرهق يستأثر بمعظم ساعات النهار ، فلا جرم أن تكون القوة التى يتطلبها قوة تفوق طاقة البشر ، لكى يحتمل المرء رؤية نفسه وحيداً غارقاً فى العمل ، على حين يلهو سائر الناس ويلعب ، وحين لا تلوح لأعيننا أية بارقة تبشر بالنجاح إذا ثابرنا ، وهكذا نتخلف – ونحن لا نعى – عن موكب الحياة دون أن نشارك فيها بنصيب ، ودون أن تتكشف مواهبنا عما تطيق ، ودون أن نبذل ولو جزءاً يسيرا من مقدرتنا . ثم إذا نحن استطعنا أن ندبر لأنفسنا معيشة فيها بعض الدعة ، وأن نظفر بشىء من التوقير والإعجاب ، أو بنشوة سلطان نتذوقها ساعة ثم تنقضى وشيكا ، وأن ننعم بشىء من الحب ، حسبنا أننا فزنا من الحياة بصفقة رابحة ، بل قد يبلغ بنا الأمر أن نهنىء أنفسنا بحصافتها دون أن نرتاب فى أننا من المخدوعين .

من الحكم المأثورة عن ماركوس أورليوس ، الإمبراطور الرومانى الشهير ، قوله لنفسه وهو يحذرها : «لا يكن تصرفك كمن خال أنه سيعيش ألف سنة » ونحن أينما التفتنا رأينا نذراً سافرة قاسية تقول : « لقد فات الوقت وأنت غافل» . ومع هذا فإن جميع من يقع فى قبضة إرادة الإخفاق ، يصرف أثمن الساعات كأن له معيناً من الوقت لا ينضب . فهناك مثلا أناس ينفقون فى النوم ما بين ساعتين إلى ست ساعات فى اليوم ، زيادة على القدر الذى يكفل لهم تمام الصحة والعافية ، وهناك أناس لا تختلف يقظتهم عن السبات العميق ، فهم يستغرقون فى مطالب يتمثل فيها الكسل وقتل الوقت : كهذا الجيش العرمرم من أحلاس القهوات ينفقون أوقاتهم فى اللعب النرد والدومينو والتسلى باستعراض المارة ، وفيهم من يجلس وحده ساهم النظرة ، يتثاءب أو يعبث ، وكأولئك المغرمين بحل الألغاز وأحاجى الكلمات المتقاطعة ، ومن عود نفسه أن

يقعد حبيساً فى داره ليقرأ كل ما تصل إلى يده على غير هدى ولا تمييز ، حتى أصبحت القراءة عنده داءً لا يرجى شفاؤه .

وهناك فرق واضح بين الترويح عن النفس ، وانقيادها انقياداً أعمى فى أمثال تلك المطالب ، وليس من العسير علينا رؤية هذا الفرق إذا نحن انتبهنا إلى وجوده .

ولا ننس أيضاً رواد المسارح ، وعشاق السينما وسباق الخيل ، والمغرمين بالتزاور والتحدث فى المجالس حديثاً كله ثرثرة ، وهؤلاء الذين إذا لم يدعوا إلى حفلة شاى ورقص حسبوا يومهم قد ضاع من عمرهم .

وتفترسنا إرادة الإخفاق بأساليب أخفى من هذه ، فتدبر مثلا أمر هذا العدد الجم من الناس الذين يرتضون لأنفسهم عن عمد عملا هيناً لا يقتضيهم إلا بذل قسط يسير من مقدرتهم ، ثم يخلقون له تفاصيل تافهة وينهمكون فيها إلى أن يبلغ منهم الإعياء . وتدبر أمر هؤلاء الذين لا ينفكون عن الشروع فى التحضير لشهادات عليا ، وتدبر أمر هؤلاء الأبناء والبنات والأمهات الذين يظنون أن من البر أن يفنوا حياتهم فى حياة من هم مثلهم فى النضج وبلوغ الرشد ، وغاب عنهم أن قعودهم عن استغلال كامن مواهبهم على خير وجه قد جعل ما يبذلونه لا يجدى شيئاً على من ضحوا من أجله بالحياة ، وغاية ما تجديه أن توفر له نوعا من الرفاهية لا يؤبه له .

فهناك إذن هذه السبل كلها — وغيرها كثير — للخضوع لإرادة الإخفاق ، ولكن لا يغب عنك أن الجهود المبذولة إنما تبدو فى الظاهر وحسب باطلة لا هدف لها ، والحقيقة أن لكل منها غرضاً خفياً . فكل الذين يؤدون أعمالهم بجهد مبعثر ، والمتململون الساخطون ، والعابثون ، إنما يرومون من وراء مسلكهم هذا أن يخدعوا أنفسهم ، بأن يملأوا فراغ كل لحظة ودقيقة فى ساعات يقظتهم ملئاً تاماً ، فلا يبقى فيها أقل فرجة يتسرب منها إليهم الشعور بأن جهدهم هباء لا ثمرة له ، فإذا أدركهم الليل كانوا لا يزالون منصرفين إلى اللهو ، أو بلغ بهم الإعياء مبلغاً لا يستطيعون معه أن يتدبروا الأمور على حقيقتها .

وما أبشع منظرهم حينما تتجلى لأعيننا حقيقتهم سافرة ! فنراهم كالمجانين الذين ذهب الشح بألبابهم ، فإن حياتهم فى أيديهم كخزانة لا تقدر بمال ، ولن يظفروا ما عاشوا بسواها ، ومع ذلك فهم فى حمقهم يحشونها توافه خسيسة هينة القدر ، وتجارب غير نافعة ، وأهواءً مضللةً ، وشغفاً باطلاً وعواطف مزيفة .

ومن البين أن هذه الحالات كلها تخفى

غرضاً واحداً ، كثيراً ما يستقر فى النفس وصاحبه لا يعى ، هو أن يملأ الحياة ملئاً تاماً بجهود ضئيلة ، أو بجهود مبذولة فى غير ما ينبغى ، بحيث لا يبقى لنا وقت نقوم فيه بخير عمل نحن قادرون عليه .

والخلاصة أن الغرض هو طلب الإخفاق .

مغـــانم الإخفـــاق

إذا أردنا أن نفهم لماذا يتآمر الكثيرون منا — عن غير وعى — مع أنفسهم لإدراك الإخفـاق ، فمـن الضرورى أن نفحص ما نسميه هنا بمغانم الإخفاق .

فقـد عودنا علم النفس أن نسلم بالرأى القائل بأننا جميعاً — على درجـة ما — نقضى معظم الوقت فى شرود الذهن ، فنستغرق فى الأحـلام ، عن وعى أو عن غير وعى ، فى اليقظة أو فى المنام ، فنجد أنفسنا فى حياة أسعد من حياتنا التى نحن فيها .

والمثابر على هذه الأحـلام إنمـا يعمل ما يعمل فاتر النفس حتى يضمن قوت يومه ، فإذا انتهى عمل النهار عاد إلى أحلامه من جديد ، فهو لا ينجح إلا فى تحقيق غاية واحدة ، هى أن يفسح لنفسه فى زحمـة الحياة حيزاً ضئيلا ، ويظفر كل يوم ببضع ساعات يفرغ فيها للدؤوب على تبديد حياته ، ولكنه سعيد مغتبط بأحلامه ، ولذلك فهو يداوم عليها .

ومن المهم أن لا يغيب عن بالنا أن مغانم الإخفاق هى فى ذاتها مغانم حقيقية ، وإلا لكنا عقدنا العزم على مقاومتها مقاومة كافية . وللإخفاق مغانم أخرى غير هذه الأحلام .

فتدبر مثلا كيف إذا أنت لم تبذل إلا أيسر جهد يسوغ لك القول بأنك « حاولت » القيام بعمل ما ، اقتنعت بأن لا تثريب عليك إذا كففت يدك وركنت إلى الراحة بقية العمر ، بل قد تجعـل نفسك من الهواة ذوى الخبرة الذين يباهون بأنهم وحدهم يعلمون حدّ الكمال ، وهيهـات أن يبلغه من لا يزال يكابد هذا العمل ويتصبب فيه عرقاً ، وأنه كمال باهر مستحيل المنـال . فلا غرو إذا كان الإخفاق فى الوصول إليه أشرف فى رأيك من نجاح رجل آخر يناله اتفاقاً من غير جهد .

فأنت إذا لم تصل بعمـل ما إلى غايته ، ظللت تحلم بهذا التصفيق الحارّ الذى كنت ستقابل به ، وهذه الصفقة المالية الرائعة التى كنت ستعقدها ، وهذا العمل الفنى المنقطع النظير الذى كنت ستحققه ، وهذه الخيالات أهم عنـدك وأعز من كل نجاح لو كنت أصبته حقاً .

وتنبه كيف أنك فى هذه الحالات كلها

قد غنمت من إخفاقك — على الأقل — هربك من الكفاح والألم والمذلة التي تصحب الجهد إذا بذل فعلا .

ولكن مغانم النجاح أولى بالنوال ، فإن لها قيمة لا تقدر ، فأقل واجب حين تنجزه على خير وجه ، أو أصغر شيء من صنع يديك حين تراه ماثلا أمامك في الدنيا وتعلم أنه لولا عملك لما كان ، ينيلك من لذة الرضى في لحظة واحدة ، ما لا تنساله طول عمرك من الإخفاق . وعلمك بأنك جربت فانتصرت في عالم الحقيقة لا في عالم الخيال أشبه شيء بالرجل تتقاذفه الأمواج زمناً طويلا ثم يقر أخيراً على أرض صلبة يقف عليها .

جبن عقلنا الباطن

أما وقد فحصنا طبائعنا وتبينا تياراتها التي تؤدي بنا إلى قبول الإخفاق ، فلننظر الآن في العوامل المباشرة التي تمنعنا من بذل الجهود المباركة في سبيل النجاح .

وسنجد هنا شيئاً من العون إذا استرشدنا بحقائق التنويم المغناطيسي ، فإن بعض النتائج التي يصل إليها المنوم إذا كان متثبتاً في فنه ، وكان المنوم مُيسَّراً للاستهواء — لما يعجز عنه الطبع المألوف تمام العجز . فهذا رجل يصاب بالدوار إن هو ارتفع عن الأرض ولو قليلا ، يستطيع — إذا نوم — أن يسير مطمئناً على لوح ضيق من الخشب نصب على ارتفاع شاهق . وهذا رجل آخر ضئيل الجسم واهن القوى يستطيع أن يرفع حملا ثقيلا . وقد جاء ف . ى . ه . مايرز بمثل رائع في الفصل الذي كتبه عن التنويم المغناطيسي ، فروى أن ممثلة ناشئة ، يعهد إليها بحفظ دور الممثلة الأولى لتحل محلها إذا غابت ، فوجئت بدعوتها للدخول إلى المسرح ، فوجمت وارتبكت من الخوف ورهبة الظهور أمام الجمهور ، فلما نوّمت تنويماً يسيرا أدت دورها بتوفيق باهر ، وقوبلت بتصفيق شديد .

وفي الفصل ذاته يذكر أن الخجل والتردد اللذين يركبان عادة من يقدم على عمل جديد لأول مرة ، يزولان عنه تماماً بالتنويم المغناطيسي ، فيؤديه بدقة وثقة .

وقال : « **إنه فعل الإيحاء المغناطيسي في إزالة الخجل يأتي في الواقع من تطهير الحافظة ، بجمع ذكريات كل إخفاق سابق ، وإطلاق سراح فئات من المواهب المختلفة اللازمة للعمل الذي هو مقدم عليه** » .

وهذا هو سر الأمر ، فلم تكتب من قبل جملة فيها ما في هذه الجملة القصيرة من

معانٍ جليلة القدر ، لمن أراد حقا أن يعدل بحياته فيوجهها إلى النجاح .

والمألوف أننا نتعلم بأسلوب: «إذا أخطأت فحاول من جديد »، وربما أعدنا المحاولة عدة مرات حتى نظفر بالوسيلة المؤدية إلى النجاح.

ولكننا نكون فى هذه المحاولات قد ذقنا مرارة الإخفاق : فعضتنا الآلام الصادقة حيناً ، وسخر الناس منا حيناً ، واستهدفنا للمذلة الجارحة حيناً آخر ، حتى إن النجاح الذى نظفر به فى نهاية الأمر لا يمحو من عقلنا الباطن ذكريات الإخفاق والألم .

والعقل الباطن يرهب الألم والمذلة والتعب ، ويتحاماها دائماً جهد طاقته .

وهذه الحقيقة هى علة ما يستحوذ علينا من السكون والجمود حين يكون من الخير لنا أن نبذل جهداً إيجابياً . فلئلا نواجه الألم ، وإن كانت مواجهته مجرد احتمال فحسب ، ولئلا نستعيد ذكريات الإخفاق السابقة ، نقرر ، بوحى من عقلنا الباطن ، أن نقعد عن العمل جملة واحدة ، أو أن نختار عملاً أيسر علينا منه ، أو نبدأ منهجاً ونسير فيه قرب الموضع الذى أوذينا عنده من قبل ، ثم نختلق لأنفسنا عذراً وننكص على أعقابنا مهرولين ، وهكذا ينتصر العقل الباطن بهذا التصرف الصبيانى . فلكى نتفادى هما ضئيلا ، نعمد إلى جمع ذكريات الإخفاق التى لا بد من أن تؤذينا فى المستقبل ، وكذلك نضيع فرصة بعد فرصة قد لا تسنح لنا مرة أخرى .

تصحيح الاتجاه

إذا صدق كل ما قلناه من قبل ، وأيسر تحليل للنفس يثبت صدقه ، فكم يكون من المريح لكل منا أن يتأبط ذراع منوّم مغناطيسى أينما ذهب ليمده بعونه كلما وجب عليه أن يشرع فى عمل — ومع هذا فإن الحل الذى نعرضه عليك أهون من ذلك بكثير .

كل ما يطلب منك حتى تحطم قيود الجمود والشعور بالخيبة هو هذا :

كن فى تصرفك كأنما هو أمر مستحيل أن تخفق .

فهذه هى التميمة ، وهذه هى الوصفة ، وهذه هى الصيحة التى تجعلك تدير وجهك من الإخفاق إلى النجاح .

وكل منا قد جرب بنفسه أو لاحظ تلك الحالة التى تسمى « شجاعة اليائس » . فإذا بلغ الحرج منتهاه تجيش هذه الشجاعة ، لأن نكبة ما ، أو سوء حظ متلاحق ، قد سدّ كل السبل إلا سبيل النجاح . ونحن نقول عمن كان فى مثل هذا الموقف :

« لم يكن لديه ما يخسره » . إذن فهو يعمل بسداد وشجاعة لم يكن يقدر عليهما عادة . وكثيراً ما يتوج هذا العمل بالنجاح ، حتى أصبح وقوعه مضرب الأمثال . فمن بلغ به الحرج مبلغاً لا يجسر معــه على الإخفاق يعمل دائماً ما ينبغي عليه أن يعمل ، أي يعمل عمل المؤمن بأن الإخفاق مستحيل .

وليس اليأس هو السلاح الوحيد الذي يقضي على احتمال الإخفاق ، فإن عمل المخيلة أمضى منه وأفضل ، فإذا استطعت أن تطبع في مخيلتك هذا الوثوق الذي يملؤك لو علمت أنك ذاهب للقاء نجاح متيسر لك ولا بد منه ، وجدت أن أول ثمرة تنالها هي انبعاث نشاطك وتدفقه تدفقاً عظيما ، وتشعر كأنما عقلك قد تنفس الصعداء لخلاصه من الأسر ، وأنه قد عبّأ كل قواه . وليس سبب هذا أننا قد وُهبنا فجأة قوى جديدة عجيبة ، بل لأننا حينما أبينا الخضوع لسلطان الخوف الذي يردّ كل جهد نبذله عقيما ، اهتدينا إلى مواهب كامنة فينا أصلا ، لم نكن من قبل نبذل أي جهد لكي نعرفها ، فنتكشف في أنفسنا قدرة أصيلة لم يكن يدور في خلدنا أنها مستقرة فينا ، فإذا تبدت لنا شعرنا كأنها قد وهبت لنا لساعتها تلك .

ولكن كيف تطبع في مخيلتك وثوق من يعمل وهو مؤمن باستحالة الإخفاق ؟

هذا أمر سهل ، فليس فينا أحد إلا وقد ذاق مرة لذة النجاح في عمل ما ، وإن كان عملا هيناً . فارجع بذاكرتك إلى أمثال هــذا النجاح الذي لقيته ، حتى وإن كان نجاحاً يعود زمنه إلى أيام المدرسة ، وكل ما يطلب منك أن تطبعه في مخيلتك هو الشعور بالثبات والوثوق اللذين كنت عليهما وقت النجاح .

واجعل انتباهك وقفاً على هذه الفكرة ، فإنها تحدد لك الوضع الذي يجب أن يكون عليه عقلك إذا أردت أن تعمل . وارفض دائما أن تبدأ العمل وعقلك لم يصل بعد إلى ذلك الوضع الذي ترومه . وعليك أن ترغم نفسك للوصول إليه بأسرع ما يمكنك . فإذا وصلت إليه ، ووثقت بأنه يملؤك من الشعور ما كان يملؤك وقت النجاح ، فاحتفظ به في دخيلة نفسك قليلا من الوقت ، كأنما تنتظر أمراً يصــدر إليك بابتداء العمل . ولن تلبث حتى تشعر بقواك قد نشطت من عقالها ، إذ تكون نفسك قد أصدرت إليك أمرها فكان لك أن تبدأ العمل . وسترى أنك لست في حاجة إلى أن تدفع نفسك دفعاً في العمل ، فإن قواك الطليقة تعمل وحدها من تلقاء نفسها .

عشر قواعد للنجاح

ولكن بعد أن نصل إلى هذا الشعور الذى يهيئنا للنجاح ، يكون لا يزال من الضرورى أن تتوفر فينا أيضا صفتان عقليتان ، فيجب أن نجعل ذهننا أشد مضاء وأكثر لينا ، فنحن جميعا نميل إلى أن نوفق فى عملنا اليومى إلى نمط لا يتطلب منا إلا أقل جهد ، وهذه حقيقة ليست فى ذاتها سيئة الأثر لو أننا انتفعنا على خير وجه بالوقت الذى نوفره . ولكن الحقيقة المرة هى أن هذا الميل لبذل أقل جهد هو ديدننا فى حياتنا كلها . وكلما انقضى يوم نخلد فيه إلى تلك العادة ، أصبحت عقليتنا أكثر استرخاء وتهيُّبا ، وأقل تجربة ، إذ نكون قد استسلمنا إلى الضعف ، وتنازلنا عن براعتنا ، لكى نفرَّ من حمل التبعات ما استطعنا ، حتى يبلغ بنا الأمر أن نمقت «النظام» لفظا ومعنى.

ومع ذلك فالنظام حتم لازم إن أردنا أن نربى فى أنفسنا تلك الصفات اللازمة لتمام انتفاعنا بالحياة ، فإن العقل يستفيد من النظام الذهنىّ ذلك الكمال الذى يستفيده الرياضى من نظامه فى تمريناته الجسمانية . فيجب أن نعنى أولا بمعرفة مقدرتنا العقلية ثم نستخدمها لما هى مهيئة له ، لنستطيع أن نستغلها أتم استغلال .

وسنورد هنا تمرينات ننصحك بها للوصول إلى هذا النظام الذهنى . وليست كلها متساوية النفع فى كل الحالات ، ولكن يطالب منك قبل أن ترفض أحدها أن تتفحص نفسك لترى أأنت إنما تطرحه جانباً لغير سبب إلا لأنه يفرض عليك شيئاً من النظام لا يروقك .

الأول : الزم الصمت كل يوم ساعة واحدة ، لا تتكلم فيها إلا لتجيب على أسئلة توجه إليك . ويجب أن يتم ذلك دون أن تجعل غيرك يظن أنك عابس متجهم ، أو أنك تشكو من صداع ، وحافظ ما استطعت على مظهرك المألوف ولكن بفارق واحد : هو امتناعك عن الكلام . واجعل إجاباتك على قدر السؤال ، ولا تزد عليه ، ولا تحاول أبداً أن تفتح الباب لسؤال آخر . والغريب أن هذا التمرين يشق حتى على من كان يميل بطبعه إلى القصد فى الكلام . فمن عادتنا أن ننطلق فى التحدث إلى الآخرين كلما لقيناهم ، لا لشىء إلا لنثبت لهم أننا قوم لا ينقصهم الود والصداقة ولين الجانب .

وسرعان ما يتجلى لكثير ممن جربوا ما ذكرناه ، أننا نندفع عادة فى الحديث ، ونلمح على وجوه المستمعين أننا لم نفلح فى

الإبانة عما نريد أن نقوله ، وقد نهفو ونزلّ في الحديث بكلمة غير مناسبة ، فنعمد إلى الانتقال إلى حديث آخر ، فلا نكون فيه أحسن حالا ، ونتحول إلى غيره ، ثم نصمت لحظة تتدبر فيها الأمر ، ثم نقول بعدها كلاما نجعله محكماً ، ولكن المستمع وهو يستحضر في ذهنه إخفاقنا ثلاث مرات من قبل لا يقيم كبير وزن لما قلناه ، ويسلكنا بين الذين يهيمون بالكلام في غير طائل . وكل الذين مروا بهذه التجربة متفقون على أنهم حينما يصمتون يجدون في أنفسهم شعوراً لا يزال يزيد بأنهم قادرون على التحكم في الموقف ، فإذا عادوا للحديث فعلوا وهم شاعرون بأن حديثهم واضح ، وأن له هدفاً يرمى إليه .

الثاني : تعلم كيف تقضى نصف ساعة يوميا وقد حصرت تفكيرك في موضوع واحد . وهذا طلب قد يبدو في ظاهره يسيراً ، ولكنه في الواقع عسير . ويجب على المبتدىء أن يروض نفسه في أول الأمر على حصر تفكيره في موضوع واحد خمس دقائق فحسب ، ثم يزيدها تدريجاً كل يوم حتى يبلغ نصف ساعة . ويكون بدؤه باختيار موضوع مادي ، فيفكر مثلا في زهرة ما ، ويجب أن لا تكون هذه الزهرة بادية أمامك ، بل عليك أن تتخيلها في ذهنك وأنت تتمثلها ما استطعت بكل حواسك . فإذا فعلت ذلك ففكر في موطن هذه الزهرة ، وموسمها ، ومنافعها ، وما ترمز إليه من معان . فإذا جاوزت هذه الخطوة الأولى اليسيرة فانتقل من الماديات إلى المعنويات فتختار لنفسك موضوعاً يروقك .

فإذا مرنت على حصر تفكيرك فيما يروقك من المواضيع ، وتبينت أن ذهنك لا يسرح عنها ولو لحظة واحدة ، فابدأ باختيار موضوع جديد عليك ، كأن يكون أول سطر تقع عليه عيناك عرضاً إذا فتحت كتاباً أو مجلة ، واحصر تفكيرك في المعاني التي تتبادر إلى ذهنك من السطر الذي تقرأه .

ومما يسهل عليك القيام بهذا التمرين أن تستعين بقلم تخط به على ورقة خطا كلما شرد ذهنك ، وستجد ورقتك قد امتلأت بالخطوط في المرات الأولى ، إلا أن النجاح لحسن الحظ يطرد بعدئذ بسرعة ، فبعد الأسبوع الأول — وقد يمتد الأسبوع في بعض الحالات إلى شهر حين لا يكون الذهن مطاوعاً — تجد ورقتك تكاد تكون بيضاء بعد نهاية نصف الساعة . وفائدة هذا التمرين لا تخفى على من يريد الشروع في عمل يحتاج إلى الابتكار .

ومن الحكمة أن تقوم بهذا التمرين في أول

الأمر وأنت فى خلوة منفرداً ، ثم يجب أن تكون بعد ذلك قادراً على القيام به إبان مشاغلك الأخرى ، كأن تقوم به وأنت فى الترام أو فى القطار فى ذهابك إلى عملك أو إيابك منه .

ولك أن تسمى هذا التمرين بكل بساطة « حصر الذهن » ، هذه الملكة التى طالما وصانا بها فى غير طائل أساتذة مدارسنا .

فإذا أصبحت قادراً على حصر ذهنك جنيت ثماراً لا تحصى ، فتستطيع أن تتعلم لغة أجنبية بكل سهولة وفى وقت قصير ، وقد تكون لهجتك سقيمة مضحكة ، لأنك لم تعتد النطق بتلك اللغة منذ صغرك ، ولكنك تستطيع قراءة ما يطبع بها من الكتب والمجلات . وتستطيع كذلك – إذا كنت من أصحاب ملكة حصر الذهن – أن تحفظ من ألفاظ لغة أجنبية فى شهر واحد ما يكفيك للتفاهم مع غيرك إذا أردت القيام بسياحة فى البلد الذى يتكلم أهله تلك اللغة .

وكذلك إذا عقد امتحان بين متسابقين فإن أسرعهم فى الوصول إلى جواب الأسئلة هم الذين مرنوا على التفكير الثابت المركز .

الثالث : اكتب رسالة لا تتضمن ضمير المتكلم فى كافة صوره . واجعلها رسالة أنيقة رشيقة ، فإذا بلغك أن المرسل إليه قد لاحظ أثر التعمل فى هذا الخطاب فاعلم أنك قد أخفقت فى التمرين .

وهذا التمرين يقطع انشغالنا بأنفسنا ، ويمكننا من الإفلات من قيد شخصياتنا ، حتى لكأننا نصبح نراها من بعيد ماثلة أمامنا .

فإذا أردت أن تنجح فى هذا التمرين وتكتب رسالة موفقة ، فلا بد لك من أن تحول ذهنك من الداخل إلى الخارج ، فإن الانقطاع – ولو برهة يسيرة – عن الانشغال بأمورنا يجعلنا ، إذا عدنا إلى هذا الانشغال من جديد ، أصفى ذهنا وأروق بالا .

الرابع : لا تذكر ضمير المتكلم فى حديثك مدة ١٥ دقيقة كل يوم .

الخامس : اكتب كتاباً تنم روحه على النجاح والرضى . ويجب أن تلتزم فيه قول الصدق ، فلا تدع باطلا ولا تكذب ، بل تخير من تجاربك ما تعتقده حقاً جديراً بأن يذكر فى كتابك ، واقصر حديثك عليها ، واجعل أسلوبك ينم على أنك حين كتبته كنت لا تشعر بأقل يأس أو خيبة .

والغرض هنا هو أن تتحول من موقف سلبي حافل باليأس إلى موقف إيجابى فيه خيرك .

ومهما بدا لك فى مبدأ الأمر أن لا أمل فى العثور على مادة صالحة لكتابك هذا ، فإنك لن تلبث طويلا حتى ترى قلمك يجرى بسهولة فى ذكر واقعة بعد أخرى ، وأنك كنت تغمض الطرف عنها حينما ظللت حاصراً ذهنك فى اليأس والتندم . فإن النجاح لا يتأتى بلا ريب إلا بالتخلى تماماً عن التحسر والكآبة .

السادس : إذا صادفك إنسان لأول مرة وأخذ يحادثك ، فدعه يتحدث عن نفسه دون أن تشعره بما تفعل . فإذا سألك سؤالا بدافع من التأدب فى الحديث فجاوبه بسؤال من جنسه توجهه إليه ، دون أن يشعر من فعلك هذا بأنك صددته . فإن كنت كريم القلب ، واسع الذهن ، ملت إلى مخاطبك ميلا كبيراً ، وزال عنك آخر أثر لهذا الشعور المثبط الذى يسمى « الشعور بالنفس » ، وأقل ما تفوز به هو أن يتسع رأيك وتدرك كيف تبدو الدنيا لبعض الناس .

السابع :(وهوعكس سابقة ، وأشق منه لمن يتعمده) « اجعل كلامك قاصراً على نفسك وما تهتم له ، دون أن تتشكى أو تتباهى ، ودون أن يشعر سامعك — إن أمكن — بالملل من حديثك » . بل اجعل شخصك وأعمالك تبدو له فى ثوب شائق يسترعى اهتمامه .

ومن غرائب المتناقضات أن يكون هذا التمرين خير ضابط لمن اعتاد الإسهاب فى التحدث عن نفسه ، فإننا نتحدث عادة — ونحن ساهون — عن أنفسنا وما نهتم له ، فلا نلتفت إلى ما يظهره المستمع من علامات الملل وقلة المبالاة والضيق ، والأغلب أن أقل هذه العلامات لن تخفى علينا إن نحن تحدثنا عن أنفسنا ونحن شاعرون بما نفعل . وسيتجلى لنا سريعا أن التحدث عن توافه الأمور وما ألفه الناس وتكرر وقوعه يبعث السأم فى النفوس فى حين أننا نظفر بإصغائهم لو أعاننا فى الحديث تجارب مشوقة ، أو مواقف دالة على ذكائنا وحسن تصرفنا ، أو قيامنا بعمل جديد — والخلاصة أنه سيتبين لنا جليا أننا قد نغنم كثيراً لو عملنا على تزويد أنفسنا بثروة من التجارب والمغامرات ، وكنا فى تصريف حياتنا اليومية أكثر ذكاء وفهما .

الثامن : ضع خطة لساعتين من يومك والتزمها ، فترسم لنفسك فيهما مثلا برنامجا تتدرج فيه من قراءة المجلات إلى الرد على ما وصلك من رسائل ، وأخيراً إلى قراءة

كتاب معيّن . على أن يكون انتقالك من خطوة إلى خطوة فى تمام الوقت المحدد لها — لا قبل ولا بعد . فإذا لحقك الموعد وأنت مستغرق فى قراءة المجلة ، فهذا أمر قد يثير أسفك ، ولكن لا مفر لك من أن تتركها لتنتقل إلى الخطوة التالية ، وهكذا .

والغرض من هذا التمرين هو إظهار سوء تقديرنا لما يلزمنا من الوقت لإنجاز عمل معين ، فنحن نقرر — بغير اكتراث — أن نفرغ ساعتين بعد الغداء للقيام بعمل يحتاج فى الواقع إلى النهار بأكمله .

ومن الميسور أن نتعلم كيف نحسن استعمال الوقت إذا وضعنا فى مبدأ الأمر برنامجاً لساعتين من نهارنا ، ثم لثلاث ساعات ، ثم لأربع ، وهكذا حتى نصل إلى ثمانى ساعات ، يتمثل فيها الوقت الذى يجب أن نعمل ونحيي فيه خير حياة .

ووضع برنامج ثابت لا نحيد عنه لليوم كله ليس من المستطاع دائماً ولا هو من المرغوب فيه ، ولكن وضع خطة ليومنا ، والتزامها بين الحين والحين ، ينبهنا إلى قيمة الوقت ، ويعلمنا أننا نستطيع إنجاز ما نرجوه من العمل إذا نحن لم نضع وقتنا سرفاً .

التاسع : (وهو أشق التمرينات كلها ، وسيرى الكثيرون من القراء أن ما يطلب منهم هو من باب التعسف فحسب ، فلا يقدمون على أداء هذا التمرين . نعم ، هو من باب التعسف فحسب ، بل إن التعسف هو قوام هذا التمرين) . دبر لنفسك مواقف لم تألفها ، ورُض نفسك عليها ، فليس من السهل أن نتخلص من جمود الحياة . ولكن المرونة شرط له من الخطر ما يجعله لازماً لحياتنا كل اللزوم . وقد يبدو لك أن المطالب التالية عبث وسخف ، ولكن ثق أن نتيجتها ستثبت لك قيمة هذا التمرين .

اكتب على قصاصات من الورق — وتكفى اثنتا عشرة قصاصة فى مبدأ الأمر — تعليمات من القبيل الآتى :

قم برحلة تقطع فيها عشرين ميلا مستعيناً بوسائل الانتقال المألوفة كقطر السكك الحديدية والترام . . . »

« صم عن الأكل ١٢ ساعة » .

« كل مرة فى مطعم لم يكن يخطر ببالك من قبل أن تقصده » .

« لا تتكلم طول يومك إلا رداً على سؤال » .

« اسهر الليل كله مقبلا على عملك » .

والمطلب الأخير هو أهم هـذه المطالب كلها ، إذ يجب أن تهيىء نفسك للعمل بثبات وبهدوء ، وتغالب كل ميل للاضطجاع ولو قليلا ، ولكن لك أن تسترخى

مقعدك كل ساعة أو نحوها، ثم انشط إلى العمل من جديد إذا شعرت بأن الراحة قد تمادت بك فانقلبت كسلا. والساهرون بالليل في عملهم هم وحدهم الذين يدركون ما في عقولنا من كنوز مخبأة لم نبحث عنها من قبل. فقد اعتدنا أن نستسلم للتعب إذا هاجمنا أول مرة، وأن لا نظل ساهرين إلا إذا وجدنا أمامنا ما يسلينا. اطو هذه القصاصات في اثنتي عشر طرفاً، واخلطها بعضها ببعض، وضعها في درج مكتبك. وعليك في كل أسبوع مرة، أو في يوم معين من كل شهر، أن تأخذ قصاصة وتفتحها ثم تقرأها وتنفذ ما فيها.

وقد يكون المطر منهمراً من مثل أفواه القرب، أو تكون الشمس محرقة والرياح سموماً، وأنت تجد في القصاصة أمراً بأن تقطع مسافة عشرين ميلا. فيجب أن تطيع اللهم إلا إذا كنت مريضاً لا تقوى على الخروج. وكلما سارعت إلى أخذ نفسك بالحزم والعسف، قويت إرادتك وصلب عودك. وشتان بين ما ننصح به لك هنا، وبين ما نحذرك منه، ألا وهو أن تنقلب رجلا قلقاً عنيداً يركب رأسه كل مركب.

ولك أن تضيف إلى هذه القصاصات أوامر بأعمال تشعر في نفسك أنها تشق عليك، وتعتقد في الوقت ذاته أنه من الخير لك أن تقوم بها. وأنا أعرف شاباً يشكو الخجل والحياء قد راض نفسه على أن يبدأ الحديث يوميا مع ثلاثة من الغرباء. وليكن حكمك في اختيار ما تريده من الأوامر، أن تكون مقومة للاعوجاج، وأن يكون مما لم تقم به من قبل، لتهز مألوف حياتك هزاً.

العاشر: تخير لك، بين الحين والحين، يوماً تقول فيه «نعم» إجابةً لكل طلب تراه معقولا. وتزيد فائدة هذا التمرين بازدياد ميلك إلى العزلة عن المجتمعات، إذ ستجد أناساً يدعونك إلى حفلة شاى، وأناساً يدعونك إلى تغيير صناعتك أو عملك. أما الدعوة إلى حفلة الشاى فلا بد من قبولها مهما كرهت مخالطة الغرباء، وأما تغيير الصناعة أو العمل فأمر لا يضيرك أن تبحثه وحدك على مهل، فإنك لن تسترشد فيما تعزم عليه إلا بوحي العقل وحده. فإذا دعيت للشاى فاذهب ولا تخف، فلن تأكلك السباع ذلك اليوم، بل ستخرج بنتائج عظيمة الأثر، فيها تهذيب لك أحياناً، وفيها أكبر النفع أحياناً أخرى.

وفي أول مرة أديت فيها هذا التمرين سئلت أن ألقى في إحدى كليات الآداب درساً عن الفن القصصي، ولم يكن قد

سبق لى من قبل أن تلقيت مثل هذا الطلب . ومع كرهى للتدريس ، واعتقادى أن الفن القصصى موهبة لا تستفاد من معلم ، فقد قبلت ، تنفيذاً للتمرين . واستمعت إلى الأسئلة التى وجهها التلاميذ إلىّ ، فأدركت أن ما بين أيديهم من الكتب لا يجيب على تلك الأسئلة التى حيرتهم ، فاعتزمت أن أضع كتاباً يجدون فيه بغيتهم . أما الكتاب الذى تقرأون خلاصته اليوم فهو أيضاً نتيجة لقولى « نعم » فى يوم التزمت فيه أن أقولها .

فقد دعيت إلى إلقاء المحاضرة وأنا لا أجد فى وقتى فراغا يتسع لها ، وربما كنت رفضتها لولا تعليمات هذا التمرين .

ولا يفيد هذا أن كل يوم من هذا القبيل كان له من الأثر البالغ ما تركه يومى الذى ذكرته ، وإن كنت أقر بأن أيامى كلها ممتعة ، وهذا حسبها .

ولكن إياك أن تتسرع وتستخلص من ذلك أنه ما دام قد أثمر يوم من هذا القبيل هذه الثمرة ، فخليق بكل يوم أن يأتى بمثلها ، إذ أن الواقع على عكس ذلك ، فيجب — بين الحين والحين — أن تكف عن الجرى وراء هذه الدعوات . وأجدر الناس بالاستماع لتلك النصيحة هم الذين لا ينفكون عن التردد على حفلات الشاى والمسارح والسينما ، إذ يجب على أمثال هؤلاء أن يتعلموا رفض الكثير من هذه الدعوات ليفرغوا إلى تهذيب أنفسهم .

إذا راقتك هذه التمرينات فستجدها نافعة ومسلية معاً ، كبعض الألعاب التى تنازل فيها لاعبا آخر ، فإن هذه التمرينات التى تقتضيك حشد كل مقدرتك للتغلب على نفسك ، إنما تختار لك منازلا هو أمكر ممن تلاعبهم وأوسع حيلة . فإذا انتصرت عليه بذكائك حق لك أن تزهى بانتصارك وتطمئن إلى مقدرتك . وأخيراً ، فإنك تستطيع إذا مضيت فى هذه التمرينات أن تستعين ماشئت بكل مقدرة ذهنية تكون قد ظهرت أو نمت بفضل هذه التمرينات ، وستجدها تلبيك غير مبطئة .

لقد أردنا أن نتدبر فن النجاح وأصوله فى هذه الصفحات ، فذهب أكثرها من تحليل وتفصيل ، قد يخيل منها للقارىء أنه مدفوع به فى طريق طويل يقطعه بخطى متثاقلة . والحقيقة أن النجاح يسير بخطى أكثر سرعة ويسراً ومضاء — ولا يستطيع أى كتاب أن يظهرها بالتحليل ، فإن التوفيق فى العمل يبعث فى النفس إحساساً له لذة وبهجة . وقد قال حديثاً أحد نبغاء المصورين لبعض أصدقائه :

« إذا رأيتنى أعمل وأنا مسرع علمت

أننى على هدى . فإذا تراخت يدى وتباطأت ، أدركت أننى انحرفت عن الغاية ، وأننى لا أجيد رؤية ما أريد رسمه . فإذا رأيتنى على هدى كان عملى هيناً كأنما هو لعب » .

هذا ، ومع أن العمل الذى يرمى إلى هدف قد يبدو لك أسرع وأمتع من سواه ، فلربما كنت تعمله فى الحقيقة بحركة أبطأ وعناية أشد مما ألفت واعتدت . فالمهم أن لا تخفى عليك الأغراض والعواقب ، وأن لا ينصرف جزء من ذهنك فى اللهو والعبث وأنت مقبل على عملك ، فهذه الصفات وحدها هى التى تنظم خطى السير فى طريق النجاح .

والرغبة فى الوصول إلى القصد والسداد فى العمل ، هى التى تدفعنا إلى أن نتدرب على ضبط النفس . والكياسة ، والمياسرة ، وأن نتعلم كيف نحيد بالمخيلة عن الخوف ونرمى بها فى طريق مبارك ، وأن نعتزم التصرف بحكمة فى الصغير من الشؤون ، لنجد فى أنفسنا ماينبغى من الشجاعة لمواجهة عظائم الأمور . والشجاعة شرط لا يتم بدونه النجاح .

ولن ندرك غاية جهدنا إلا إذا كنا نعمل بعزم الواثق بالنجاح ، المؤمن بأن الإخفاق مستحيل . وسيجد كل رجل سليم العقل أن « النجاح » و « إتقان العمل » اسمان على مسمى واحد .

اعمــل لدنياك كأنك تعيش أبداً
واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً

[على بن أبى طالب]

☆☆☆☆☆☆☆☆

احتمال

سألت مقاتلا فى إجازة ، رأيه فى سر قوة الجيش الأمريكى .

فقال : « التفاؤل . . . وإليك ما يحدث : يطلب الـكابتن مئة متطوع . فنتطوع . ثم يقول : « من واجبى أن أحذركم أنه يحتمل أن يقتل تسعةوتسعون منكم » . وتمر دقيقة نشعر خلالها بشىء من الرهبــة ، ثم يتنفس الصعداء كل واحد من هؤلاء المئة ، ويلتفت حواليــه ، ويقول فى ذات نفسه : « ليحزننى فقد الإخوان » .

[رتشرد كنى]

تمنيات طيبة

كنت أرقب جون العجوز يكنس أوراق الأشجار المتساقطة ، وكانت الحديقة واسعة الأرجاء ، ولا يدع جون ورقة واحدة تفلت من مكنسته .

فقلت لجون : «ألا تتمنى أن تصبح جميع هذه الأوراق كومة واحدة ؟» .

فأجاب : « نعم ! وفى وسعى ذلك » .

فقلت متحدياً : « أرنى » .

فقال : « أيتها الأوراق ! تجمعى كومة واحدة » واستمر يكنس فى هدوء حتى تم جمع الكومة . ثم قال : « هذه هى الطريقة التى تحقق بها ما تتمنى ، وما عليك إلا أن تستمر فى العمل الذى تريد إتمامه » .

وظل هـذا الحادث فى ذهنى ، ولقد وجدت فيما بعد عند دراستى حياة العلماء والمصلحين وغيرهم ممن أتوا بالمعجزات والعجائب ، أنهم هم أيضاً كانوا يعرفون طريقة جون هذه ، فإن أفعالهم العظيمة كانت عقبى تمنى شىء ما ، ثم العمل على تحقيقه عملا متواصلا لا ينقطع .

[إيزابل ب . مونكيور]

انتصار الصحراء

كانت سيارتنا الفورد القديمة تنفخ وتلهث فى صحراء سونورا وهى تسير وسط نباتات ذات حسك وأشواك . ورأينا على حين فجاة أرنباً برياً يمر مر الريح أمام سيارتنا وفى أثره كيوت ، وسرعان ما غابا عن أنظارنا .

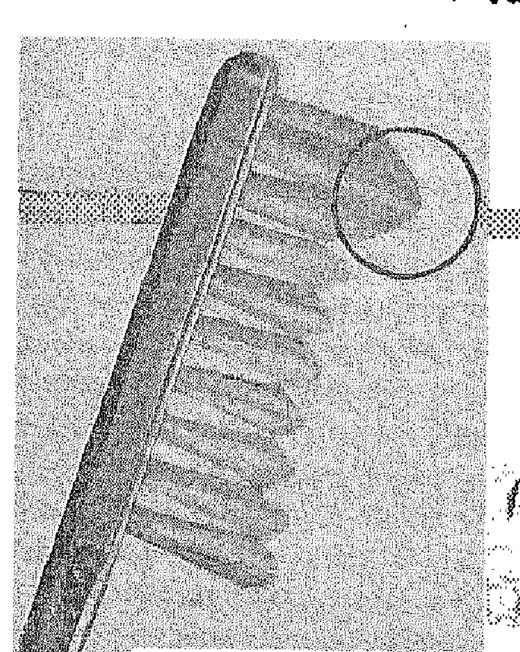
وأتينا بعد مسافة قصيرة على منظر لن يزول أثره من مخيلتى . رأينا تحت شجرة كبيرة من الصبار بساطاً كثيفاً من الحسك والأشواك المتساقطة ، يحيط بها فى دائرة قطرها خمس عشرة قدماً ، ورأينا كيوتاً ثائراً يمد يده فى حذر بين الأشواك ثم ينثنى عنها متألماً وهو لا يستطيع أن يلج ، ورأينا الأرنب عند جذع الشجرة تحيط به الأشواك من كل جانب وقد جلس مستريحاً ينظر إلى الكيوت فى رقة وظرف وقد غضن له أنفه الدقيق ساخراً به .

[جون جاردنر]

طبيب أسنانك دون غيره هو وحده الذى يراها —

ولكن الأسنان الخلفية يجب أن تنظف كذلك



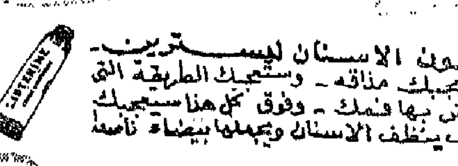


نعم أن الأسنان الخلفية يجب أن تنظف ، وأن تحتفظ ببريقها أيضاً . وأفضل طريقة لتحقيق ذلك هو بالخصلة الطويلة لفرشة الأسنان پرو — فى — لا ك — تيك .

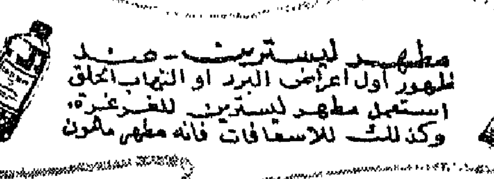
إن فرشة پرو — فى — لا ك — تيك قد صممت تصميماً علمياً لتنظيف جميع الأسنان . وإن خصلتها الطويلة تنظف الأسنان الخلفية تنظيفاً تاما وشعرها السكث المسوّى يتخلل الأسنان الأمامية ويصقلها صقلا فعالا .

لا تهمل أى سن من أسنانك — نظفها جميعاً بواسطة فرشة الأسنان پرو — فى — لا ك — تيك .

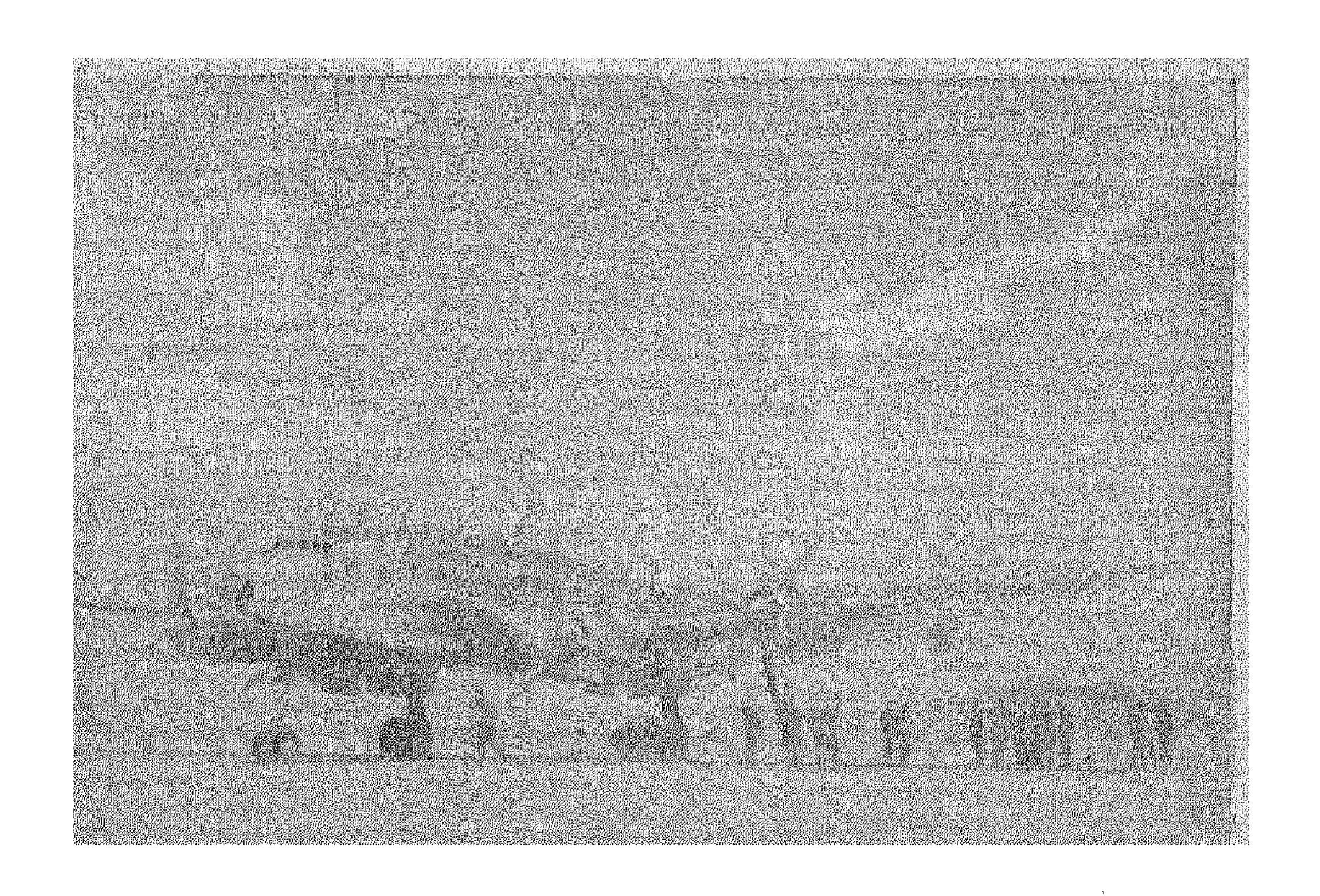
فرشة الأسنان پرو-فى-لاك-تيك



معجون الاسنان ليسترين — سيعجبك مذاقه — وستعجبك الطريقة التى ينعش بها فمك — وفوق كل هذا سيعجبك كيف ينظف الاسنان ويجعلها بيضاء ناصعة



مطهر ليسترين — عند ظهور اول اعراض البرد او التهاب الحلق استعمل مطهر ليسترين للغرغرة، وكذلك للاسعافات فانه مطهر مأمون



عمل الجرار

إن أمماً كثيرة، كشفت الآن أن قوة الجرّار تسدى يداً جليلة إلى الزراعة السليمة وشبكة وافية من الطرق — وهذه أحوال يرتبط بها ويتوقف عليها الرخاء الاقتصادى فى أية أمة.

وإن استعمال الجرار الحديث ليساعد على إقبال الزراعة ونجاحها وذلك لأنه يضمن حرث الأرض حرثاً أدق، وزراعة النبات زراعة أحكم، ومحصولا أكبر وربحاً أوفر. وجرار أليس شالمرز المتعدد المنافع المبين فى الشكل يتيح لرجل واحد أن يؤدى عمل رجال، وهنا يزرع حقل كامل من القطن.

وإن بناء الطرق — وهى شرايين المواصلات — ليمكن تسهيله إلى حد كبير باستعمال المعدات الحديثة كممهد أليس شالمرز ديزل القوى المبين تحت هذا الكلام، وهو يحل محل وسائل العمل اليدوى الشاق الضعيف الكفاية.

وفى فترة التوسع والتحسين التى تمتد أمامنا فى ميدانى الزراعة والصناعة، سيكون للجرار شأن عظيم. ونحن ندعوك أن تتدبر كيف تستطيع أن تستعمل أنواع الجرارات المتعددة الأشكال والأحجام التى نصنعها لإنماء موارد الثروة فى الشرق الأوسط.



ALLIS-CHALMERS

DEPARTMENT AR-D 1244

TRACTOR DIVISION, MILWAUKEE, 1, U.S.A.

منتجو آلات مضمونة منذ عام ١٨٤٦

RCA تقـــدم

أحدث مبتكراتها

مصباح علاء الدين فى المستقبل القريب: تقوم صمامات RCA الاليكترونية بمعجزات فى الصناعة والعلم... إنها ترى ، وتشعر ، وتشم ، وتذوق ، وتعد ، وتسمع ، وتتذكر ، وتتكلم . وهناك صمام RCA اليكترونى خاص لكل غرض. وهذه الأدوات تستعمل الآن لتأييد قضية الأمم المتحدة ولكنها ستشارك فى تأييد السلام وإنشاء عالم أفضل فى الغد القريب

الفتنة دائماً جديدة : فتنة دينا شور نجمة شركة وارنر السينمائية وكذلك الشخصيات المحبوبة الأخرى تسجل فى هوليود ثم تعرض فى مسرحك المفضل باستعمال أجهزة RCA فوتون. إن المهارة الهندسية التى أتقنت صمامات RCA الاليكترونية وسائر أجهزة الراديو الحديثة تطبق فى أساليب RCA لتسجيل الفلم والصوت بالمسرح .

يمكنها أن تهز منزلك : صنعت RCA أجهزة تهتز اهتزازاً قوياً ، لتبين مواطن الضعف فى الأجهزة اللاسلكية للطائرات وتوقيها . فكذلك نستطيع شركة RCA أن تتقن الأجهزة اللاسلكية للطائرات قبل استعمالها . وهذه الأجهزة لها أعظم شأن فى توسيع آفاق المواصلات والمخاطبات .





RADIO CORPORATION OF AMERICA

RCA VICTOR DIVISION • CAMDEN, N. J.

تتقدم القافلة فى الراديو.. تليفزيون .. صمامات .. فونوغرافات .. اسطوانات .. اليكترونات



يقضى على كل منافسة
أحدث إطار فى العالم
للمسافات الطويلة
شركة جنرال تير أند رابر اكسپورت
أكرون . أوهايو . الولايات المتحدة
تلغرافيا : چنتيروكو اكرونوهايو
مصانع فى الولايات المتحدة ، وكندا
ومكسيكو ، وفنزويلا ، وشيلى ، والبرتغال
The
GENERAL
TIRE

هدية تدخر مدى الحياة !
... قلم پاركر "٥١" اللامع

• صنع دقيق ... محكم التناسب ... قلم پاركر « ٥١ » أنيق رشيق كطائرة فى الهواء .

حرك طرفه الأملس الذى يشبه الطربيد على الورق تجده يكتب فى الحال فى يسر ودون مجهود تقريباً .

ثم يتجلى السحر ! فإن هذا القلم وحده يستعمل حبر پاركر « ٥١ » الجديد العجيب . وهو يجف وأنت تكتب . ومع ذلك فإن قلم پاركر « ٥١ » يمكن أن يستعمل أى نوع آخر من الحبر .

وطبيعى أن قلما تشتد فيه رغبة الكثيرين قد يكون نادراً وعلى ذلك إذ لم يكن لدى موردك قلم پاركر « ٥١ » ، فسجل طلباً لديه فإنه سيتمكن من إمدادك بقلم قريباً .

الألوان : أسود ، أزرق قاتم ، رمادى ، بنى والماسة الزرقاء على مشبكة معناها ضمان منا أن يخدمك مدى الحياة .





AUTO-LITE

... تحفظ مرتبة الضمان اليوم
... وتبتكر الضمان الآلى للمستقبل

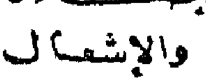
إن كل وحدة من المعدات الآلية التى تشتريها وتحمل اسم أوتوليت — من شموع وبطاريات وأجهزة القيام والإضاءة — تستمد كفايتها من البحث الهندسى الدقيق .

إن معدات أوتوليت المتاحة اليوم تخدم خدمة أطول خالية من المتاعب لأن مهندسى الأشغال صمموها كجهاز كهربائى مترابط الأجزاء متزنها .

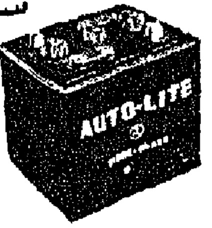
وإن البحث المتواصل والتقدم الهندسى فى المعدات الكهربائية الآلية اليوم ليضمن منزلة عالية فى تقدير مستهلكى أوتوليت — أصحاب السيارات ، والأوتوبيسات وسائقى اللوريات — فى عالم الغد .

THE ELECTRIC AUTO-LITE COMPANY (*Export Division*)
Chrysler Building, New York 17, N. Y., U.S.A.

شموع . بطاريات شحن
أسلاك . أجهزة للقيام
والإضاءة
والإشعال







منتجات شركة مونسانتو الكيميائية

لخدمة صناعة الصيدلة :

أسبتانيليد ، أسبرين ، حامض البنزويك — كلورامين — جليسروفوسفات — سليسلات الميثيل — فينول فتالين — سليسلات — سالول — بنزوات الصوديوم — سلفانيلاميد وغيرها .

لخدمة صناعة المطاط :

عناصر مساعدة — مواد مضادة للأكسدة — مواد ملينة — مواد مذيبة .

لخدمة معالجة الماء المستعمل فى الصناعة :

سلفات الألومينيوم — سلفات الحديد — هيبو كلوريد الصوديوم — فوسفات — سانتو بريت لمنع الحموضة والطحالب من ماء الصناعات .

لخدمة صناعة الورق :

سلفات الألومينيوم — أمونيا — أحماض — مواد نفاذة — فوسفات وغيرها .

لخدمة صناعة المواد الغذائية :

جواهر لتعطى مواد الطعام الرائحة والطعم — فوسفات وغيرها .

لخدمة صناعة الحبر والطلاء :

ورنيش — مواد مذيبة — مواد معجنة — راتنج — مواد مذيبة — للروائح — مواد واقية من الفساد — مواد مضادة للأكسدة .

لخدمة صناعة العجائن :

عجائن — أسيتات السليولوز — نترات السليولوز — راتنجات — الفينول . مواد أولية : مثل أحماض — فينول — مركبات الراتنج — مواد معجنة — مركبات الفيتاليت .

لخدمة الصناعات الكيميائية :

مواد أولية متنوعة ومركبات متوسطة .

لخدمة صناعات الروائح العطرية ومواد الزينة :

طلاء المانيكور والمادة المزيلة له — مواد مرطبة — مواد مثبتة ومواد مذيبة

لخدمة صناعة الدباغة

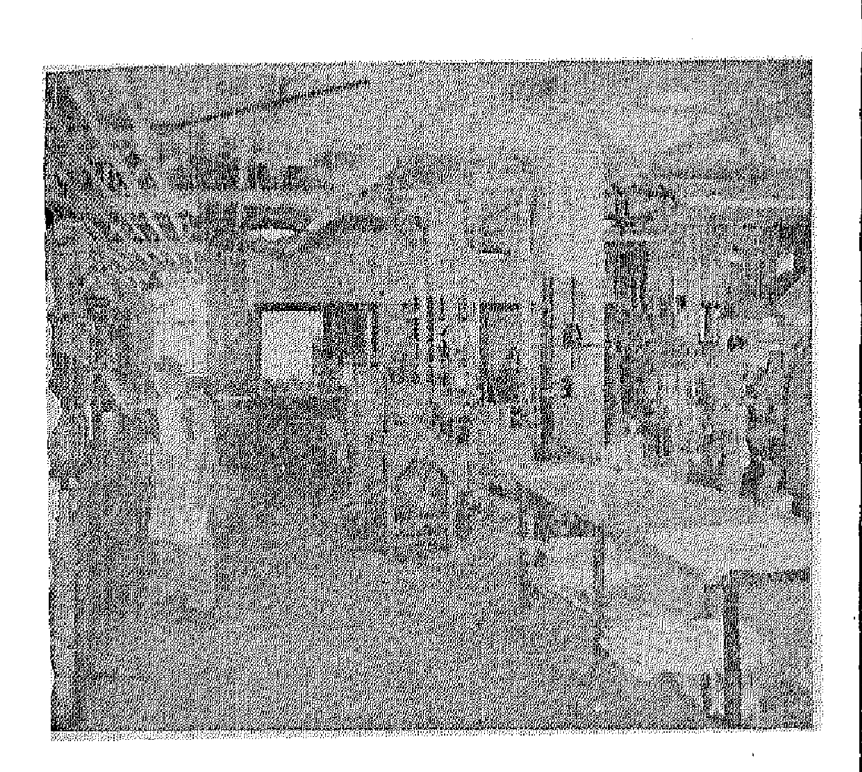
أحماض — شب الأمونيو[illegible]نول مواد نفاذة — « ميركلور » « ميرتا[illegible] [illegible]وسفات .

لخدمة صناعة الحزم :

مادة « الفيوبالك » الشفافة .

مونسانتو

فى الطليعة فى صناعة العجائن



لشركة مونسانتو الكيميائية تسعة عشر مصنعاً بينها مصنع كبير مخصص كلـ[illegible] للبحث فى العجائن وصنعها ، وقائمة المواد التى يصنعها هذا المصنع تشـ[illegible] عجائن تصلح لكل غرض عملى . وفى معامل البحث تبشر التجارب بمبتكرات جديدة . وبعض العجائن والكيميائيات غير متاح بسبب الحرب والبعض الآخر يمكن تصديره . وإن الأحوال لتتغير بسرعة ، فقد يندر اليوم صنف ما ثم قد يكون متوفراً غداً . ونحن نرحب باستعلامك عن العجائن والكيميائيات التى تحتاج إليها الآن وفى المستقبل

MONSANTO CHEMICAL COMPANY,
St. Louis, Missouri, U. S. A. .
MONSANTO CHEMICALS Ltd.
Victoria Station, London S.W. 1. England



غير أن « الريدرز دايجست » تجيء الآن فتجعلنى فى طليعة ركب الزمن وتبرئ ذمتى ، فقد قام بالاختصار والحذف المحررون سلفاً — فهم دونى يبوءون بإثم ما بددوا من حبر الطابع وجهده ! والفصول من الوجازة والحبك بحيث أستطيع أن أقرأ ثلاثة أو أربعة منها فى السيارة فى طريقى إلى حفلة ، فأصل إليها وأنا أفيض معرفة وعلما .

وأعود بالذاكرة إلى تلك الأيام التى لم تكن قد ظهرت فيها مجلة « ريدرز دايجست » ، فيبدو لى أنه يشبه العود بالذاكرة إلى الأيام التى لم تكن قد عرفت تكييف الهواء ، فلا يسع المرء إلا أن يتساءل كيف كان يطيق ذلك — أو أنا على الأقل أتساءل عن هذا .

*** *** ***

يسرّنا أن يكون بين الأعلام الذين شاركوا فى إعداد هذه المقالات الموجهة إلى الحياة الحافلة ، لغلاف المختار ، حضرات : الأستاذ محمود أبو الفتح (سبتمبر سنة ١٩٤٣) ، الدكتور حافظ عفيفى باشا (أكتوبر ١٩٤٣) ، الدكتور على توفيق شوشه بك (ديسمبر ١٩٤٣) ، محمد على علوبه باشا (يناير ١٩٤٤) ، الدكتور محمد حسين هيكل باشا (مارس ١٩٤٤) ، الأستاذ عباس محمود العقاد (مايو ١٩٤٤) ، فخامة رئيس الجمهورية السورية السيد شكرى القوتلى ، فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الشيخ بشاره الخورى ، الدكتور حسنى سبح ، الأستاذ أحمد سامح الخالدى (سبتمبر ١٩٤٤) ، الأستاذ ميخائيل نعيمه (أكتوبر ١٩٤٤) .

ويتوّجها جميعاً العطف الملكى السامى
المنشور فى صدر مختار فبراير سنة ١٩٤٤

قارئة بطيئة

كورنيليا أوتيس سكينر

ظللت طول عمري ضحية لشعور سخيف خرافي بأني متى بدأت أقرأ شيئاً فلا بد أن أتمه بالمعنى الحرفي ، فلا سبيل إلى قلب صفحتين معاً ، ولا تطلع إلى الأمام لأرى هل الخاتمة سعيدة أو لا ، وعسى أن يكون ثم خوف كامن فيما وراء الوعي ، يوهمني أني إذا عبرت الكتاب المطبوع بخفة ، فقد يظهر لي شبح المؤلف ويلاحقني ملاحقة مزعجة ، أو لعل الأمر مرجعه إلى شعور مسرف بالإثم ، كتأنيب الضمير الذي يعانيه المرء إذا غشّ وهو يلاعب نفسه .

وقد أورثتني هذه الدقة والذمة عدة ساعات من السآمة ، ولم تفدني إلا الارتياح المشكوك في قيمته ، إذ أعرف أني أؤدي واجباً نحو كاتب من الكتاب لا يعبأ شيئاً على الحالين . ذلك أني بطيئة القراءة ، وقد أعياني وأنا طفلة أن أتعلم الطريقة « الانسيابية » الحديثة التي يتسنى بها للمرء أن يستوعب فقرة برمتها بنظرة واحدة . وكان أبي هو معلمي ، وكنا نقرأ في مجلد أصفر صغير اسمه « أرض الأغاني — الجزء الأول » فنكاد نتهجى ونحن مغتبطان ، كل جملة فيه ، وكل كلمة ، وكل مقطع . وما زلت إلى الآن أجدني أردد بصوت جهير ألفاظاً ذات مقاطع تزيد على الثلاثة . وأحتاج إلى أسبوع لقراءة رواية ، وعشرة أيام لمطالعة كتاب من كتب التراجم المتوسطة الحجم ، ولولا أن ساقي هيضت لما فرغت من مطالعة رواية « ذهب مع الريح » . وهذا يضيّق بطبيعة الحال مجال الاختيار لمادة القراءة .

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية